

تصميم كاردينيا73
حصرياً لشبكة روايتي الثقافية
الجزء الثالث من
سلسلة قلوب تحكي
بقلم كاردينيا73
سحر التميمة
تميمتي .. تميمتي .... اوصليني اليها
هل السحر فيك ام في مقلتيها ؟!!
www.rewity.com
روايتي



الجزء الثالث من ..
سلسلة قلوب تحكي
سحر التميمة
للكاتبه كاردينيا73
سحر التميمة (١١) الكاتبة: كاردينيا٧٣
www.rewity.com
سحر التميمة
ابتسم ساخرا من نفسه
وهو يلامس التميمة بين
اصابعه ،هل كتب عليه
ان يكون ممن يلقي
عليهم الحب بتعاويذه العشوائية ؟
هل الحب قدر لافكاك منه ؟
ام انه اختبار لقوة الارادة
حتى نملك ان نختار ؟!
تصميم بحر الندى
منتدى قصص من وحي الاعضاء

سحر التميمة

حصريا على شبكة روايتي الثقافية

www.rewity.com

بقلم الكاتبة : كاردينيا73

تصميم الغلاف الاساسي : كاردينيا73

تصميم الغلاف الرسمي للمنتدى : بحر الندى

تصميم الصفحات الداخلية : كاردينيا73

تنقيح : كاردينيا73

تنويه هام للقراء ...

روايتي هذه لاتمت بصلة للسحر الحقيقي

عنوانها (سحر التميمة) مجرد رمز للمشاعر

الانسانية التي قد تسحرنا وتسيطر علينا....

لذلك وجب التوضيح حتى لايحصل لبس ...

قراءة ممتعة

الكاتبة

كاردينيا73

مقدمة

فتاة تلف وشاحا كبيرا داكنا حول رأسها وتلثم به نصف وجهها ، تنزل درجات السلم الحجري على عجالى وبضعة خصل من شعرها الداكن تهرب من قيد الوشاح لتتطاير هنا وهناك... بدا واضحا انها ليست محجبة وانما تحجب شخصيتها فحسب ...!

ملابسها انيقة .. بنطال اسود مميز التصميم وقميص حريري مموج ...وعطر تغلغل لانفاسه .. عطر مسكيّ مثير ...

تطلع شاهين لقامتها الممشوقة في فضول وفكر في نفسه وهي تمر بجانبه دون ان تلقي له بالا (ما الذي يجعل فتاة مثلها تقصد مشعوذا ؟!!!)

لقد لمحها تخرج من تلك الشقة الواقعة في الدور الاول ... والكل يعلم ماذا تضم جدران تلك الشقة !!

هزّ رأسه بامتعاض .. انه لايفهم الاشخاص الذين يملكون هذه العقلية ليلجأوا لمشعوذ في محاولة مضحكة لحل مشكلات عجزوا عن حلها بأنفسهم فيطرقون ابواب ما وراء حجاب الغيب مستجدين حلا سحريا ..

هزّ كتفيه باستهانة وهو يكمل صعود السلم بينما افكاره حول الفتاة تتلاشى ويعود تركيزه لحمله الثقيل لطابعة ليزرية حديثة ...

ما زال امامه طابقين ليصل مكتب الحاسوب الذي يملكه .. شتم صاحب المبنى في سره لانه لايصلح المصعد الكهربائي منذ اسبوع ، وبينما تتثاقل خطواته على درجات السلم لمحت عيناه على احداها قلادة من سلسلة فضية تدلّت منها ميدالية دائرية غريبة الشكل .. عقد حاجبيه بفضول وهو يوازن حمله لينحني بصعوبة ويلتقطها بعد جهد جهيد .

بدت الميدالية اكثر غرابة عن قرب !! بدت وكأنها ... تميمة !! تميمة سحرية او ما شابه .. ابتسم وهو يرفع حاجبيه قليلا .. ودون تباطؤ وبدافع من فضول مشاكس تمكن منه عاد ادراجه لينزل درجات السلم التي قطعها سابقا هو وحمله ليلحق بتلك الفتاة ...

عندما خرج من المبنى اخذ يتلفت يمينا ويسارا ، كان شبه يائس من ان يجدها فربما فتاة باناقتها تقتني سيارة حديثة انطلقت بها تسابق الريح او ربما ببساطة اوقفت اول سيارة اجرة او حتى تعلقت بحافلة ....!!

ابتسم بتفكه وهو ينأى بعيدا هذا الخيال الفج ! كيف لفتاة مثلها ان تركب حافلة ؟!

لحظات ولمحها من بعيد .. تقف بجانب سيارة زرقاء حديثة الطراز مركونة الى جانب الرصيف بينما الفتاة ترتكز عليها بكلتيّ يديها وتحني رأسها قليلا ...

تقدم نحوها وعيناه تمعنان النظر لوقفتها اليائسة ... بدت منهارة بجسدها المتهدج !! وشاحها تزحلق قليلا عن رأسها ليكشف عن شعر بني لامع بينما ظل الوشاح يكمّم نصف وجهها السفلي بخجل !!

اقترب منها وتنحنح ثم قال " عفوا انسة .. اعتقد هذه التي.. القلادة ..وقعت منك .."

التفتت نحوه بحدة فاتسعت عيناه وهو ينظر لعينيها ... ما هذه النظرة ؟! ما هذا السحر الغامض الذي تحمله ؟! عينان مكحلتان ملهمتان حقا ...

استيقظ من استغراقه على صوتها المخنوق وهي تقول " انها ليست لي ... ليست لي .. لافائدة منها .. لم يعد شيء يفيد ! "

بتعابير من الدهشة البالغة علت ملامحه راقبها تلتف حول السيارة حتى وصلت مقعد السائق ثم فتحت الباب بيدين مرتعشتين لتركب سيارتها وتنطلق بها بعيدا دون ان تلقي نظرة اخرى نحوه ...



ظل يلاحق أثرها الغارب بحاجبين مرفوعين
دهشة والتميمة تتدلى من يده اليمنى بتأرجح
متباطئ ملول بينما تناضل ذراعه اليسرى مع
حملها الثقيل ...

الفصل الاول

لوقت طويل ظل يتطلع محدقا بالتميمة وهو يمسكها بين سبابته وابهامه ... كانت غريبة بحروف تبدو عربية ولكنها غير مفهومة !! على الاقل بالنسبة له هي غير مفهومة ...

هل هي طلسم سحري ؟!!

" شاهين ..."

برشاقة اخفى التميمة في جيب بنطاله ورفع وجها مبتسما للفتاة الصهباء ، المجنونة الهيئة والطباع (سمارا) ..

نظريا هي مساعدته وسكرتيرته ويده اليمنى بل ..يده الوحيدة !

عملياً ... هي المتصرفة بكل شؤونه واقرب المقربين له !

انها سمارا ... لاغنى له عنها على الاطلاق ...

قالت سمارا بحاجبين احمرين معقودين " ماذا اخفيت في جيبك ؟!!"

حرك حاجبيه صعودا ونزولا علامة الرفض وهو يقول بابتسامة مستفزة " ليس من شأنك ، كما لايفترض ان تكلمي رئيسك هكذا .."

عبست وهي تقول " تهربك لايعجبني كما انك لست رئيسا بالمعنى الذي تحاول ايحاءه فما نحن الا مكتب متواضع للحاسوب باربعة موظفين كسولين فلا تحاول لعب دور رجل الاعمال امامي .."

ضغط شفتيه يحاول كتم ضحكته فقالت بتمرد وهي تدرك تلاعبه بها " انك تتعمد اثارة غضبي كالعادة .. ما هي المتعة التي تجدها في ذلك ؟!!"

انفجر شاهين ضاحكا بينما سمارا تضرب بقدمها على الارض ثم تخصّرت قائلة بلؤم " الان علمت لماذا لم تحتملك خطيبتك لتهجرك بعد ثلاثة اشهر فقط .."

لكن شاهين لم يتأثر بكلماتها بل استمر يضحك من قلبه فاضافت بغيظ اكبر " بل اني اعجب كيف تحملت كل تلك الايام مع رجل مزعج وطفولي مثلك .. ما كنت لاحتمل ولا ليوم واحد " ..

هدأ ضحكه قليلا ثم قال وهو يحرك حاجبيه مغيظا " وسامتي الرهيبة كانت تكفيها على ما يبدو..."

اخرجت لسانها بحركة طفولية ثم التفتت بحدة لتتحرك مبتعدة عنه لكن بمنتصف طريقها للباب توقفت ..

قال شاهين برقة " قولي عزيزتي .. اعلم انك جئت لتتحدثي معي في شيء مهم ...
فملامحك معبرة جدا ما ان دخلت حتى ادركت ان هناك صفقة جيدة في الطريق ..."

تنحنحت وهي تستدير ثم قالت ببعض البرود المتعمد " حسنا .. انها صفقة جيدة بالتأكيد .. "

لم يقل شيئا فقط اكتفى بأن كتّف ذراعيه على صدره ونظر اليها ببشاشة وكأنه يحثها على الكلام ...

تقدمت نحوه وقد سيطر عليها مزاجها العملي فجأة لتقول بتركيز " رجل اعمال مشهور .. وهنا اقصد رجل اعمال حقيقي .."

ضحك بخفة بينما اكملت سمارا " هذا الرجل يريد تجديد حواسيب شركته .. وهنا نتكلم عن شركة مقاولات هندسية معروفة في السوق .. بمعنى نتكلم عن تجهيز ضخم كالتجهيز الحكومي الذي حصلنا عليه قبل عام ..."

قال شاهين بعد تفكير " اذن علينا الاتصال بوكيلنا .. الامر يحتاج لتنسيق .."



هزّت سمارا رأسها موافقة وهي تقول " حسنا ساتصل بضياء وانسق معه لنلتقي ، لكن المساعد الشخصي للسيد هيثم الجرّاح يقول ان السيد يريد ان تلتقيه ايضا .."

عقد شاهين حاجبيه في تساؤل " من هو هيثم الجراح هذا ؟!"

رفعت سمارا نظراتها للسقف في احباط ثم قالت وهي تفتح ذراعيها باستهجان " هل يوجد هناك من لايعرف هيثم الجراح ؟!!! انه احد اشهر رجال الاعمال في البلد وهو من سنعقد معه صفقتنا .."

لوح شاهين بلامبالاة ثم قال وهو يجلس على كرسيه " حسنا حسنا ... حددي موعدا مع مساعده الشخصي لتلتقيه انت وتتفقي معه على التفاصيل .."

عبست سمارا وهي تتقدم نحو مكتبه لترتكز على حافته بكفيها ثم قالت " لاينفع شاهين ... يجب ان تكون انت .."

تذمر شاهين قائلا " تعرفين اني اكره هذه الاجتماعات واكره ارتداء البدل الرسمية.. انا حتى لااجيد عقد ربطات العنق !!"

ضيّقت سمارا عينيها وقالت بحزم " ساعقدها لك .."

واستدارات لتتركه يتذمر بمزيد من الكلمات قائلا " لااريد الذهاب ! انا سافسد الصفقة لامحالة ! "

لكنها تجاهلت تذمره الطفولي الذي اعتادته منه لتقول دون ان تلتفت اليه " ساحدد الموعد غدا عند الساعة التاسعة صباحا .." ...

في صباح اليوم التالي

قال شاهين بضيق

" سمارا ستخنقيني !! يكفي .."

وابعد يديها عن ربطة عنقه متذمرا حانقا بينما سمارا تتخصر كأم غير راضية وهي تقول " يجب ان تهتم بهذه الامور شاهين ... المظهر الخارجي له تأثيره على العملاء وانت تعرف هذا وهؤلاء ليسوا عملاء عاديين .."

تحرك شاهين بتكاسل نحو براد الماء ليلتقط قدحا ورقيا ثم اخذ يملؤه بالماء على اقل من مهله ...

كزّت سمارا على اسنانها وهي تعنفه " انت لاتتحمل المسؤولية حقا ... الا تفهم انها فرصة لنا جميعا ؟؟! كل من يعمل هنا سيستفيد بشكل مؤكد ان تمت هذه الصفقة ... "

رد بضيق " حسنا سمارا توقفي عن تعنيفي هكذا ! سافعل ما يلزم فلا تقلقي ..."

رن هاتف سمارا والذي لايفارق يدها ففتحته بينما شاهين يستغل فرصة انشغالها ليرخي ربطة عنقه قليلا ، صوت سمارا الغاضب جعله يعيد تركيزه اليها ليستمع لما تقول عبر الهاتف ..

قالت سمارا بحاجبين معقودين " هديل توقفي عن اثارة المشاكل في الجامعة ، قلت لك مرارا ليس لدي الوقت لاعمال الشغب هذه "

صمتت قليلا وشاهين يراقبها كيف تكز على اسنانها فيكتم ضحكته حتى لاتصب جام غضبها عليه فيما بعد ..

قالت اخيرا " حسنا هديل افعلي ما تشائين ولكن اياك و الشكوى مما قد يفعله رئيس القسم معك .."

ثم اغلقت الخط وهي تزفر انفاسها كثور هائج

لم يقاوم شاهين وهو يضع قناعا من البراءة ويقول " ما بها معجبتي الصغيرة ؟ هل تثير المشاكل مرة اخرى ؟ اخبريني وانا ساحلها معها بطريقتي ، تعرفين ان لي الاولوية في التأثير باعتباري حب مراهقتها الاول !"

اقتربت سمارا منه بخطوات غاضبة ثم قالت بتوعد " اذكر موضوع (حب المراهقة) هذا واقسم اني سالقنك درسا لن تنساه .."

هزّ كتفيه وهو يقول باستفزاز " انت من اخبرني بذلك ولست ارمي التهم جزافا نحو اختك .."

عنفته قائلة " لقد كنت مخطئة لاعتبرك ناضجا كفاية واخبرك بمشاعرها قبل خمس سنوات ، وها انت لاتكف عن ذكر الموضوع كلما جاءت سيرة هديل ، حقا انك لامسؤول ولا تتمتع باللياقة لتحتفظ بهذه السخافات لنفسك "

ضحك اخيرا ثم اقترب منها ليقول معتذرا بمرح " لاتغضبي سمارا .. احب احيانا اثارة غضبك ربما لانك تثيرين غيظي وانت تتحكمين بحياتي هكذا .."

نظرت اليه سمارا بعينيها البنيتين ثم قالت بجدية " شاهين .. ربما هذا خطأ مني ان ادير لك حياتك هكذا ، انت تعتمد عليّ حقا بهذا وربما لطول العشرة بيننا منذ سنوات طويلة لم اعد اذكر عددها ولكن ارجوك جِد لحياتك معنى اخر .. انت في الخامسة والثلاثين وليس لديك عائلة او اقارب على اتصال معهم فماذا تنتظر لتكون عائلتك الخاصة ؟!"

ابتسم ابتسامة صغيرة وهو يناكفها قائلا " قولي هذا لنفسك اولا ، فأنت في الثلاثين كما اعرف ومع ذلك ليس لديك حياة حقيقية تخصك وحدك "

ردت بتنهيدة " لافائدة منك .. دوما تقلب الادوار ! انت تعرف ان عائلتي بحاجتي بعد وفاة امي ولااستطيع ترك ابي واختي الصغيرة "

ثم نظرت اليه بامعان واضافت " بينما انت تعيش بمفردك وليس لديك من يهتم بك حقا ، لااعرف لماذا فسخت خطوبتك من لمياء لقد كانت فتاة رائعة "

رد شاهين وهو يتحرك ليلتقط سترته ويرتديها على مهل " لمياء لم تفهمني سمارا ، لم تستطع تقبل شخصي وطباعي ، لم تشأ الاعتراف أني اعتدت نمط حياة خاصة ، لقد عشت وحيدا لسنوات طويلة .. احد عشر عاما كاملة عشتها بمفردي في شقة ابي رحمه الله ، منذ زواج امي ورحيلها مع زوجها لبلد آخر ، لم تدرك انها يجب ان تصبر علي قليلا حتى اعتاد دخولها في حياتي وتدخلها السافر في كل اموري لتفرض علي كل شيء ، لم تكف عن قول هكذا يجب ان تفعل وهكذا يجب ان تقول ! حتى اصبت بالاختناق ! "

عبست سمارا وهي تلاحق خطواته نحو باب مكتبه الخاص " ولكني افعل هذا طوال الوقت معك فهل تصاب بالاختناق مني ايضا ؟!"

رد ضاحكا وهو يغمز لها " انت حالة فريدة في حياتي فلا تقارني نفسك بأي امرأة قد تصبح زوجتي في المستقبل .."

ضحكت وهي تهزّ رأسها وتقول مشفقة لحاله " حقا لافائدة منك ! لكن من المثير للاعجاب انك دوما تجد طريقك الخاص لتتخلص من أي مأزق يمر بك .."

قال وهو يلوح لها " ادعي لي كي اجد طريقي لاتخلص سريعا من مأزق هذا الاجتماع الخانق !"

ثم حرّك حاجبيه بطريقة مرحة وقال قبل ان يغادر الشقة التي تمثل مكتبا محترما للحاسوب " اخبري معجبتي الصغيرة اني اؤيدها بأي مشاكسة تبتدعها ، فلتعبر عن نفسها كما تشاء وانا سادعمها "

ضحك مغادرا بينما سمارا تبتسم وهي تفكر في اختها و تتذكر تلك المرحلة الحرجة من مراهقتها عندما غشيتها مشاعر الوله والحب نحو شاهين .

يا الهي كم عانت وهي تحاول ارشادها
بكلمات غير مباشرة انها ما زالت صغيرة ، ان
شاهين يكبرها بالكثير ..

اتسعت ابتسامة سمارا وهي تقترب من مكتب
شاهين بعفوية لترتب اغراضه واوراقه
كعادتها بينما ذكرى انفجار هديل العاطفي
وهي بسن السادسة عشرة يصيبها برغبة
الضحك كلما استعادتها ..

لا زالت تتذكر شعرها البني المحمر المشعث
كحاله الآن و عيناها النرجسيتان الجميلتان
مغرقتان بدموع القهر بينما شفتاها ترتشعان
تكشفان عن تقويم اسنانها الفضي !

بدت في قمة الغضب وهي تبكي بطفولية
وتتهمها انها تقف في وجه سعادتها حتى انها
تجرأت واتهمت سمارا انها تريد شاهين لنفسها !

هذه المرة لم تكتم سمارا ضحكتها فاطلقتها
بحرية وهي تهز رأسها ، اعادت كرسيه
لمكانه واغلقت درجا مفتوحا وهي تفكر ان
والدها نفسه شك انها تحب شاهين !

حمدت اللّه ان شاهين لايظن بها ذلك والا
كانت جنت !

تنهدت وهي تفكر ان لااحد يدرك سر ارتباطها الوثيق بشاهين ولا حتى شاهين نفسه لانه لايعير الامر اهمية ، انه فقط متقبل لوجودها في حياته وارتباطهما معا هكذا !

لكنها تدرك ان السر يكمن في انها ببساطة وجدت فيه توأمة لروحها وتوازنا لشخصيتها ، توازن من نوع خاص ، لايقوم على اساس تبادل الاسرار الشخصية مثلا لكن نوع من التقارب الشديد والفهم لطبيعة الآخر وتقبله كما هو ..

انه يفهمها بطريقته الفوضوية المحببة التي تميزه فلا تحتاج لارتداء اي قناع معه او حتى التأني في اطلاق كلماتها العفوية الثرثارة او التعبير عن دواخلها دون حرج او تردد او تبرير ..

انه انسان طيب وشاب رائع وكم تتمنى رؤيته مستقرا بدل حياته شبه البويهيمية التي يعيشها هذه لايفكر الا بيومه دون اي تخطيط للمستقبل مكتفيا بما يحققه من نجاح في مكتبه الصغير هذا دون ان يتطلع لتطويره !

احيانا تتصور وفاة والده مبكرا وبطريقة مفاجئة بالسكتة الدماغية وهو نائم في سريره جعلته لايهتم حقا بالتخطيط للمستقبل ، لديه نوع من اللامبالاة ويميل لنوع من بساطة العيش وصفاء البال والابتعاد عن اي تعقيد يعتقده سيعكر هذا الصفاء ...

احيانا يغيظها بشدة بسبب هذه اللامبالاة واحيانا تحسده لقدرته هذه على تهوين الامور واستبساطها ...

عبست وهي تنظر لساعة يدها وهي تفكر بصوت مسموع " يجب ان اتصل بـ(غير المسؤول) هذا بعد ربع ساعة لاتأكد انه لم يخلع ربطة عنقه ورماها من الشباك ! "

قاد شاهين سيارته بين الزحام ليتذمر محدثا نفسه وهو يرخي ربطة عنقه للمرة الثالثة " كم اكره كل هذا الضغط ! ما بال كل الناس على عجلة من امرهم هكذا ؟! "

تنفس الصعداء والزحام ينفرج قليلا ، يعترف ان صبره قليل احيانا وربما المسألة تتعلق بتحمل الضغوط او بشكل ادق تحمل انواع معينة من الضغوط ، وعلى ذكر الضغوط ها هو هاتفه النقّال يرن بتلك الرنة الخاصة لسمارا فعلم بالضبط لماذا تتصل !

شتم وهو يبحث عن سماعة الهاتف السلكية ففتح الخزانة الداخلية الصغيرة للسيارة يقلّب باحثا بنزق بين الاوراق المبعثرة فيها بينما الهاتف يعاود رنينه بعد ان صمت محبطا في المرة الاولى .

شتم مرة اخرى ليترك البحث ويرفع الهاتف لاذنه قائلا بضيق شديد " سمارا لم اخلع ربطة عنقي لاتخافي ولااستطيع ايجاد سماعة الهاتف وحتى لا ادفع مزيدا من الغرامات المرورية مضطر ان اغلق الخط معك "

ردت سمارا بايجاز عملي " حسنا جيد انك لم تخلعها لحد الان وبمناسبة الغرامات حالما تنهي الاجتماع اذهب لدفع اكوام الغرامات المتأخرة عليك وأسأل عن تجديد ملكية السيارة .. آآ .. ولا تنسى ان تدفع فواتير الهاتف والكهرباء ايضا "

تأفف وهو يتمتم " حاضر ... حاضر "

ثم اغلق الهاتف سريعا ورماه على الكرسي المجاور فلا يريد ان يراه شرطي متفكه او ملول يجد فيه متنفسا لاحباطات يومه فيسجل عليه مخالفة جديدة ! وكأن كل شيء في حياتنا منتظم ولا ينقصنا الا تنظيم استخدام الهاتف النقّال اثناء القيادة منعا للحوادث ..

عيناه انجذبتا للخزانة الصغيرة التي ما مازالت مفتوحة بمحتوياتها المبعثرة فمال بجسده وهو يمد ذراعه لاغلاقها عندما التمعت اشعة الشمس على السلسلة الفضية التي اطلت برأسها اللامع من بين الاوراق ..

ابتسم وهو يرفع حاجبيه بمرح بينما يسحب السلسلة ليرفعها عاليا فتتدلى تميمتها بحروفها المشفّرة ، كان يمسك المقود بيد بينما اخذ يؤرجح التميمة باليد الاخرى وذكرى تلك الفتاة تعاوده ..

آه لو كان يجيد الرسم لكان رسمها باتقان من مخيلته فقط ، فذاكرته قوية رغم فوضويته الظاهرة ، انه لاينسى التفاصيل اطلاقا وربما هذا هو سر اضطلاعه في تشريح الدوائر الالكترونية للحاسوب ، سمارا دوما تصفه بالمتناقض !

فهو لايملك صبراً على اشياء بسيطة لاتحتاج لاكثر من صبر طفل متذمر بينما لديه استعداد ان يظل بالساعات مكبّا على اكتشاف عطل في حاسوب عنيد شديد التعقيد ..

عاودته ذكرى تفاصيل ما ظهر من وجه الفتاة ، تلك العينان مميزتان بسحر غريب ، ربما ما تحمله من مشاعر ثائرة من شدة الاحباط فاضت بها نظراتها هو سر السحر ...

ترى ما حكايتها ؟ هل يعقل ان فتاة مثلها ربما تريد الحب ولاتحصل عليه ؟!!

انها فاتنة ببشرتها الخمرية الاقرب للسمرة ، بشرة صافية وعينان ساحرتان وشعر بني ناعم لامع ..

كم تمنى لو رأى وجهها كاملا ! ترى هل سيتعرف عليها لو رآها يوما بوجه مكشوف ؟

هل ستكون اجمل او ستصدمه بما ينتفي هذا الجمال منها !

ضحك عاليا وهو يعاود التركيز في القيادة محركا رأسه يمينا ويسارا ومبطئا بحركة سيارته باحثا عن شركة الجرّاح للمقاولات الهندسية ..

اخيرا وجدها تنهد براحة يشوبها بعض الضيق وهو يهمس لنفسه " اتمنى فقط ان لايطول يومي اكثر من هذا !"

ثم ودون تعمد وضع القلادة في جيبه بدلا من اعادتها لخزانة السيارة ..

مرت نصف ساعة كاملة وهو يجلس هنا في مكتب السيد هاني مساعد السيد هيثم دون ان يصل للسيد العظيم !

اغاظه هذا التأخير بينما هاني هذا يعتذر بترفع لانشغال السيد هيثم بوفد اجنبي وصل اليوم دون اعلام سابق .

كان يتمنى فقط لو يستطيع خلع ربطة عنقه لكنه يعترف ان سمارا احسنت بالفعل لاجباره على ارتدائها ..

تطلع حوله لهذا المكتب الفخم والذي لايعد الا مكتب المساعد !

كل شيء مر به في هذه الشركة وهو في طريقه لهذا المكتب برفقة حرس الامن كان يوحي له بصاحب المكان ..

هيثم الجراح ...

الكل غاية في الاناقة رجالا ونساء ، الكل منكب على عمله والهدوء سائد عدى همهمات خافتة تشك في سماعك لها اصلا !

جو بارد ... هذا ما فكر به شاهين وهو يدخل لمكتب السيد هاني ، بارد وفيه نوع من الحزم والرهبة ..

تطلع للسيد هاني وهو يتعامل مع حاسوبه بترفع من نوع آخر !

شاب في نهاية العشرينات جامد الملامح بشعر اسود مصفف بعناية حليق الوجه مما جعل شاهين يشعر بالضيق من شاربيه ولحيته التي تحتاج للتهذيب على الاقل !

بدلة الرجل (المترفع) شديدة الاناقة سوداء حالكة كلون شعره دون ان تنتقص منها تجعيدة واحدة !

مطّ شاهين شفتيه وهو يكتم تذمرا حانقا لطول الانتظار ثم ارتأى ان ينحى بتذمره في اتجاه عملي ليقول بأدب لل(مترفع)

" سيد هاني هل يمكننا ان نتفق على تفاصيل الصفقة انا وانت فيبدو ان السيد هيثم مشغول جدا "

بكل هدوء بارد حرك المترفع رأسه من حاسوبه نحو شاهين ليقول بنفس الجمود " اعتذر ليس لدي الصلاحية للتناقش معك ، كما ان السيد هيثم دقيق جدا وعندما يريد ان يقرر بنفسه تفاصيل اي عمل فأنه لاينيب احدا مكانه ..."

منحه شاهين ابتسامة مهذبة بينما هو يصرّ على اسنانه غيظا !

بعد ربع ساعة من الصمت الرهيب تنفس شاهين الصعداء وباب (السيد العظيم) يفتح ليطل منه اربعة اشخاص يتجاملون فيما بينهم بلغة اجنبية ، بدا واضحا ان الرجال الثلاثة من جنسية غير عربية مما جعله يخمن هوية الرجل الرابع ليكون هو هيثم الجراح .. السيد العظيم !

وقف شاهين على قدميه احتراما بينما يشعر بالبلاهة وهو يبتسم بمجاملة مضحكة لوجوه لايعرف اصحابها !

رغم ذلك عيناه كانتا تقرآن هيثم الجراح بفضول ..

بدا اشد برودة بعينيه الزرقاوين ، شعره الكستنائي مصفف الى الجانب باناقة فشعر شاهين بفظاظة عدم اعتنائه بنفسه هذا الصباح ! وسؤال غريب خطر في باله

" هل مشطت شعري اليوم ؟!! "

كتم ضحكة تخنق صدره وهو ينتظر توديع السيد هيثم لضيوفه ، يعترف ان الرجل وسيم جدا ، انيق جدا ..جدا ببدلته الكحلية ، الثقة تنبع من كل شيء فيه ، ثقة تصل الى حد الغرور والتعجرف !

انه لايخطئ في تحليل لغة الجسد وهذا الرجل الذي يبدو مقاربا لعمره يمتلك نوعا السيطرة على محيطه او الرغبة في السيطرة ، كما يملك ترفعا واضحا نقله لمساعده الشخصي !

همس شاهين في سره " البداية لاتبشر بالخير يا شاهين فأكره ما عليك التعامل مع بشر من هذا الصنف ! ما الذي أتى بي الى هنا ؟!! "

لكنه وبلباقة يتمتع بالقليل منها لتعينه في مواقف كهذه ابتسم بأدب وهو يمد يدا مصافحة للسيد العظيم وهو يرحب به بهدوء متجاوزا عن عدم اعتذاره عن التأخير !

تحركت بنشاط بين اروقة قسم السياسة والاعلام حيث تدرس في سنتها الجامعية الاخيرة وهي عابسة الوجه ..

تبعتها خطوات مترددة وصوت تعرفه يحثها من الخلف " توقفي هديل .. يكفي ما فعلته بالامس ، ذلك المعيد سيشكوكِ لرئاسة الجامعة هذه المرة "

التفتت هديل نحو زميلها زيد لتقول بعزم " لايهمني ! ذلك المعيد السخيف لايكف عن اضطهاد الطلبة ومعاقبتهم على كل همسة اعتراض "

قاطع زيد خطواتها ليجبرها على الوقوف وهو يقول بجدية " هديل لاتدعي غضبك يسيطر عليك ، انها بضعة اشهر فقط ونتخرج ، لاتدعي الاستفزاز يتمكن منك وقد يتسبب بفصلك واضاعة السنة الدراسية الاخيرة عليك "

رفعت هديل عينيها لزيد بينما يكمل هو بابتسامة رقيقة " اهدأي قليلا ولا تبالغي بنوازعك الثورية ، الامر لايستحق هذه المرة .. صدقا لايستحق "

تطلعت لعينيه الخضراوين لتقول باحباط " كيف لايستحق ؟! انه رجل لايعرف الاحترام ! يعتبرنا مجرد تافهين ويستعبدنا فعليا ، انه يهيننا ببرود وهو يعتبرنا اقل مستو فكريّ منه "

كتم زيد تنهيدته وهو يشعر ببعض الراحة لانه استطاع على الاقل جذبها لتتكلم ، فهذه هي هديل تغضب تغضب ثم تهدأ فجأة وكأن شيئا لم يكن !

اتسعت ابتسامته وهو يقول بحنان منفلت لايستطيع كبحه نحوها " انت لديك رهافة الاحساس يجعلك تغضبين سريعا يا هديل لكن يفترض ان تكوني اكثر سيطرة على النفس واكثر حذرا .."

زفرت بقوة وهي تحرك رأسها جانبا ترفع يدها لتعبث بشعرها الذي ترفعه من الجانبين فقط ببساطة تصل الى اللامبالاة ..

انها تعجبه ! يعجبه وجهها النظيف من اي مساحيق زينة وعيناها البراقتان ، انها جميلة في نظره حتى بملابسها الاقرب للصبيانية ..

هو زيد المخضرم في الجامعة بفعل سنوات كثيرة اضاعها بمزاجه وجد نفسه منجذب لهذه الفتاة منذ سنتين وسعى للاقتراب منها ونجح بالفعل لكنها قلبته رأسا على عقب !

وجد نفسه يرتبط بها دون ان يدرك لماذا !

وها هما متقاربان وينجح دوما في اقتناص فضفضتها حتى اصبح يعرف عنها كل شيء تقريبا ...

ابتسم ابتسامة جميلة نجحت دوما في سرقة قلوب الفتيات الا هذه الفتاة !

قال " هل ازعجك والدك بالامس لتكوني مزاج متعكر اليوم؟"

زفرت مرة اخرى وهي تعود لتنظر اليه بعينيها النرجسيتين قائلة ببعض التوتر " لااعلم لماذا يصطدم بي دائما ! انا احاول ارضاءه كما تفعل سمارا تماما لكنه دائم التذمر ولايعجبه شيء "

رد لها زيد بتفهم " هذا حال كل الرجال الكبار في السن عندما يُحالون على التقاعد من اعمالهم ، يصبحون نزقين ومشاكسين ولايرضيهم شيء "

قالت هديل بضيق " اعترف ان سمارا تجد في نفسها القدرة لتعامله بصبر اكثر مني ، هذا يثير عجبي لانها ليست بالفتاة الصبورة ! بالعكس انها كدجاجة حانقة دوما وانا وابي فرخيّها الوحيدين ! "

ضحك زيد عاليا بينما هديل تمط شفتيها تذمرا ليقول لها اخيرا بعينين لامعتين دون ان تتنبه للمعتهما الخاصة " تعالي لنشرب بعض العصير في الخارج ، الجو رائع "

تمتمت هديل بموافقة وهي تسبقه بخطواتها بعفوية اعتادها منها .. انها هديل معروفة في الجامعة بأسرها بساقيها التي تسابقان خطواتها ...

يعترف شاهين ان الرجل ذكي ، بل ذكي جدا .. فرغم انه ليس لديه معرفة واسعة بعالم الحاسوب لكنها يسأل الاسئلة المهمة وهو مدرك لاهميتها لما يريده ...

اخيرا وبعد ان اعتصره السيد العظيم عصرا تم الاتفاق ثم وباسلوب عملي ضغط على الجهاز الذي يربطه بمساعده واخبره بتحضير الاوراق المطلوبة للاتفاق غدا ..

اراد شاهين ان يطلب تحضير الاوراق اليوم ليتم توقيعها لكنه لم يرد ان يبدي لهفته لاتمام الصفقة سريعا هكذا ..

فجأة سأل هيثم بصوته الرخيم " هل تعطون دورات تدريبية على الحاسوب للمبتدئين في شركتك ؟"

اوشك ان ينفجر ضاحكا وهو يتخيل فريق المدربين المتهالك لديه !

لكنه ابتسم بلطف ليرد " نعم .. هناك عدة دورات منفردة او جماعية "

اسبل السيد هيثم اهدابه فاستغربه شاهين بعض الشيء بينما اخذ يتمتم " هذا جيد .."

عقد شاهين حاجبيه قليلا وشعور بعدم الارتياح يتمكن منه مرة اخرى ، عدم ارتياح موجه لهذا الرجل .. غموضه لايعجبه وبروده وعجرفته لايطيقهما منه !

لكنه شخصية ملفته جدا ..

تنبه لاستدعاء آخر لمساعده وهو يقول له عبر الجهاز " هاني احضر لي دعوة للسيد شاهين لحفلة اليوم .."

اغاظه ان يقدم الدعوة بتلك الطريقة غير المباشرة والتي فيها تجاهل واضح له !

فتح فمه ليبدي اعتراضا باردا عندما تذكر توصيات سمارا بالهدوء ، أكدت عليه ان هيثم الجراح من عائلة غنية بالوراثة وقد يكون متعجرفا دون قصد حتى ..

التزم شاهين الصمت بينما يدخل هاني حاملا بيده ظرفا انيقا ليقدمه باحترام شديد للسيد هيثم فما كان من الاخير الا اخذه ثم قدمه ببساطة لشاهين وهو يقول " الحفلة في الساعة الخامسة عصرا في بيتي ، بامكانك اخذ العنوان من مساعدي ، ستكون حفلة ممتعة وقد تتعرف على شخصيات جديدة في عالم الاعمال وتعقد صفقات مفيدة لك .."

لقد تكلم وكأن حضوره تحصيل حاصل !

شعور بالغضب تملك شاهين فوقف على قدميه كاتما هذا الغضب قدر المستطاع ليرسم تعبيرا لامباليا على وجهه وهو يلتقط الظرف ثم قال " حسنا سيد هيثم سأرى ان كنت استطيع الحضور ، شكرا لدعوتك "

ثم ببرود مد يده للمصافحة فوقف السيد هيثم ليصافحه ببعض الاستعلاء بينما شاهين يقول " في كل الاحوال سأحضر غدا في الساعة العاشرة صباحا لاستكمال التوقيع على الصفقة وربما سأجعل مساعدتي سمارا هي من تحضر لتوقع نيابة عني اذا لم اتمكن انا .."

عندها قال هيثم بملامح صلبة " انا افضل توقيعك انت سيد شاهين ، مع احترامي لمساعدتك لكني اريد توقيعا منك شخصيا حتى لو كان لديها تخويلات رسمية منك "

رفع شاهين ذقنه ليقول ببرود " لامشكلة سيد هيثم سأكون موجودا بنفسي .."

وعلى هذا ودّعه وهي يعده بمحاولة الحضور اليوم ، وطوال طريق الخروج كان شاهين متشنجا كما لم يكن في حياته من قبل !

كان يشرب العصير وهو يوشك على الاختناق .. لايعرف هل هي ربطة العنق ما يخنقه ام انه ببساطة لايطيق هذه الاجواء !! حفلات متكلفة تفوح منها رائحة المجاملات والنفاق والابتسامات الباردة ..

عاد ليشرب جرعة اخرى من عصيره وهو لايشعر بمذاقه حتى فرائحة المشروبات الكحولية تطغى في الاجواء وتصيبه بالغثيان ...

دوما اثار سخرية اصدقائه لانه يصاب بغثيان مضحك كلما التقط رائحة السجائر أو الخمر بكل انواعهما !

انه يكره الاثنين ليس عن التزام ديني ولكنه يكرهمها فحسب ويجدهما منفرين ...

شتم في سره لانه سمح لسمارا باقناعه الحضور ، انها لم تقنعه بل توسلت اليه عمليا ، ابتسم ساخرا بمرح وهو يفكر على الاقل في البداية الامر بدأ بالتوسل !

لقد ابتزته ليذهب وهي تزّين له الرؤيا كما تراها هي ، صفقات كثيرة واعمال مزدهرة وتوسيع في المكتب الصغير ليتحول لشركة حقيقية لا بالاسم فقط !

وعندما تململ اختارت الوجه الغاضب لتواجهه به وهي تذكره انها تعبت كثيرا وهي تبحث له عن الصفقات المربحة هنا وهناك ، وانها اضطرت لفعل التنازلات وهي تتملق بعض موظفات شركة الجراح لتصل لمكتب هيثم الجراح نفسه وتحصل على الصفقة عبر توصيات وترشيحات من بعض الموظفين ..

وها هو يجد نفسه هنا وسط اناس لايحب صحبتهم يحاول تعلم لغتهم وهو يكاد يبصق حروفها ! انها لغة العصر ... لغة المصالح التي لاتحدها حدود ولاتعرف غير الشراهة للمزيد ..

ارتشف من عصيره وهو يتلفت في انحاء الحديقة الشاسعة في هذا البيت المهيب الاقرب للقصور ، الرجال يحدقون في بعض وهم يتصيدون الصفقات واحيانا يتصيدون النساء !

اما النساء فكن متبرجات بحمق ومبالغة بينما يبدين الابتسام والرقيّ وملامحهن تنطق بالملل والفراغ ...

اقترب من احدى الموائد المتراصة على الجانب والتي افترشت ما لذ وطاب من مأكولات لم يرها في حياته ولايعرف لها أسما او توصيفا ..

وضع كأسه الفارغ على احدها وهو يهمس في سره بحنق " لن انسى لك هذه الورطة التي اقحمتني بها يا سمارا !"

رفع رأسه واوشك ان يقرر الخروج خلسة دون ان يعتذر حتى من صاحب الدعوة عندما .. رآها .. عيناه التقطتاها ... التقطتا تميزها عن الاخريات ولايعرف كيف !

بثوب ابيض مغرٍ في احتشام خجول تهادت تلك الخمرية البشرة ... اتسعت عينا شاهين في اعجاب ذكوري بحت ... شعر بنيّ يصل لما فوق منتصف الظهر مصفف بعناية شديدة في تموجات عريضة .. وجه متألق بجمال اصيل مرسوم بعناية واتقان على يد خبيرة تجميل لتبرز محاسن كل تفصيلة فيه ...

تقدم نحوها بابتسامة ليقطع عليها طريقها الذي تسير فيه وكأنها على غير هدى .. لم تتنبه له حتى اوقف خطواتها بتصديه لها .. رفعت وجهها نحوه فجمدت ابتسامته واخترقت عقله المعرفة .. !

همس في سره " انها هي ! تلك العينان لن اخطأهما وهذا العطر الثمين الذي يفوح منها ينعش اكثر الذكريات المنسية لتحيا من جديد "

قال ببساطة محببة " مرحبا ..." راقبها كيف ضيّقت عينيها المكحلتين لتقول ببعض الحيرة " مرحبا .. هل التقينا سابقا ؟؟"

رد مراوغا " ربما .. لااعلم .. تبدين مألوفة انت الاخرى .." كانت على وشك الرد عندما ارتفع صدى ضحكات رجولية لتستولي تماما على اهتمامها ..

لم تشعر بحركة جسدها اللاارادية نحو مصدر تلك الضحكات بينما شاهين يراقب بدهشة تلك الرجفة في شفتيها وذلك الشجن في نظراتها لتشع عيناها اشعاعا وهي تتطلع نحو ذلك الرجل الذي لم يكن سوى ....

هيثم الجراح .. !

تمتم بفضول " هل تعرفين السيد هيثم ؟"

ردت وهي تتحرك كفراشة " اعرفه طوال حياتي ... "

حقا كانت كفراشة ... لايعرف والا فكيف استطاعت تجاوزه ؟!!! هذه الفراشة تتحرك بطريقة خفية محلقة بتأثير ذلك الرجل عليها وكأنه يعزف لها ترنيمة خاصة تجذبها اليه ..

ازداد فضوله ليرى كيف سيستقبلها هيثم هذا ولم يُطِل الامر حتى صارت على بعد بضع خطوات منه تمد نحوه يدها المرتعشة وكأنها تتلمس طريقها بين الاشواك لتصل اليه ... اغتاظ شاهين من هيامها الواضح بذلك الرجل بينما السيد هيثم العظيم التقط قربها اخيرا بنوع من اللامبالاة ونظرة ملولة لكنها متملكة بنفس الوقت !

وبابتسامة شديدة التصنع مد يده هو الآخر ليمسك يدها ويسحبها اليه برقة مدروسة وهو يقول لمحاوره

" عزيزي ادهم اقدم لك شهرزاد ... زوجتي الاكثر اناقة على الاطلاق .."

هل يمكن لاحد ان يفاجئه اكثر ؟!!!

لم يعرف كيف وجدت يده طريقها لجيبه لتلامس تلك التميمة بشرود وهو يهمس بعجب " شهرزاااد ..."

الفصل الثاني

كان شعورا محيرا !

ضايقه ان يعلم ان هذه الفتاة (زوجة) ..
وضايقه اكثر انها زوجة لهيثم الجرّاح بالذات
دون غيره !

المحير انه لم يتصورها زوجة اطلاقا عندما
رآها في المرة الاولى ، كان يتصورها فتاة
شابّة عاشقة خائبة الامل بمن تحب !

ترى لماذا سعت لذلك المشعوذ ؟ ربما تعاني
مشكلة في انجاب الاطفال مثلا ؟؟

همس اسمها مرة اخرى " شهرزاد .."

اسم يليق بها حقا بحُسنها الخمري الاسمر...

عبس الآن وهي يراها كيف تكاد تميل
برأسها نحو كتف زوجها وكأنها تتلمس منه
شيئا غير مرئي بينما الزوج المغرور يكتفي
باحاطة خصرها وقد عاود حديثه المسهب مع
رفيقه متجاهلا زوجته ...

ما باله هذا الرجل ؟! الا يرى احتياج زوجته
لتدليله ؟؟ انوثتها تستجديه الاهتمام ..
عيناها تناوران بطريقة تثير الشفقة لجذب
عينيه .. يدها تتلكأ فوق سترته الانيقة
وكأنها تتلمس دفئا تحتاجه !

انه ... غبي ... غبي كي لايرى ما يراه الاعمى ويستشعر ما يستشعره بليد الاحساس ...!

شعور بنفور شديد انتاب شاهين نحو هيثم الجراح هذا ، لم يعد يطيق البقاء اكثر !

ولم ينتظر اكثر ليتقدم في تحد نحوهما حتى يعتذر عن انسحابه عندما صدحت انغام موسيقى ناعمة ورأى شهرزاد تميل برأسها اليه فيعطيها اهتمامه للحظة فهمست له ليبتسم دون معنى ثم نظر اليها نظرة متمعنة رافعا حاجبيه قليلا ثم أبعد جسدها عنه ..

اشتعل غضب سافر في رأس شاهين وهو يتصوره يبعدها بفظاظة ولكنه تفاجأ عندما اكتشف انه لم يكن يبعدها حقا بل كانت حركة معينة ليبدأ معها رقصة خاصة على انغام الموسيقى ..

اخذ شاهين ينظر اليهما مشدوها ! لا .. ليس اليهما بل.... اليها هي فقط ...

بدت سعيدة بشكل يأسر القلب وهي تتمايل برقة وتلتف حول ذراع زوجها برشاقة ..

انها ببساطة تعشق زوجها .. لكن للاسف زوجها ... لايعشقها !

يتملكها .. نعم ... ولكن ليس كحبيبة بل كاحدى مقتنياته الخاصة ...!

نظراته اليها باردة لكنها سعيدة بطريقة ترضي غروره !

لا عشق من جهته على الاطلاق ... لا عشق !

همس شاهين بحاجبين معقودين وهو يعاود لمس ما يخفيه جيبه " ترى يا شهرزاد هل هذا ما تبحثين عنه عند المشعوذين ؟؟ هل هي تميمة عشق ؟؟ "

تذكر ما قالته بيأس وقتها عندما كان يريد اعادة القلادة اليها (انها ليست لي ... ليست لي .. لافائدة منها .. لم يعد شيء يفيد !)

" نورااا .. متى وصلت "

صوتها المرحب الدافئ جعله يتنبّه لاقتراب تلك الفتاة النحيلة منها بينما تحررت شهرزاد من زوجها بنعومة لتتقدم نحو الفتاة وتبادر لأخذها في احضانها بينما هيثم يتطلع اليهما بنظرات هادئة وابتسامة غريبة على ثغره ..

ردت المدعوة نورا بابتسامة " وصلت قبل اسبوع فقط .."

فعاتبتها شهرزاد برقة " منذ اسبوع نورا ؟!! ولم تتصلي بي ؟؟ حتى والدي لم يخبرني "

ردت نورا بنفس الابتسامة " انا طلبت منه ان لايخبرك حتى اجعلها مفاجأة لك ، لكني انشغلت الايام الماضية بالالتحاق بعملي الجديد ..."

تبسّمت شهزاد بتفهم لتقول " جيد انك ستستقرين هنا اخيرا ، وكيف حال ابي ؟ "

قالت نورا غامزة " انه بخير ، يستمتع بحياته وحريته وهو يجوب العالم ليلتقط انفاسه بين محطة واخرى في شقته وسط لندن ثم يعاود التنقل هنا وهناك كطائر حر محلق .."

ذبلت نظرات شهزاد قليلا لكنها حافظت على ابتسامتها وهي تحول الموضوع قائلة ببشاشة " والآن اخبريني كيف عرفت بحفل اليوم ؟"

رفعت نورا عينيها نحو هيثم لتقول " زوجك اخبرني ..."

فكر شاهين وهو يراقب حديث الفتاتين ان هناك شيء ما لايعجبه ! تلك الفتاة المدعوة نورا كانت جذابة جدا بفستانها الذهبي ذي الحمالات الرفيعة كاشفا عن بشرة برونزية مميزة ، شعرها الكستنائي مجعد قليلا وقصير لايتعدَ طول رقبتها .. عدا هذا لاشيء مميز في ملامحها الا تعابير من الثقة وتألق نابع من عمق تلك الثقة ..

انطلقت الفتاتان في حديث بشوش عن الموضة لهذا العام بينما شاهين يلمح هيثم الجراح ينسحب بسلاسة بعد ان القى تحية مرحبة عابرة لنورا ، انسحب السيد العظيم لكن ظلال من ابتسامة ساخرة نحو الفتاتين جعلت شاهين يتضايق اكثر خصوصا وهو يرى شهرزاد تفقد تركيزها بوضوح مع صديقتها لتعاود عيناها البحث عمّن تعشق !

هذه المرة لم يبال شاهين وهو يستدير بهدوء ليغادر الحفل دون وداع صاحب المكان او استئذانه تاركا خلفه تلك المرأة العاشقة تتوسل لزوجها مع كل حركة والتفاتة ونظرة ان يعطيها شيئا واحدا .. قلبه !

بعبوس مستفهم وضعت سمارا قدح الشاي على مائدة الطعام امام شاهين الذي يجلس على احد كراسي المائدة بشرود عميق ..

لاتعرف ماذا حصل معه في الحفل لكنها تفاجأت من حالته هذه التي لاتصيبه الا عندما تتصل به والدته تدعي اهتماما غير حقيقي به بينما هي تتصل لتأدية واجب وارضاء لضمير امومتها المتغافل !

ظلت تقف الى جانبه وعبوسها يزداد لانه لم يتنبه لها اصلا ! نظرت لشعره المشعث وربطة عنقه المحلولة تماما وقد تخلى عن سترته وفتح الزرين العلويين من قميصه .

يبدو ظاهريا كما هو عادة لكن فيه شيء مختلف ، انه متضايق جدا ولايعرف كيف يعبر عن ضيقه ..

تنحنحت بقوة قبل ان تناديه بقوة " شاهين ! "

ارتد رأسه ليرفعه اليها قائلا بعبوس حانق " ما بك سمارا ؟! لقد اجفلتني ! "

ردت وهي تضيق عينيها " ماذا حصل في الحفل ؟ "

اغاظها ان يتجاهلها وهو يعيد رأسه للامام مادّا يده ملتقطا قدح الشاي ليرتشف منه بهدوء ثم قال " لم يحدث شيء "

زمّت شفتيها لتقول بعدها ببعض اللطف " اذا لم تكن استفدت شيئا في هذه الحفلة فلا بأس ، لاتقلق لن اؤنبك .. "

ضحك بخفة وهو يعاود الارتشاف من القدح ليقول باستفزاز " ادعي اللّه اني لم افسد الصفقة الوحيدة التي حظينا بها من السيد العظيم "

رددت سمارا ببلاهة " السيد العظيم ؟! "

لم يرد عليها لتضيف باستدراك " آآآ ... انت تقصد هيثم الجراح اليس كذلك ؟! "

لتتسع عيناها على حين غفلة وتقول بجزع " لاتقل انك فعلت شيئا هناك ضايقه وقد يتسبب في خسارتنا للصفقة ؟؟"

رد وهو يهز كتفيه بلا مبالاة " لم افعل شيئا !"

تنهدت ببعض الراحة لكنها تشنجت وهو يضيف ببساطة " عدا انني غادرت حفله السخيف دون وداعه .."

زفرت باحباط وهي تسحب كرسيا لتجلس عليه وتقول " لماذا فعلت هذا شاهين ؟! انهم أناس يهتمون بهذه الاصوليات ، لماذا لم تتصرف للنهاية كما يجب ؟!"

عاود هزّ كتفيه مدعيا اللامبالاة لكن سمارا استشعرت ذبذبات لم تعجبها منه !

سألته بفضول " ما بك شاهين ؟ لماذا يضايقك هيثم الجراح لهذا الحد ؟! لقد التقينا بمن هم اسوأ منه واكثر غرورا وتعجرفا وهم لاشيء اصلا ! "

قال شاهين ببعض الغموض " لااعلم .. لكني لااستسيغ التعامل معه "

ثم التفت نحوها برأسه ليقول بابتسامة صبيانية واسعة " لاتقلقي ساصلح الامور غدا وادّعي حصول طارئ عائلي جعلني اغادر بهذه الطريقة الفظة "

لم تضغط عليه رغم شعورها انه يخفي امرا عنها لكنها تعرف انه سيتكلم عندما يكون مستعدا او راغبا حقا في الافصاح ..

نادى والد سمارا من مكان جلسته في الشرفة المفتوحة على الصالة والمطلة على الشارع " شاهين... توقف عن الثرثرة مع ابنتي عن العمل وتعالَ اشرب شايك معي ودعنا نتحدث عن امور اكثر اهمية كغلاء الاسعار مثلا !"

تبسّم شاهين وهو يقف على قدميه ليغمز لسمارا وهو يلتقط شايه ويرد على والدها قائلا " نعم عمي ... قادم ...."

ثم همس لسمارا بملامح مغيظة " اين معجبتي الصغيرة ؟! لقد تأخرت ... هل انت متأكدة انها لاتسعى في هذه اللحظات لقلب نظام الحكم في البلاد ؟؟ لقد اصبحتم عائلة مريبة هذه الايام ! "

ضحكت سمارا رغما عنها بينما تحرك شاهين مبتعدا عنها وهو يشاركها الضحك ..

اخذت سمارا تنظر اليه من الخلف وقد اعتراها شعور بالاحباط فهمست لنفسها بحنق موجه اليه " كنت اعرف انك لن تعود بصفقات جديدة ! "

ثم تنهدت لتضيف بقلق " اتمنى فقط انك لم تفسد الامور مع السيد العظيم ! "

صوت فتح قفل باب الشقة جعل سمارا تعبس وهي تقف على قدميها لتتخصر وهي تنتظر اختها الصغرى لتدخل ...

رأتها ببنطالها الجينز وسترتها الخفيفة السوداء وقد تشعث شعرها قليلا ..

التفتت هديل بعد ان اغلقت الباب لترى اختها الكبرى في حالة تحفز مألوف ..

ابتسمت لها ابتسامة استرضائية وهي تقول بنعومة متعمدة " لاتغضبي سمارا ، اعرف اني تأخرت قليلا اليوم لكني اضطررت لمرافقة صديقتي لبيتها لانها لم تكن بحالة جيدة "

ردت سمارا وهي تتقدم نحو اختها " هذه ثالث مرة خلال اسبوع واحد يا فتاة ! قلت لك لاتفعليها مرة اخرى مهما كان السبب "

ردت هديل بضيق " اقسم لك اني لم اتعمد ذلك ، لكني لم استطع تركها تعود بمفردها في المواصلات ، كانت متوعكة جدا .."

تكتفت سمارا وهي ترفع حاجبيها قليلا لتقول بعينين شبه مغمضتين " هل زيد كان معكما ؟!"

ردت هديل بعبوس " اجل .. وماذا في ذلك ؟! لماذا لاتستلطفينه ؟ انه مؤدب جدا معي وقد عرض علينا ايصالنا بسيارته وعندما رفضنا قال سيرافقنا بالحافلة ثم يعود لاخذ سيارته من امام الجامعة "

ردت سمارا بابتسامة ساخرة " كم هو لطيف ! لااعلم كيف يتكبّد كل هذا العناء لاجل صديقتك !"

شعرت هديل بضيق اكبر وهي تدافع عن زيد قائلة " نعم لقد تكبد العناء فعلا ، ويجب ان نشكره لا ان نشكك في نواياه "

ثم تحركت هديل بخطوات حانقة نحو غرفة نومها عندما تناهى لاذنيها صوت ضحكات والدها مع ... شاهين ..

اسبلت هديل اهدابها وهي تقول بصوت محايد " هل هذا شاهين الذي يضحك مع والدي في الشرفة ؟ "

اخذت سمارا تلملم خصل شعرها الثائرة وهي تتجه نحو المكتبة الخشبية الصغيرة لتفتح احد ادراجها وتستخرج مشبكا للشعر بينما ترد على اختها الصغرى قائلة " اجل .. اذهبي وسلمي عليه لقد سأل عنك .."

ابتسمت هديل ببساطة وهي تمتم " حسنا .."

ثم تحركت لتضع حقيبتها ومحاضراتها على مائدة الطعام لتتوجه بعدها نحو الشرفة بخطواتها الواسعة ..

" مساء الخير .."

التفت رأس والدها اليها قبل رأسه هو ليرد والدها اولا وهو يقول ببعض التأنيب " مساء الخير يا ابنتي ، ها انت تتأخرين مرة اخرى ! "

منحته هديل بابتسامة لامعنى لها بينما يقول شاهين ببشاشة " كيف حالك يا مشاغبة قسم الاعلام ؟"

ضحكت هديل وهي ترد ببشاشة مماثلة " لقد اخبرتك سمارا اليس كذلك ؟! لكن اقسم لك اليوم تحكمت بغضبي ولم أفْقدْ اي ثورة في الحرم الجامعي !"



حرّك حاجبيه بطريقته المرحة وهو يقول بلهجة تآمرية " متى ما قررت اعلان الثورة انا موجود دائما لحمل اللافتات بشعاراتها المعترضة "

ضحكت هديل مرة اخرى بينما تميل لتقبل خد والدها وهي تقول لشاهين " سأتذكر عرضك الكريم "

ربّت الاب على خد ابنته بحنان ثم قال " اذهبي وكلي طعامك يا صغيرة ، لابد انك لم تأكلي شيئاً ذا قيمة منذ الصباح "

اكتفت هديل بالابتسام واستدارت وهي تلوح لشاهين بينما تتنفس الصعداء راحة لوجوده !

انه الوحيد القادر على امتصاص نقمة والدها الدائمة وتذمره الذي لاينتهي وجعله اكثر استرخاء و .. حنانا ...

همست في سرها " احب وجودك دوما .. شاهين "

معلقا سترته بطارف سبابته راميا اياها خلف كتفه بينما يتهادى في مشيته داخل جناحه الخاص ...

سمع صوت تحركات شهرزاد في الحمام المرافق للجناح الانيق فلم تتغير ملامحه بينما يقترب من خزانة ملابسه ليفتحها ويعلق سترته

ثم حل ربطة عنقه وعلقها ايضا قبل ان يبدأ بفتح ازرار قميصه بينما يده الاخرى تلتقط قميصا آخر !

سمع صوت باب الحمام يفتح وهو يخلع قميصه ليرميه في سلة قريبة بينما يرتدي القميص الآخر ..

صوتها جاء مجروحا بالخيبة وهي تهمس " هل ستخرج ... هيثم ؟! "

التفت نحوها بهدوء لامبالِ ، اخذ يتطلع اليها بصمت .. عيناه انسابتا على قدها الممشوق في قميص نوم ساحر بلون البحر بفتحة جانبية من الامام ممتدة من اعلى فخذها الايسر الى اسفل ساقها ، فظهرت تلك الساق النحيلة باغراء نابض كاغراء الكتفين المكشوفين تحت حمالتين شديدتي الرقة ...

امال رأسه وقد توقف عن غلق ازرار قميصه ليقول بصوت تلوح فيه سخرية مرحة " ما دمتِ تريننى ابدل قميصي فمؤكد سأخرج .."

ارتباكها الطفولي استجلب ابتسامته بينما يراها تتلكأ بين التقدم نحوه او الثبات في مكانها !

يمتعه –احيانا- ان يراها بهذه الحالة !

اخذت ترتعش باضطراب واضح فرفع حاجبيه
ببعض الدهشة ليقول " ما بك شهرزاد ؟
لاتبدين بخير "

ادارت وجهها جانبا لتغلق عينيها مما جعله
يتذوق طعما مألوفا لديه .. انه طعم ... الملل !

عاد لاغلاق ما تبقى من ازرار مفتوحة وهو
يقول ببرود " سأتاخر الليلة فلا تنتظريني "

التفت قليلا عندما جاء همسها مشحونا وهي
تقول " مضى ... زمن .. لم .. لم ..."

عاود النظر اليها بعينين حادتين ليسأل بلهجة
قاسية " ما بك شهرزاد ؟ قولي ما عندك.. لا
احب انهياراتك العاطفية الصامتة هذه
ولاافهمها ! وليس لدي الوقت لادلّلك حتى
تبوحي بما يؤرقك منذ فترة !"

اختنقت كلماتها وترقرقت الدموع في عينيها
وهي تهمس بتقطع متعثر " لماذا .. لاتقـ...
لاتقربـني ؟! لقد مضى .. زمن ... منذ ... آخر
.. مرة ! "

قالت جملتها المخنوقة ووجهها يتضرج
بالحمرة القانية مما اثار ضحك هيثم !

هطلت دمعتها يتيمة بينما تراقب بألم اهتزاز
جسده بالضحك ! لم تجد قدرة على
التحرك في أي اتجاه بينما تنتظر منه تجاهلا
جديدا ليتركها لوحدتها المعذبة ..

فاجأها وهو يستعيد هدوءه بأن تقدم نحوها بدلا من ان يبتعد !

عيناه الزرقاوان كانتا تلتمعان بالشقاوة الساخرة وابتسامته الجذلى داعبت قلبها لتتلاعب بنبضاته كيفما تشاء ...

صوته اصبح ابحاً وهو يقف قبالتها مباشرة ويقول " لااصدق بعد اربع سنوات زواج ما زلت تحمرين لذكر المعاشرة الزوجية ! "

ارتعشت بعجز بينما يمد يده بثبات ليمرر اصابعه على كتفها بخفة مضيفا بنبرة لم تفهمها " هل تشتاقين لمعاشرتي يا شهرزاد ؟"

شهقت بنعومة وهو يزيح بهدوء طرف الحمالة الرقيقة ليهمس باستفزاز " ترى ماذا ستقدمين لي بالمقابل اذا منحتك ما تشتاقين اليه ؟ "

ردت بهمس مرتجف " سامنحك دوما اعز ..ما املك ... قلبي .."

ضحكة خافتة تميل للسخرية بينما يميل بشفتيه ليقبل كتفها بحرارة ارعشتها ثم قال بتملك " قلبك لي منذ طفولتك ! لكن ربما تمنحيني شيئا جديدا آخر لااملكه ..."

همست بضياع " ماذا ... تـ... تقصد ؟!"

رد بتفكه " هذا جزء من السحر يا شهرزاد ان تكتشفي الجديد بنفسك وتمنحيني اياه ! "

ابتعد قليلا فجاء همسها يائسا متوسلا وهي تقول " هل .. ستتـ..تتركني .. الآن ؟؟"

ابتسامة صغيرة ثم احنى رأسه قليلا ومد يده نحو جيبه ليخرج هاتفه النقال فيغلقه بحركات هادئة ثم رماه بعيدا ، بعدها وببطئ مثير اخذ يفتح ازرار قميصه التي اغلقها للتو وهو ينظر بسخرية جذابة لوجهها المحمر ويراقب باستمتاع انفاسها التي اخذت بالتسارع ..

خلع قميصه ورماه ارضا باهمال ثم دون كلمات مد يديه لتزيحا عنها قميص نومها بسلاسة حتى سقط ارضا عند قدميها وبينما هي ترتجف باستسلام قال بنبرة غامضة "

شهرزادي تشتاق ...! لابد اني اهملتها كثيرا الفترة الماضية لاجعلها تكسر حاجز خجلها الازلي وتطلب معاشرتي بهذه الصراحة المسلية ! "

مضطجعا على السرير متوسدا ذراعه اليسرى ، عيناه تراقبان ظلمة السماء عبر النافذة المفتوحة ، ابتسم وهو يفكر انه كائن ليلي ! انه يحب الليل .. يحب ان يجوب الشوارع المظلمة الهادئة وكثيرا ما فعلها لكنه الليلة لاتغريه الفكرة رغم احتياجه لها ...

ذهابه لبيت سمارا خفف عنه الكثير من الضيق الذي تملكه في حفلة هيثم الجراح .

همس دون وعيه " شهرزاد "

عقد حاجبيه وهو يستغرب رنة حروف اسمها التي انطلقت من شفتيه ...

عاود ترديد اسمها متعمدا بعض الجدية

" شهرزاد "

ضحك ضحكة قصيرة ثم حدث نفسه بصوت مسموع " لافائدة يا شاهين فاسمها موسيقيّ وله وقع خاص على الاذنين ، اسم قادم من بلاد السحر الذي يبدو انها تؤمن به لتقودها خطواتها نحو المشعوذين "

تذكرها هائمة كفراشة حائرة تبحث عن لهب من تحب لتحترق فيه راضية !

اثارت شفقته الى ابعد حد ، دوما يستشعر هذا الضعف في نفسه نحو الاناث ، ضعف لضعفهن !

واشفاقا على قلّة حيلتهن خصوصا في مجتمع لايرحم ونفوس جُبلت على التجبّر على أي ضعف انساني ...

رن هاتفه بصوت المنبه فضحك وهو يلتقطه من المنضدة الجانبية للسرير فيقرأ التنبيه اليومي الذي وضعته له سمارا مع ملاحظتها الحانقة (اذهب للنوم انه منتصف الليل ! لدينا عمل في الصباح الباكر)

اطفأ المنبه واعاد الهاتف لمكانه ثم انقلب على بطنه محتضنا وسادته بدل ان يتوسدها !

حرك الغطاء بساقيه ببعض التضجر فوقع الغطاء ارضا ليستقر جنب بضعة قطع من الملابس رميت باهمال خلال الايام السابقة بانتظار صاحبها التحنن عليها والتقاطها ليضعها في مكانها المناسب ايّا كان !

اغمض عينيه وتململ جسده متحركا كعادته في السرير حتى استقر اخيرا لينام قرير العين ..

احلامه تداخلت ما بين هاربة ملثمة تركض باكية هائمة على وجهها وبين سمارا التي تناديه ليصحو وبين والدها الذي يضحك على طرفة قالها له وهديل تبتسم فقط ...

حتى وجدت اشعة الشمس طريقها لجفنيه المغلقين تداعبهما بمشاكسة حتى توقظه من غفوته .

عقله يحثه على النهوض بينما طرق خفيف لحواسه لافتقاد شيء ما اعتاده ومألوف له ..

أنقلب على ظهره ليفتح جفنيه بتكاسل بعد لحظات ، رمش قبل ان يطالعه سقف غرفته بلونه الرمادي ، عبس وهو يقول " ما هذا اللون القبيح الذي اصطبح به كل يوم ؟! "

ثم بكسل عاود الانقلاب على جانبه وهو يتمتم " عليّ ان اطيع سمارا واجدّد طلاء الشقة على الاقل "

فجأة تنبهت حواسه ليفتح عينيه بصحوة وهو يتمتم " سمارا لم تتصل لتوقظني من النوم كعادتها !"

لايعلم لمَ اقلقه الامر فاستقام بجذعه وبحركة آلية مد ذراعه جانبا نحو المنضدة ليلتقط هاتفه النّقال ، عبس لان الساعة تشير الى الثامنة صباحا و هذا يعني انه تأخر جدا بالنوم ثم عبس اكثر وهو يقول لنفسه بصوت مسموع " لماذا لم تتصل بي سمارا ؟!!"

ضغط على الزر المناسب ليتصل بها وعقله يفكر انها لم تتخلف يوما عن الاتصال به صباحا منذ ثلاث سنوات تحديدا عندما حصل أن فاته موعد مهم مع عميل مما اثار غضبها لانها علمت انه اغلق المنبه الذي وضعته له للاستيقاظ عند السابعة صباحا وعاود النوم بكسل !

تحرك من سريره والقلق يتزايد بينما لايصله ردا منها !

عاود الاتصال وهو يتحرك نحو خزانة ملابسه بعجالى بينما ينتظر رنين جديد .. ولكن .. ايضا ... لم ترد !

شتم ثم قال وهو يتطلع للهاتف في يده بغيظ " ماذا حصل معك سمارا ؟!! لماذا لاتردين ؟!!"

ترك خزانة الملابس وتحرك نحو الهاتف الارضي واتصل على هاتف شقتها وتفاجأ عندما لم يصله رد ايضا !

وكمحاولة اخيرة اتصل على هاتف هديل وبعد ثلاث رنات اصابته باليأس ردت ...

حمد الله وهو يسمع صوتها تقول " مرحبا شاهين "

زفر ببعض الراحة ثم قال بحنق " مرحبا ... ماذا يحصل مع اختك ؟! اتصل بها ولاترد ؟؟ وحتى الهاتف الارضي لايجيب عنه احد منكم ؟! "

صدمه ان يسمع صوت هديل وهي تنفجر بالبكاء ! قال وهو يحاول السيطرة على قلقه المرتعب " ماذا حصل هديل ؟ هل سمارا بخير ؟"

ردت بين شهقات البكاء المختنقة " أأ.. أأجل .. انها ... بخير ... لكن ... وال....والدي ...."

سألها بثبات وهو يحاول تهدأتها " اهدأي عزيزتي ، انا معك ..لاتخشي شيئا ، فقط اخبريني ماذا حصل لوالدك ؟"

قالت بتهددج طفولي " لقد .. ضاق نفسه عند صلاا..صلاة .. الفجر ... ونقلناه .. الى المســ...تشفى ... كان ... يتألم "

لم يحتج شاهين لسماع المزيد وهو يتحرك بسرعة عائدا لغرفته بينما يقول لها برقة " لاتقلقي .. الامور ستكون بخير ، فقط اعطني عنوان المستشفى الذي انتم فيه .."

اخذ العنوان منها واغلق الاتصال ليغير ملابسه بسرعة قياسية ثم خرج مهرولا من شقته ..

شتم وهو ينطلق بسيارته ويتمتم " ايتها الغبية ! لماذا لم تتصلي بي لاكون معكم ؟!"

عندما وصل المستشفى توجه نحو الطوارئ اولا وهناك اخبروه ان والد سمارا تم نقله لقسم آخر من اجل اجراء فحوصات دقيقة لقلبه وصدره ... وعندما ذهب للقسم المعني وجد الاثنتين معا ، سمارا وهديل ...

سمارا ترتدي معطفا طويلا باليا فوق قميص نوم على الارجع وشعرها مشعث تماما بينما تجلس بتوتر شديد على حافة الكرسي قبضتيها متشنجتين في حجرها بينما هديل بملابسها المعتادة من جينز وبلوزة قطنية تحني رأسها لتتسلط نظراتها على ارضية الممر وهي تتحرك ذهابا وايابا بخطوات لاتعرف هدفها حقا !

اقترب منهما وهو يقول بهدوء " مرحبا .. هل من اخبار عن حالته ؟"

التفتت سمارا بوجهها اليه وهي تقول بارتجاف " لانعلم شيئا ، فقط .. طبيب الطوارئ شك في اعراض ذبحة صدرية ! لذلك .. هم يجرون له ..فحوصات الآن .."

هزّ رأسه ولم يعقب بينما التفت نحو هديل التي ما زالت تتحرك بنفس الطريقة فاقترب منها وبلطف امسك اعلى ذراعها ليقول برقة " تعالي عزيزتي ، تعالي واجلسي .."

رفعت عينين لامعتين بأثر الدموع لتهمس بحشرجة " لااريد الجلوس شاهين .. انا ... خائفة .. خائفة جدا ... لم يعد لنا الا هو ، لااحتمل ان افقده كأمي .. لن احتمل شاهين "

ثم ودون شعورها احنت رأسها لتسند جبينها على كتفه واخذت تبكي بحرقة مؤلمة ..

عينا شاهين التقطتا سمارا في جلسة شجاعة تأبى ان تنهار لانهيار اختها بينما تتطلع بثبات الى الامام وعيناها تحدقان في الفراغ ...

بعد فترة ليست بالطويلة خرجوا جميعا من المستشفى بملامح متناقضة !

لايعرف شاهين كيف استطاع التصرف بنضج دون ان ينفجر ضاحكا بل ويتلوى جسده على الارض من شدة الضحك !!

نظر شاهين بطارف عينه لوالد سمارا بملامحه التي تنضح خجلا بينما يسير متسندا على ذراعه في ادعاء واهٍ بالتعب يغطي به على شعوره بالخزي !

هديل سابقت الريح وموجات الغضب الصامت تحاوطها من كل جانب اما سمارا ورغم ملامحها التي لاتعبر عن شيء الا انه يعرفها جيدا ليدرك انها تستشيط غيظا !

حقيقة كان الموقف دراميا جدا لينقلب فجأة لكوميديا ساخرة !

فحالَ خروج الطبيب اخبرهم بابتسامة مرحة ان الوالد لايعاني من اي ذبحة صدرية وانما هي اعراض مشابهة تطرأ على من يشعر بالقلق او حتى الكآبة فتصل لنوع من الهلع المتفاقم ..

ثم نظر اليهم الطبيب ليقول بابتسامة بشوشة " والدكم يتدلل عليكم قليلا ليختبر محبتكم له على ما يبدو !"

وفي النهاية خرج الاب سليما معافى لايشكو الا من غضب ابنتيه لاثارة هلعهما عليه دون سبب حقيقي ..

اوصلهم شاهين بسيارته للمبنى حيث يسكنون وقبل دعوة والد سمارا ليشاركهم الافطار ،

لكن هديل التقطت محاضراتها وودعتهم ملوحة بيدها دون ان تشاركهم الفطور بينما تتكلم عبر هاتفها النقّال وتقول " قادمة رُبى اخبري زيد ان لاداعي لكل هذا القلق "

ما ان اغلقت باب الشقة خلفها حتى مال شاهين نحو سمارا ليهمس في اذنها " من زيد هذا ؟! هل هو منافسي على قلبها ؟!"

كزّت سمارا على اسنانها وهي تحدجه بنظرات نارية بينما هو يرمقها بنظرات متسلية !

صوت نداء الاب وهو يطلب الفطور بطفولية كان انقاذا لشاهين من انفجار محقق للصهباء ...

بعد الافطار وبينما سمارا ترفع الصحون طلب شاهين كوبا آخر من الشاي عندها زجرته سمارا قائلة " انها التاسعة والربع ! اذهب من فورك لشقتك وابدل ملابسك المهلهلة هذه ببدلة محترمة ثم توجه مباشرة لشركة الجراح لانقاذ الصفقة "

حاول الاعتراض متذمرا عندما منعته قائلة بهمس غاضب " اذهب شاهين ،لقد تحملت الكثير اليوم ولم يتبقَ لي خزينا من الصبر !"

ابتسم لها بحنو وغمزها قائلا " لاتغضبي عزيزتي من والدك ، انه يشعر بالوحدة فقط ،

يشعر ان لافائدة مرجوة منه لذلك يحاول ازعاجكما قليلا مع اني اعترف انه تمادى قليلا هذه المرة "

قالت بهمس محبط حتى لايسمعها والدها الجالس على مسافة منهما يقرأ الجريدة " لقد تمادى كثيرا شاهين ! "

رد بابتسامته الرقيقة " الطبيب لم ينفِ شعوره بالضيق في صدره وانما والدك بالغ قليلا في اظهار الاعراض "

زفرت سمارا بقنوط بينما تراقب والدها الذي غفى جالسا على الاريكة بينما كان الجريدة تسقط في حضنه باستسلام ،

لامس قلبها وهي ترى نظارته الطبية تنزلق شيئا فشيئا لتصل طارف انفه بينما رأسه يميل جانبا ببطئ ...

قالت بعينين تلمعان بالرقة والحنو " لاافهم لِمَ يشعر ان لااهمية له ؟! اننا نحبه جميعا ونحاول ارضاءه بكل ما نستطيع .. "

رد شاهين وهو يمد يده ليربت على يدها قائلا " الرجل يحتاج ان يشعر انه المسيطر على بيته سمارا ، و هو بعد احالته على المعاش شعر ان دوره في حياتكما قد احيل على المعاش ايضا ! "

ضحكت لطرفته رغما عنها ثم اضافت وهي تتنهد " ألأنه لايعمل ولايجني مالا بالمقابل ؟! ولكنه هو الذي يصرف على البيت اكثر مني شاهين ، بمعاشه وما يتحصل عليه من ايجار الشقة الاخرى التي يملكها نحن نعيش مكتفين مرتاحين بحمد اللّه "

رد شاهين بلطف " ليس المال فحسب سمارا ، انه يحتاج ان يشعر انه الآمر الناهي في البيت ان تكون له اليد الطولى في اخذ القرارات التي تسير شؤونكم ، لكنه في نفس الوقت يدرك في قرارة نفسه انه لم يعد يستطيع ان يلعب هذا الدور "

عاودت التنهد وهي تتحرك قائلة " اذهب شاهين ، وأنا ساساعد ابي للذهاب لسريره ، سوف اتصل بالمكتب لارى سير الامور هناك وحالما اطمئن لاستقرار ابي سألحق بالعمل "

قال شاهين وهو يقف على قدميه " حسنا انا راحل واذا شعرت باحتياج والدك لك اليوم فلاتذهبي للمكتب "

هزّت رأسها بينما شاهين يلوح مغادرا بهدوء ..

غادر شاهين شقته وهو يبتسم بفخر ، لم يرتدِ بدلة انيقة وانما اكتفى بقميص ابيض بخطوط رمادية رفيعة وبنطال كحلي كتاني بسيط، والاكثر من هذا لم يرتدِ ربطة عنق !

دخل سيارته ليجلس في مقعده ثم اخذ يتطلع لنفسه في المرآة الامامية مبتسما لصورته التي تطالعه ببشاشة ..

قال غامزا لنفسه " انك وسيم يا رجل خصوصا اذا اعتنيت قليلا بترتيب شعرك الاشعث !"

ثم ضحك من نفسه وشغل سيارته وهو يقول بهتاف حماسي " الى السيد العظيم ..."

ارتقى درجات السلم حتى الطابق الاول من المبنى السكني الانيق وتوجه بمعرفة مسبقة نحو الشقة رقم (6) فمد يده ليقرع الجرس وانتظر قليلا قبل ان يفتح الباب وتطل عليه بفستانها الذهبي نفسه فابتسم لها بضراوة وهو يقول " ما زلت بنفس الفستان ؟! "

رفعت نورا حاجبا واحدا بجاذبية ثم قالت باغواء " هناك من همس في اذني بالامس بـ (لاتغيري فستانك هذا حتى آتيكِ)..."

ثم امالت رأسها جانبا لتضيف بصوت مبحوح ناعم " وانا كنت .. بالانتظار ! "

عندها لم تشعر الا وهو يدفعها بعنف عاطفي
ليدخل الشقة مغلقا بقدمه الباب وفي الوقت
نفسه يمد ذراعيه ضامّا اياها بنفس العنف
لصدره ليقبلها بعاطفة وحشية وهي تردد
اسمه بهمس منفعل بالتأثر " هيييثم ..."

الفصل الثالث

طبع قبلة على شفتيها قبل ان يبتعد بابتسامة تفيض رضا ليغادر السرير تاركا اياها في رضا مماثل !

وبينما يرتدي ملابسه استقامت بجذعها رافعة الغطاء تغطي عريها لتسأل ببساطة وهي تنظر لجسده باعجاب " هل تحبها هيثم ؟! "

التفت هيثم نصف التفاتة ليقول بملامح غامضة " سؤال في غير وقته ولا مكانه وقد تبادلنا مشاعر عنيفة للتو ! الا يكفيك اني شغوف بك انت ؟! "

عقدت حاجبيها لتقول وهي تستند بظهرها للخلف " انه مجرد فضول ! فلم افهم يوما طبيعة مشاعرك نحوها ، لن اصدق انها المصالح المشتركة بين العائلتين هي فقط ما يربطك بها ، استطيع ان استشعر بانها تمثل لك شيئا ما ! شيء غامض يتوهج بالتملك لكن رغم ذلك .. انت لاتحبها حقا "

ملامح وجهه تلبسها البرود الهادئ بينما يعقد ربطة عنقه باتقان امام المرآة ثم ببساطة استدار قليلا ليلتقط سترته ثم قال وهو يتوجه نحو باب الغرفة " اراك لاحقا نورا .."

نادته " هيثم ..."

التفت نحوها وهو عند الباب ليسأل ببساطة " نعم ؟ "

فعاودت السؤال بعينين لامعتين بالفضول " هل تحب شهرزاد ولو قليلا ؟ "

ابتسم وهو يهز رأسه مرددا بسخرية " فضول حواء ! "

ثم غادرها تاركا اياها في تفكير عميق بينما يتسلل اليها شعور مألوف متكرر ...

الشعور بالذنب السافر نحو ابنة عمها الوحيدة ... شهرزاد ... تلك الرقيقة ....الضعيفة !

شعورها بالذنب اعتادته منذ اليوم الاول الذي خفق فيه قلبها لعيني هيثم الجراح وهما ترمقانها باعجاب حار غاص لاعماقها واذاب شيئا فيها.. لا ... بل اشياء ! ...

لم يكن قد مضى على طلاقها الا بضعة اشهر لتجد نفسها محط اهتمام لايعرف الحدود من هيثم ! كانت جرأته في ابداء هذا الاهتمام منعشا لها ، محركا لانوثتها بشراسة ...ثم ... حصل ما حصل واستسلمت لتلك الشرارة التي انطلقت بينهما منذ عام كامل لتتأجج مع كل لقاء كنيران مستعرة لاتشبع من احتراق موقديها... فكانت اعلان الاستسلام الكامل قبل شهرين في ربوع لندن .. مدينة العشق التي احتضنتهما ، عشق حارق مؤلم كأدمان لاغنى عنه ولا شبع منه !

صوت الضمير (المنزعج) تحول همسا ضعيفا متباعدا وهي تتذكر بتلذذ لايقاوم كل لحظة قضياها معاً وكل همسة عشق تبادلاها وكأنهما يصرخان لايهمسان !

انها لاتقاومه كما هو لايقاومها ! وهكذا اصبحت بين ليلة وضحاها زوجة سرّية لهيثم الجراح ...

سر لم يصل لمسامع عمها نجيب وبالتأكيد لم يصل لاخيها سمير الذي يعيش في اسبانيا ..

حتى صديقاتها المقربات لم تخبرهن ، لاتريد ان يشاركها احد بمتعة ما تعيشه وما تشعر به ، انها تعيش مغامرة العمر مع رجل لايصدق !

لم تلتقي يوما برجل مثله بل لم تشعر ابدا بهذا الانبهار نحو اي شخص مر بها ! ولاحتى زوجها الذي تزوجته بعد قصة حب عنيفة في الجامعة لينتهي الزواج المتسرع بعد ثلاث سنوات فقط ، زواج كان شبه منتهٍ في سنته الاخيرة لينتهي فعليا بطريقة دراماتيكية بل اقرب للكوميديا السوداء عندما وجدته في سريرهما يوما يعاشر الخادمة الاسيوية !

رفعت يدها بتكاسل تمرر اناملها الرشيقة في خصلات شعرها التي تشابكت بجنون بفعل انامله هو ! ضحكت بخفة واخذت نفسا عميقا منتعشا صاخبا بالمتعة .... هكذا تحب دوما ان تعيش ....

حرة طليقة مفعمة بالحيوية ، والداها حرصا على ان تحيا هي واخوها بهذه الطريقة ، لقد هاجرا خصيصا لاوربا بصحبة ولديهما لهذا الغرض بالذات ...كانت هي لاتتعدَ الخمسة اعوام بينما سمير في الثالثة ...

التمعت عيناها بالحنين ، ما زالت تفتقدهما حتى بمرور عامين كاملين على وفاتهما ، لقد خسرتهما معا في حادث طائرة بينما كانا في رحلة استجمام ...

ابتسمت وهي تفكر انها سعيدة جدا لانها تحمل روحيهما المفعمتين بالحياة ...

ابعدت الغطاء عنها وهي تتمطى لتقف على قدميها وتسير برشاقة نحو الحمام .. عارية تماما .. حافية القدمين .. حرة من اي قيود ....

حالما تحرك بسيارته اتصل بها على هاتفها الخلوي ، قال بهدوء ما ان فتحت الخط " صباح الخير شهرزاد .."

جاء صوتها متميعا بنعومة من اثر النوم وهي تهمس بتعثر " صباح الخير .. لـ.. لقد خرجت باكرا "

رد بسخرية رقيقة " كان هناك امرا مهما أجلته منذ ليلة الامس بسببك "

ضحك بخفة وحشرجة انفاسها تصل اذنيه لتهمس اخيرا بنبرة تقطر شعورا بالذنب " اسفة .."

قال ساخرا " هل تأسفين حقا ؟!"

صمتت ... فلم يعلق بالمزيد ليعاوده الهدوء وهو يقول بجدية " اريدك ان تحضري للشركة بعد ..." صمت للحظة لتقرأ عيناه ساعة السيارة امامه ثم اكمل " بعد اقل من ساعة .."

تفاجؤها كان واضحا وهي تسأله " لماذا ؟! "

تململ من المحادثة فقال باختصار " فقط احضري في الموعد شهرزاد ، انا متأخر بما فيه الكفاية لاشرح لك الاسباب "

ثم اضاف ببعض النزق دون ان ينتظر منها ردا او تأكيدا " الى اللقاء .."

اغلق الخط بينما شهرزاد تتمسك بهاتفها وشعور بغيض بالدونية يعاودها !

ليلة الامس لاول مرة تطلب وداده ! لاول مرة تطلب هذا الوصال الجسدي بشكل مباشر كتعبير عن حاجتها للحب منه ...

انه لايقول الكلمات ... ابدا لايقولها ...
ولايعبر عنها جسديا حتى !

ربما يظنها غبية ، لكنها ليست كذلك ، انها تعرف ما ينقصها وتبحث عنه ! تبحث عن هذا النقص الذي يقتلها ببطئ وهي تتلمس طريق الافعال فتتوه فيها وقد عجزت عن فهم زوجها بعد كل هذه السنوات ..

تحركت من السرير مغادرة اياه وهي تلف الغطاء حولها بينما عيناها تبحثان عن قميص نومها ، رأته حيث هو متكوما في نفس المكان حيث جردها هيثم منه ليلة الامس بسهولة غريبة كما جردها من اي شيء آخر وبنفس السهولة !

دموع خجولة ترقرقت في عينيها وهي تتحرك نحو قميص النوم وتنحني لتلتقطه من الارض بيد مرتعشة ..

همست باختناق " ماذا افعل بعد ؟ ماذا تريد مني اكثر من هذا يا هيثم ؟ انا لاافهم حتى ما ينقصنا حقا ! ما ينقصني لاكون جديرة بقلبك ! "

انهارت ساقاها ببطئ حتى اجلستاها ارضا والكلمات تتعثر باليأس والألم الموجع " قلبك دحر حتى السحر يا هيثم ! ... دحره .. ودحرني !"

انهارت اخيرا لتجهش ببكاء ناعم ضامّة قميص النوم لصدرها وكأنها طفلة تبكي على لعبة خيبت ظنها ولم تكن كما حلمت انها ستكون !

نقر على الباب اجفلها فسارعت لضم الغطاء حولها وهي ترد بصوت مرتجف " من ؟؟"

ردت تلك الخادمة اللجوجة " انا ام سعيد سيدتي ، هلا سمحت لي بالدخول ؟"

عقدت شهرزاد حاجبيها بانزعاج شديد ، لم تعد تطيق ام سعيد وهي تحوم حولها تهمس في اذنها باسماء الدجالين والعرافين وتعدها بأكسير السعادة المتعطشة لها بين ثنايا عوالم مجهولة !

ردت شهرزاد بنبرة تصرخ بالضيق والعجز والألم " اذهبي الآن ام سعيد فلدي امور مهمة انجزها"

سمعت هسهسات التذمر تنطلق من فم المرأة الخمسينية وهي تبتعد عن الباب ...

تلك المرأة اصبحت اكثر جرأة في التحدث معها بعد ان كانت سابقا تتصنع التذلل وتبثها المحبة الزائفة !

ضاق صدر شهرزاد وهي تتمتم " يا الهي ... الى اين اسير اتخبط هكذا ؟! " اضافت بحشرجة " ادور في فلكه وهو يغيب بكليته عني !"

راقب شاهين وببرود شديد (السيد العظيم) وهو يتكلم مع مساعده المتأنق حول اوراق الاتفاق المهيئة للتوقيع ، قال في سره وهو يتطلع اليه " ايها المتعجرف ! تظن ان بامكانك استصغار الناس واستضعافهم لمجرد انهم لايتوافقون مع معاييرك العظيمة !"

عندما دخل مكتب هيثم الجراح قبل ربع ساعة مد يده للمصافحة وهو يواجه نظرات هيثم التقييمية المتدنية بابتسامة باردة لامبالية ، كم كان سعيدا لانه تدرب على هذه الابتسامة في المرآة الامامية لسيارته قبل ان يترجل منها !

فليذهب هذا المتعالي للجحيم بتأنقه اللامع !

تحولت عينا هيثم الجراح من مساعده ليوجهها نحو شاهين قائلا ببروده العملي " حسنا سيد شاهين لقد اجرينا التعديلات التي طلبتها على الاتفاق " ثم اضاف بابتسامة جانبية متكلفة " اعترف انك ذكي جدا في الحصول على ما تريد عندما تشاء "

لم يبدِ شاهين اي ردة فعل على مديحه هذا والتزم بنفس الابتسامة اللامبالية ..

مد هيثم يده باوراق الاتفاق وهو يقول " لو سمحت وقّع على الاوراق " وبينما هو يقول هذا كان يخرج قلما فضيا انيقا وناوله لشاهين .

فتح شاهين غطاء القلم لكنه رفع الاوراق اولا ليقرأها بنظرة سريعة ثم عاود خفضها الى سطح المكتب واستخدم القلم ليوقع على كل ورقة كما هو مطلوب بينما عيناه تلتقطان توقيع هيثم الجراح في الجانب الآخر من كل ورقة ، لم يرَ في حياته توقيعا اشد تعقيدا من هذا !!

عندما اكمل المهمة اعاد الاوراق اليه وبحركة آلية اوشك شاهين ان يمد يده ليلتقط غطاء القلم لكنه تنبه لحركة عفوية من عيني هيثم وهو يراقب ما ينوي ان يفعله !

ارتفع حاجبا شاهين قليلا وفي لحظة مشاكسة طفولية غلبته وبدلا من ان يلتقط الغطاء وضع القلم بلا مبالاة على سطح المكتب ..

كان مستمتعا وهو يرى هيثم الجراح يكلّم مساعده بينما عيناه تنظران للقلم والغطاء الملقى بجانبه ، كان مغتاظا !

كم هو رجل يحب السيطرة والتسلط حتى على صغائر الامور حوله !

وكما توقع حالما تحرك مساعده مد هيثم يده ليلتقط القلم وغطاءه ثم يعيدهما لبعض باعتناء ..

وقف شاهين على قدميه وهو يقول بابتسامة مصطنعة " حسنا سيد هيثم سعيد لاتمام او اتفاق عمل بيننا ، اسمح لي يجب ان اغادر الآن فلا استطيع ترك مكتبي اكثر من ذلك "

رفع هيثم نظراته لشاهين وهو يتراجع بظهره ليسنده على كرسي ثم قال بهدوء " ما زال هناك امر اخر سيد شاهين اريده منك بشكل شخصي ، كنت انوي مفاتحتك به في حفل الامس لكن للاسف غادرت .. لأمرك الطارئ !"

لم تفت شاهين لمحة السخرية التي اسبغها هيثم على كلماته الاخيرة .

لم يظهر تأثرا وهو يضع يده في جيبه ويقول " ربما في فرصة اخرى سيد هيثم فكما اخبرتك سابقا مساعدتي سمارا التي اعتمد عليها في غيابي لتسيير العمل مجازة اليوم للعناية بوالدها المريض "

لكن هيثم رفع ذقنه قليلا وبعينين نصف مغمضتين قال " اعتبر نفسك انك ما زلت تتناقش معي حول الاتفاق "

اراد شاهين الاعتراض بلهجة باردة عندما فاجأه هيثم بالقول وهو يبتسم نفس الابتسامة الجانبية المزعجة " لايرضيك ان اطلب من زوجتي الحضور للشركة خصيصا لمقابلتك وانت تغادر ببساطة "

للحظة ارتبك ! وكان ممتنا لصوت مساعده الذي جاء في تلك اللحظة ليقول عبر الجهاز قائلا بصوته العملي البارد الذي يشبه الآلة " السيدة شهرزاد وصلت سيدي "

مال هيثم بجذعه ليرد عليه " حسنا دعها تدخل حالا "

لم يشعر شاهين انه عاود الجلوس الا عندما انفتح باب المكتب لتطل منها تلك الحسناء ليجد نفسه يقف مرة اخرى !

حاول التحكم بتأثره المشوش بينما يرى هيثم الجراح يغادر كرسيه ليقترب منها

بابتسامة واثقة بينما هي تبتسم اليه ببعض الارتباك !

بدت مثالا للحُسن الحزين ! بوجهها الناعم الرقيق ونظراتها التائهة الساحرة ...

رآى زوجها كيف لف ذراعه ليحتضن خصرها الرقيق والذي ابرز رقته حزام فضي رفيع . لايعلم لم تركزت نظراته على ذلك الحزام المبروم وتركزت اكثر على سبابة يد هيثم وهي تتحرك على الحزام بتلكؤ !

همست لزوجها ببشاشة ناعمة متطلعة بفرح لعينيه ومستندة بيدها على ساعده " مرحبا ..."

يا الهي ! لم يرَ زوجة مرتبكة مثلها !!

ما الذي ينقصها ليجعلها زوجها مشتتة هكذا ولاتدرك قيمتها !

تطلع نحوها ... قميص حريري اسود وبنطال فضي بقصة انيقة مستعرضة وقد تركت شعرها الجميل حرا لكنه مصفف بعناية واناقة ..

طوق فضي اعاد شعرها للخلف وابرز وجهها وقد انعكس لونه على اكسسوارات فضية زينت رقبتها ومعصميها ...

انها متكاملة ! يكفي تلك الرقة الفطرية التي تفيض منها لتلهب قلوب اقسى الرجال !

تماسك شاهين قليلا وهو يبتسم بأدب بينما هيثم يستدير بزوجته نحوه وهو ما زال يحاوط خصرها ليقول بابتسامة عملية " اعرفك سيد شاهين بزوجتي شهرزاد ، كنت اريد ان اعرفك بها البارحة .."

قال شاهين بصوت ثابت " مرحبا سيدة شهرزاد يسرني التعرف اليك ..."

ابتسمت ابتسامة ناعمة وهي تميل برأسها قليلا لتقول ببعض الحيرة " اعتقد اني رأيتك بالامس ، صحيح ؟ حتى اننا تكلمنا لكني اعتذر لااتذكر عن اي شيء تكلمنا "

حركة يد هيثم على خصرها استجلبت انتباه شاهين واثارت استغرابه ! كانت حركة تعكس انزعاجا ...

قال هيثم بصوت بارد وملامح حادة " لم تقل لي انك قابلت زوجتي سيد شاهين "

رد شاهين بهدوء ظاهري " انا لم اعرف انها زوجتك سيد هيثم ، التقيتها صدفة وكنت على وشك الارتطام بها فاعتذرت .. لم اعرف من هي اصلا مع احترامي لشخصها بالطبع .."

تفاجأ الرجلان وشهرزاد تضحك ضحكة متناهية بالرقة وتقول بوجنتين محمرتين خجلا " اسفة ! انا دوما ارتطم بالاشياء من حولي ، اعاني من مشاكل في التركيز "

ملهمة ! هذا ما فكر به شاهين ... انها امرأة ملهمة للرسامين لينالوا بهجة رسمها وهي تضحك بهذا الغنج البريء !

اكتفى شاهين بأن يتكلّف ابتسامة مجاملة بينما قال هيثم بعملية " سيد شاهين لن نؤخرك اكثر عن التزاماتك " ودون ان يلتفت لزوجته قال " شهرزاد منذ اشهر ارادت اخذ دورات في الحاسوب فهلا خصصت لها احدى الدورات التي تعطي في مكتبك ؟ "

اذا كانت الدهشة ما عبرت عنها ملامح شهرزاد فلا احد سيصدق حجم الصدمة التي تملكت شاهين ولا حجم ضبط النفس الذي مارسه ليمنع ظهور تلك الصدمة على وجهه ..

تنحنح اخيرا وهو يقول بصوت محايد " بالطبع سيد هيثم زوجتك مرحب بها دوما ، يوجد لدي مدربين محترفين ويمكنها المجيء في اي وقت .."

قال شاهين جملته الاخيرة وعيناه تنتقلان من هيثم الى شهرزاد التي تحولت تعابيرها من الدهشة الى البهجة وهي تتطلع لزوجها بفرح طفولي غامر !

ردّد هيثم برضا دون ان ينظر لزوجته " هذا ممتاز ... لم يبقَ الا ان تسجل لها عنوان المكتب .."

فجأة خاطر مر بعقل شاهين ... " يا الهي ... انها لاتعرف ان مكتبي في نفس مبنى ذلك المشعوذ ! "

وجد نفسه يقول بحمق اول ما خطر في باله " ارجو ان لاتمانع ان المدربين لدي هم رجال فقط فالمرأة الوحيدة استقالت بسبب حملها .."

هزّ هيثم كتفيه وهو يقول " ولماذا امانع ؟!!"

ابتلع شاهين ريقه بصعوبة ليقول بحمق متزايد " فقط احببت اعلامك فبعض الازواج يجدون الامر غير مقبول .."

ضحك هيثم بخفة ثم قال بتعابير ساخرة ترشح ببرودة صقيعية " لاأحد يجرؤ على النظر لزوجتي ..." ثم اضاف بعينين جليدتين " كما اني اثق باخلاقيات من تستخدمهم للعمل عندك ، لقد تأكدت بنفسي من سمعة مكتبك والعاملين فيه "

التزم شاهين الصمت العاجز خصوصا وهو يلحظ كيف احمرت شهرزاد ببعض الخجل مما قاله زوجها لكن شيئا ما دفينا تفيض به عيناها .. شيء حزين اقرب للانكسار !

فجأة قال هيثم وهو يتحرك مبتعدا عن زوجته متوجها نحو مكتبه " عليّ ان اسجل لها العنوان على ورقة هلا ساعدتني سيد شاهين " ليجلس هيثم على كرسيه وهو يستخرج ورقة فارغة قائلا لشاهين وهو يتأهب للكتابة " امليه علي انت لو سمحت حتى نتجنب اي خطأ في اي تفصيل "

لم يعرف شاهين ان يجد طريقة للتملص ! اخذ يشتم في سره بينما اخذ يملي عليه العنوان وعيناه تتركزان بقلق على شهرزاد التي كانت تتلاعب بعقدها الفضي ببعض الشرود ...

لكنها مجرد لحظة او.. لحظتين .. عندما توقفت عن التلاعب بعقدها لترفع رأسها بقوة وتوجه نظراتها المصدومة مباشرة نحو شاهين وقد بدأ الشحوب يتسحب بخبث ملعون ليكسو ملامحها الجميلة !

اتسعت عيناها لتهمس شفتاها بآخر جملة نطقها شاهين تخص العنوان ، قالتها معه بنفس الوقت .... (شركة الشاهين للحاسوب)

عفويا وبحركة من جسده تحرك شاهين ليتوسط مجال الرؤية بينها وبين زوجها فيكون كحجاب فاصل بينهما ..

اراد حمايتها من نظرات زوجها الذكية اذا التقط شحوب (المعرفة) هذا على وجهها !

شفتاها ترتشعان بينما عيناها تنطقان بمعرفة اخرى ، لقد تذكرته ! اجل يستطيع رؤية هذا بوضوح في نظراتها ، تذكرت رؤيته الاولى بعد خروجها ملثمة من ذلك المبنى ...

صوت هيثم كان قريبا منه وهو يقول بدهشة " هل تعرفين الشركة يا شهرزاد ؟! "

ادرك شاهين ان هيثم الان يقف على قدميه خلفه وقد تحرك جانبا لتكون شهرزاد في مرمى بصره كما ادرك ايضا ان هيثم التقط نطقها بأسم الشركة قبل ان ينطقها شاهين !

لم يكن شاهين بقادر على مساعدتها اكثر لكنه لم يتوانَ عن النظر نحوها بلطف ومنحها ابتسامة بثها دعم خفي أمل ان يصلها ويسندها ..

اسبلت شهرزاد اهدابها لتقول بصوت مرتعش قليلا " اجل لقد .. تعرفت على العنوان فأنا .. امر كثيرا من هناك عندما اذهب للتسوق وقد جذبني اسم... الشركة .."

تعمد شاهين التبسم وهو يلتفت نحو هيثم ويقول بمرح مموه " انها مساعدتي النشيطة التي اصرت على وضع لوحة اعلانية كبيرة للشركة خارج المبنى كما داخله .."

عينا هيثم تطلعتا نحو شهرزاد ليقول بهدوء " امر جيد انك تعرفين العنوان فلا تتوهي كثيرا وانت تبحثين عنه .. "

تمزق قلب شاهين اشفاقا لمحاولاتها المستميتة لاخفاء اضطرابها ولم يتفاجأ عندما قالت بتعثر " انا ... اعتقد ... ان الوقت غير مناسب ..لي.. الان ..لاشارك بدورة حاسوب .. ربما فيما ... بعد .."

ومما اثار اشفاقه اكثر مراعاتها له وهي تنظر اليه بأسف شديد قائلة برقة " اعتذر سيد شاهين لااقصد ان اكون فظة برفض الالتحاق بدورة لديكم ... لكني ... منذ تخرجي منذ خمس سنوات وعقلي ... في حالة ركود "

تحرك هيثم متقدما نحوها بخطوتين وقد بدا مستاءً بعض الشيء وهو يقول " منذ بضعة اشهر فقط ابديت رغبتك بالامر ؟! لماذا غيرتِ رأيك الآن ؟!!"

ابتلعت ريقها بوضوح وهي تتطلع لزوجها بعجز ، انها تخشى اغضاب زوجها تخشى خذلانه اكثر مما تخشى خذلان نفسها !

هذه المرأة ذاب شخصها في شخص زوجها فلم تعد ترى حتى نفسها الا من خلال رضاه ، رضاه الذي لاتحصل عليه ابدا ولذلك هي تائهة وضائعة لانها لاتجد نفسها !

اطبق شاهين فكيه بقوة من شدة غيظه وهو يلمح بطارف عينه كيف ينظر هيثم الجراح لزوجته نظرة باردة غير راضية ، نظرة تحطمها بلا شك !

تحامل شاهين على نفسه فقال بلطف شديد وقد اتخذ قرارا مغايرا لمنطقه " سيدة شهرزاد لاتترددي ، كثيرون يأتوننا غير واثقين بسبب تركهم للدراسة والعمل منذ سنوات ولكنهم يندمجون سريعا "

لكنها لا تنظر الا لزوجها لتهمس باسمه بقلق متزايد " هيثم ... أنا ..." صمتت ...

ما زال السيد العظيم على وقفته الحانقة وهو ينظر اليها ببرود مؤنب !

قال شاهين موجها كلامه لهيثم وهو يكتم غيظه باعجوبة " لابأس سيد هيثم ، انها بحاجة لبعض التشجيع فقط ، صدقني رأيت الكثيرين يترددون اكثر منها وهم يخشون الفشل ..."

ثم التفت شاهين بوجهه نحو شهرزاد ليسألها بلطف مشجع " هل استطيع سؤالك عن تحصيلك الجامعي "

نظرت اليه شهرزاد لترد بعفوية " انا خريجة لغات .."

عندها قال هيثم وهو يرفع حاجبيه قليلا " شهرزاد تعشق اللغات ، تجيد الفرنسية والاسبانية بالاضافة للانكليزية طبعا ، انها تجيدهم جميعا بطلاقة ..."

تلعثمت شهرزاد وهي تتجنب نظرات هيثم المؤنبة لتقول لشاهين في محاولة اخيرة للتهرب " مجال دراستي واهتماماتي بعيدة عن الحاسوب ، لذلك ربما اجد الامر صعبا جدا "

لكن شاهين قال بهدوء " الحاسوب دخل كل شيء .. لقد اصبح اجادة استخدامه ثقافة عامة مطلوبة من الجميع "

عندها قطع هيثم اي توسع آخر في المحاورة
وهو يقول بحزم وصرامة مبطنة " حسنا يبدو
ان السيد شاهين اقنعك ، خذي العنوان
عزيزتي واذهبي لمكتبه في صباح الغد ..."

تخسر هيثم الجراح ! لكنها لاتدرك ان
هيثم الجراح يتملكها بطريقة ما ، طريقة
قد لاترضيها وتشبع حاجتها للحب والاهتمام
لكنه يبقى متملكا لها بقساوة شديدة !

خرج شاهين من شركة الجراح شاتما حانقا ،
ركب سيارته وهو ما زال يشتم !

قال بصوت حانق مسموع " ما الذي ورطت
نفسك به يا شاهين ؟! لقد جننت تماما !"

انطلق بسيارته وملامح وجهها الخائفة
المرتبكة تطارد مخيلته ، انها تخشى ان
يعرف زوجها بذهابها للمشعوذ ، انها مرعوبة ان

ركنت سيارتها على قارعة الطريق وهي
تستشعر عدم قدرتها على التركيز بما يمنع
حصول حادث لها لو لغيرها !

كانت ترتجف بقوة كلما تذكرت ما حصل
في مكتب هيثم ، للحظة مرعبة تصورت ان
هيثم علم بذهابها للمشعوذ وانما كان يناورها
بطريقته الخاصة ليعلمها بالامر !

همست بضعف وهي تتراخى على مقود سيارتها

" غبية غبية ... لقد اظهرتِ رعبا لايضاهى امام رجل غريب ايضا ، كنت ستكشفين نفسك له كما كنت ستكشفين نفسك امام زوجك بحماقاتك ! "

اعادت ظهرها للخلف تسند رأسها على مسند كرسيها بينما تتابع بتشوش حركة السيارات ذهابا وايابا ..

عيناها التقطتا فتاة صغيرة تقف على الجانب الآخر من الشارع ، كانت لاتتعدَ السادسة او السابعة على اكثر تقدير بملابس رثّة ممزقة تدل على فقرها المدقع اما علب المناديل الصغيرة التي كانت تضمها لصدرها باحكام فقد دلّت على عملها الذي يمارسه اغلب اطفال الشوارع ...

رقّ قلب شهرزاد لوجهها الاسمر وقد احاطت به ضفيرتين صغيرتين تشعثت منهما شعيرات كثيرة ، بدت مثيرة للشفقة وهي تحاول عبور الشارع وملامحها تظهران ارتعابها بوضوح !

تخطو الخطوة الصحيحة لكنها تتراجع بها وهي تظن عدم نجاحها ! ثم تعاود المجازفة بتهور ليعلو صوت بوق احد السيارات راعبا اياها ومعيدا لها لنقطة الصفر !

همست شهرزاد باختناق وهي تتطلع للطفلة المذعورة " لست بافضل حال منك يا صغيرة ! على الاقل انت ...فعلا صغيرة ... بينما انا في السابعة والعشرين ولا استطيع مساعدة نفسي .."

تذكرت ذلك اليوم الذي جعلها تعود للمشعوذ حانقة منه لان تميمة العشق التي وعدها ان تكون المفتاح الوحيد لقلب زوجها لم تفتح الا جروحا جديدة في قلبها هي ..

تحشرج صوتها بهمس الألم " انا فاشلة .. فاشلة .. ابي محق ! انا مجرد فاشلة واستحق اهمال هيثم لي ! انا لست اهلاً لأكون زوجة لرجل قوي مثله فما أنا الا مجرد ضعيفة بائسة مثيرة للشفقة ! "

اختنقت بالدموع وهي تقول بأسى " ليتك تعلم ابي حتى السحر يضعف بضعفي ! انا ابث الخذلان لاعتى القوى فانهكها ! "

من بين دموعها رأت الفتاة الصغيرة تعدو سريعا حتى عبرت الشارع واصبحت بأمان .

اخذت شهرزاد تضحك وتبكي في نفس الوقت وهي تقول بانهزام " الطفلة نجحت يا شهرزاد وانت هنا على قارعة الطريق تبكين فشلك وتلملمين شتات نفسك بعد ان اوشكت على خسارة هيثم الى الابد ! "

مسحت دموعها بانفعال وهي تقول باضطراب " لاتجزعي شهرزاد .. لاتجزعي ... هيثم لم يعرف لكن ذلك الرجل شاهين ربما تعرف عليك ولكنه لم يقل شيئا .. اجل لو اراد لقال .. بدا طيبا ولطيفا .. حسنا .. حسنا .. اين هاتفي النقّال "

اخذت تبحث عن هاتفها في حقيبتها الانيقة حتى وجدته ، اخذت عدة انفاس وزفرتها ببطئ حتى تهدأ ثم اخذت تبحث في حقيبتها عن تلك البطاقة التعريفية لشركة الشاهين للحاسوب والتي اخذتها من زوجها قبل مغادرتها ، دعت الله ان يكون فيها رقم هاتفه النقّال فلا قِبَل لها بمكالمة غرباء اكثر في هذه اللحظة !

زفرت بارتياح وهي تجد رقم هاتفه وقبل ان تضغط الارقام المطلوبة قررت فجأة ان تتصل اولا بنورا ، تريد ان تستعيد هدوءها قليلا ولا افضل من بساطة التحدث مع ابنة عمها المرحة لتتوازن قليلا ..

همست وهي تبحث عن اسم نورا " ليتني استطيع مصارحتك بالكثير يا نورا فربما منحتني بعض قوتك ! "

" لااصدق انك ذهبت بهذه الملابس لتوقيع اهم اتفاق حصلنا عليه ! ماذا لو فقدنا الصفقة ؟! هل تريد اصابتي بنوبة قلبية ؟!"

كان صوت سمارا يعلو بهذا التأنيب الغاضب بينما خطواتها الحانقة تلاحق خطوات شاهين الواسعة وهو يتوجه نحو باب مكتبه .

الموظفون اخذوا يتضاحكون فيما بينهم فالتفتت اليهم سمارا لتحدجهم بقسوة اخرستهم بينما تواصل ملاحقتها لشاهين الذي رد عليها وهو يدخل مكتبه دون ان يلتفت نحوها قائلا " اذا كانت نوبة كالتي اصابت والدك فجر اليوم فلا ضير منها ! "

زمجرت بينما تراه يتوجه نحو كرسيه بتجاهل كامل لها لتهتف به وهي تقف قبالة مكتبه " شاهين .. انظر اليّ عندما اكلمك !"

جلس على كرسيه ليرفع وجهه اليها قائلا بهدوء غريب " ها قد نظرت ... ماذا ؟! "

تراخى حنقها وهي تتطلع لوجهه بتعابيره الجامدة !

شاهين ابعد ما يكون عن الجمود ! ماذا يخفي عنها ؟!! ماذا يحصل له ؟

عقدت حاجبيها باستفهام حائر قلق وهي تدقق النظر في عينيه علّها تستشف شيئا منهما .

رمى على سطح مكتبه الملف الذي كان يحمله عند دخوله وقال بمحاولة واهية للمرح " هذه صفقتك الذهبية .. استمتعي بها .."

لم تلقَ بالا للملف وانما سألته باهتمام حقيقي " ما بك شاهين ؟! اخبرني بما يشغل بالك "

تنحنح وهي يتحاشى النظر اليها ثم قال ببساطة متجاهلا سؤالها " ستأتي غدا زوجة هيثم الجراح لتأخذ دورة في الحاسوب "

اخذ يعبث بادراجه وهو يكمل " اجعلي باهر يدربها واكدي عليه أن يعتني بها بشكل خاص "

نادته بحزم " شاهين .."

لكنه استمر في هذره قائلا وهو يستدير بكرسيه الدوار نحو حاسوبه الشخصي " اسمها شهرزاد أأأ ... لااعرف اسم والدها ولكنه امرأة شابة سمراء وجميلة ومؤكد شديدة الاناقة بما يليق بزوجة السيد العظيم لذلك لن تجدوا صعوبة بالتعرف عليها حينما تأتي .."

مالت سمارا بجذعها قليلا لتقول بهدوء " عليك ان تخبرني ، انت مشوش ! "

رد بمرح وهو يتطلع لشاشة الحاسوب بينما اناملة تتلاعب بازرار لوحة المفاتيح " انا دائما مشوش .. اتذكرينني ؟! هذا انا شاهين ! ولست رجلا آخر ..."

قالت سمارا بعناد " انت فوضوي ولست مشوشا ابدا ، مضى زمن لم تحاول فيه معي ان تلعب هذه اللعبة "

قال وهو يدّعي التركيز على ما يفعله " اي لعبة تقصدين ؟! انا لاالعب الآن .. انا اعد برنامجا مهما لترتيب الملفات "

تنهدت وهي تقول " انت تعلم جيدا اي لعبة اعني ، انها لعبة الهائي عن اكتشاف ما يجول بخاطرك "

رد ضاحكا بسخرية وهو يشوّح بيده " تظنين نفسك عبقرية يا فتاة وتقرأين الافكار كمشعوذ الطابق الاول الذي يظن انه يقرأ المخفي من طالعنا ويتوعدنا بخسائر مالية جمّة ان لم نستشره في اعمالنا ! "

تكتّفت وهي تقول بثقة " اسخر كما تشاء لكنك في النهاية ستعود اليّ تتوسل مني الانصات لهذرك المزعج .."

لم يرد عليها وهو يمنحها هيئة تدّعي الاستغراق في العمل ! تأففت وهي تلتقط ملف الصفقة مع هيثم الجراح ثم استدارات لتغادر وقبل ان تصل باب المكتب تلكأت خطواتها لتقول بخبث " ما دمت لن تخبرني عمّا يشغلك لن اخبرك عمّا يشغلني بخصوص هديل ومعجبها الولهان "

اثارت اهتمامه وهي تسمع حركة كرسيه لتتركه وتواصل السير بينما يقف على قدميه ويناديها " تعالي سمارا ... لاتذهبي ... لايمكنك قول هذا وتركي فريسة ضعيفة لوحش الفضول ! "

ضحكت سمارا واوشك شاهين ان يلحق بها عندما رنّ هاتفه النقّال فالتقطه متأففا ليجد المتصل رقم غريب !

عبس وهو يفتح الخط ليقول ببعض الفظاظة " نعم ! من معي ! "

خسف قلبه ارضا وصوتها الناعم يلونه الارتباك قائلة " مرحبا ... انا شهرزاد ..."

بعد بضع ساعات

رن هاتفه النقّال فالتقطه وحالما رأى اسم المتصل اشار لمساعده ان يغادر ...

ما أن اغلق مساعده الباب حتى ابتسم هيثم وهو يفتح الخط ويقول بعبث " مرحبا يا شقيّة .."

ضحكة رنانة اطربته وذكرته بلذة امتلاكها ، ردت باغواء " مرحبا ايها الغامض "

سألها بصوت أجش " كيف هو يومك الاول في الشركة ؟ "

ردت بتفكه محبب " من الرائع ان يشعرك الآخرون انك هبة من السماء ! "

ضحك بخفوت وهو يقول باعجاب حقيقي " دوما لديك هذا الحضور القوي "

ردت وهي تدّعي الاحباط " اعترف ان حضوري القوي اصيب بخيبة الامل لان جنسيتي البريطانية هي من اشاعت حولي هالة من القوة حتى اصبحت الوجوه حولي منهكة من كثرة الابتسام بتزلف ! "

ضحك هيثم عاليا وهو يقول مداعبا " ألم اقل انك شقية ؟ "

ردت بضحكة مميزة " بل انت هو الشقي ! "

همس بصوت مبحوح " احب الكلمة من شفتيك يكون لها معنى مثيييير عندي ... لكني اتساءل لماذا تقولينها لي الآن ؟!"

قالت بدلال " شهرزاد اتصلت بي اليوم لتخبرني بموضوع التحاقها بدورة لتعلم الحاسوب وانك انت من اهتممت بدفعها لفعل ذلك .."

تساءل هيثم بغموض " وهل هذه شقاوة مني ؟!"

ردت بمرح " اجل .. مؤكد .. عندما تسعى لابعادها عنك بتلك الطريقة "

ساد الصمت بينهما للحظة مما اثار استغراب نورا ! اوشكت ان تنادي اسمه عندما قال بصوت خشن " ابعادها ؟! ...لا ! ... ما هو لي يبقى لي "

ثم اضاف بصوت اقل خشونة " كل ما افعله احاول ان اشغل فراغها الدائم بدلا من ان تشغله هي بتكهنات ...صحيحة ! "

قالت نورا بتأن " انك غريب الاطوار يا هيثم ! تتحدث عنها بطريقة غريبة جدا لاافهمها !"

رد هيثم بسخرية مراوغة " لن اكون اكثر غرابة منك وانت تتحدثين عن غريمتك بهذه البساطة والموضوعية وكأننا نتحدث عن الطقس ! "

قالت بثقة شديدة " انها ليست غريمتي! منذ ان قررتَ ملاحقتي (انا) فقدت هي اهميتها كامرأة بالنسبة لك ، لذلك هي ليست غريمتي في هذا المجال .. ولن تكون .."

قال هيثم بصوت غامض يشع قسوة " انا لا الاحق شيئا حبيبتي ، الملاحقة تعني اليأس للحصول على ما نريد ونعجز عن الحصول عليه فنلجأ للملاحقة ! "

ضحكت تمازحه " مغرور ..!"

فرد بثقة تفوق ثقتها " وانت تعشقين غروري هذا كما اعشق شقاوتك .."

قالت باغراء ينضح من صوتها " متى ستأتي الليلة ؟" رد بصوت أجش " الساعة السابعة افتحي لي الباب "

اغلق هيثم الهاتف وهو يبتسم باسترخاء ، لكن للحظة عقله ابتعد .... همس لنفسه وهو يضيق عينيه بتركيز " تُرى ... هل توهمت مبالغة في تراجعك الخائف يا شهرزاد ؟! " أمال رأسه جانبا ليضيف بهدوء " ام اني اتوهم الاسباب ؟!!"

ملامحه لم تتغير بينما الافكار تأخذه ليتعمق بعيدا اكثر .... لسنوات كثيرة مضت ...

شهرزاد .. تلك المراهقة المدلهة بحبه بينما كان هو شاب عشريني طليق والحياة مفتوحة امامه على مصراعيها .. تلونت اشكال النساء اللواتي تحلّقن حوله وارضينه بشتى الوسائل والطرق لكنهن جميعا افتقدن شيئا واحدا لاتملكه الا شهرزاد .. براءة العشق الخام ...

في مرحلة ما من مغامراته النسائية اجتذبته بفضول شديد هذه الميزة التي تتمتع بها ، كما تجتذبه المهرة الاصيلة ..!

الفصل الرابع

وعندما عرض والدها عليه ان يتزوجها صونا لها من الطامعين وحفاظا على الشركة التي بناها والده مع والد شهرزاد فلم يجد هيثم مانعا في تذوق تلك البراءة ...

كم كان ممتعا له العام الاول من زواجهما ، كانت تتفانى في ارضائه واكثر ما ارضته غروره ! في البداية ادهشه ان تحبه امرأة بكل كيانها هكذا وبكل هذه البراءة !

كان شعورا مبهرا .. والاكثر ابهارا انها لم تكن تطلب اي شيء منه ، جعلته غاية ما تريد من الحياة وكفى !

حتى عندما طلب تأجيل الانجاب لم تفكر لثانية قبل ان تقول " نعم " !

لم تسأله عن الاسباب كما لم تسأله يوما عن اسباب لأي شيء اراده ، فقط تعيش له تهمس له بالحب الرومانسي الرقيق والخجل يكبت همساتها احيانا فيضحك من قلبه وهي تشتعل حمرة ...

انها حتى لم تطلب الحب منه فيكفيها وجوده قربها ! كانت لاتهتم الا ان تعطي عواطف كثيرة متدفقة لكنها .... مشتتة ! وهو اعتادها واعتاد تشتتها وهيامها به كما اعتاد ان يأخذ كل شيء تهبه له بتملك غريب سيطر عليه اكثر من اي عاطفة اخرى ...

وجاء العام الثاني ... وبدأ احساس بليد يتسرب اليه ... انه ...الضجر ..!

الضجر من مشاعرها الطفولية التي لم تتطور والضجر من قلة ثقتها بنفسها وضعفها الابدي !

ولم يكن لديه الوقت ليجعلها تتغير ، لقد اصبح مسؤولا بالكامل عن اعمال الشركة بعد ان خوّله والد شهرزاد حق التصرف بشكل مطلق كشريك اساسي ...

ومر العام الثاني والثالث كان اسوأ وضغط العمل يجعله اقل صبرا واكثر حاجة وتعطشا للانتعاش والاسترخاء ..

لقد اخلص لها .. اجل اخلص .. رغم المغريات لكنه جرّب لاول مرة الامتناع عن النساء لاجل امرأة واحدة هي زوجته ، لكن الامر ازداد سوءا بسلبيتها وهي تكاد تتلاشى بدورها في حياته ...

لقد بهتت تماما ولم يعد يرى منها الا خيالا متواريا خلف جدار من ثقة معدومة ..

وهنا ظهرت في حياته .... نورا ....

ابتسامة حسيّة لم تملك الا ان تجد طريقها لتشق شفتيه ...

ابنة العم المهاجر التي لم يلتق بها قبلا ولم يرها الا عبر صور غوتوغرافية لم تجتذب

اهتمامه اكثر من ارضاء شهرزاد وهي تطلعه على صورها الشخصية وسفرياتها مع والدها، حتى زفافه على شهرزاد لم تحضره نورا بوقتها لاسباب لايذكرها .. !

المهم انها لم تحضر ....

وكل ما علمه عنها من شهرزاد انها ابنة عمها المرحة التي كانت تلتقيها كلما سافرت لاوربا مع والدها فتتبنى نورا مهمة امتاعها !

اتسعت ابتسامته وهو يهمس بصوت أجش " يبدو انك خلقتِ لامتاع كل شيء حولك نورا..."

شعلة من التوقد ! هذه هي نورا .. منذ رآها لاول مرة قبل عام وكانت رؤيتها صدفة في بيت والد شهرزاد في لندن ... تلك الشعلة اشعلته ! في لحظة تملكه احساس انه يريدها ! لكن مرت اشهر طويلة قبل ان يقرر تحقيق رغبته...

لازال يذكرها ببنطال جينز قصير يصل لمنتصف فخذيها وبلوزة حمراء بحمالات كتف رفيعة ، جسديا لم تكن مغرية بشكل خاص لكنها مع ذلك تشع اغراء !

عيناها تبرقان بطريقة مثيرة للحواس ، مشيتها على ميوعتها الحرة تبث طاقة من التميز ....

اشتعلت مشاعر هيثم فجأة !

فوجد نفسه يلتقط هاتفه مرة اخرى ويتصل بها وحالما ردت قال بصوت مبحوح تخنقه الرغبة " اريدك ..الآن ..." ضحكت نورا عاليا لترد بعدها بهمس مثير " ربع ساعة وسأتهرب من عملي لشقتي ..! " ثم اضافت بشقاوة الهبته " هل قادر على الصبر لربع ساعة ؟؟! "

جالسا قربها على احد مصاطب الجامعة المظللة بالشجيرات صامتا بينما اذناه تلتقطان انهائها لحديثها مع والدها عبر الهاتف " حسنا ابي ، الحمد للّه انك مرتاح الان .. اجل ... ساعود بعد قليل .. لاتقلق .. انا لست مرهقة .. ساستقل الحافلة واكون عندك بعد نصف ساعة على اكثر تقدير ..الى اللقاء "

حالما انهت المكالمة فاجأته بالقول بلهجة مهتمة " ما بك زيد ؟! " رد زيد بابتسامة تخفي الكثير وهو ما زال يتجنب النظر نحوها " لاشيء يا هديل .. كنت افكر فقط "

قالت وهي تحاول عقص شعرها للخلف " تبدو مشتتا بشكل غريب "

اكتفى بالتبسم بينما كان في داخله يكبت انفجاره ! هذه الفتاة تقتله وهي لاتشعر به حقًا

.. لايعلم كيف وصل حديث متقارب بينهما عن والدها وما فعله فجر اليوم من اقلاقها هي واختها ليصل الى عبارة مقيتة كان يتهرب من سماعها بذكاء !

انها عبارة (ممتنة منك يا زيد انت اكثر من أخ عزيز بالنسبة لي) !!!!

لقد حطمته .. حطمته كليّا بكلمة من حرفين فقط (أخ) ! ليتها قالت صديق وفي او حتى زميل مميز !!

تنهدت باحباط لتقف على قدميها وتلملم محاضراتها قائلة " يجب ان اذهب ، لن احضر اخر محاضرة لاني مرهقة تماما وابي بمفرده "

تطلع اليها فاجتذبته تلك الدوائر السوداء تحت عينيها الجميلتين فقال برقة " تبدين مرهقة فعلا ، عودي للبيت ونامي جيدا لتستعيدي قوتك و... توهج بشرتك "

لايعلم كيف اضاف اخر جملة ؟! راقبها بتوجس .. كانت تنظر بعيدا فاتسعت عيناها واحمرت وجنتاها قليلا !

قلبه خفق ليهمس باسمها " هديل "

عندما همست هي اسما اخر " شاهين !"

شتم شاهين وهو يتلفت يمينا ويسارا تائها في ربوع هذه الجامعة الشاسعة يبحث عن ضالته التي أتى من اجلها .... هديل

الا توجد ثورة من نوع ما تقودها تلك الصغيرة ليستدل بها على مكانها ؟!

همس لنفسه وهو يتنهد باحباط " الا يكفي تيها لهذا اليوم يا مشعث الرأس ؟! "

صمت قليلا ليضيف بحنق بالغ " كله بسببك يا حمراء الشعر ! "

كيف استطاعت سمارا اثارة حميّته على الصغيرة هديل بمجرد ان قالت ان ذلك المدعو زيد له سمعة سيئة جدا مع الفتيات وهو يحتاج لرؤية رجل حقيقي قوي من جانب عائلة هديل ليفكر الف مرة قبل ان يحاول التلاعب بها !

يقسم بالله ان سمارا هي من تلاعبت به وهي تصف هديل بالبراءة وان لايخدعه ذكاؤها واسلوبها الحيوي الاندفاعي وميولها الانقلابية ضد الظلم !

فهي مجرد شابة صغيرة لاخبرة كبيرة لها في الحياة ولا في التعامل مع الشبان الذين يتصيدون الفتيات لاغراضهم الدنيئة !

عينا شاهين ما زالتا تدوران هنا وهناك بحيرة بينما اخذ يفرك رقبته من الامام بعفوية وهو يتمتم " اي دنيئة يا سمارا ؟!! هديل

ستمزق وجه كل من يحاول خداعها ! اقسم انك تحاولين خداعي انا يا سمارا وتحاولين الهاء فكري بموضوع هديل وانت تعرفين اني لااحتمل ان يمسها سوء من اي (دنيء) ... "

عبس من افكاره وشعر بالغثيان من نظراته ! فها هو يجد نفسه كمهووس يلاحق وجوه الفتيات وقد بدين كلهن متشابهات ! لايعلم كيف يراهن متشابهات ؟! ربما من كثرتهن الخانقة في الحرم الجامعي !

ردد بنزق " يا الهي ما هذه الورطة ؟! لماذا لست في قسمك يا هديل ؟ كيف سأجد وجهك بينهن دون ان احدق فيهن بشكل يثير ارتيابهن بوجود نوايا دنيئة ؟!" ابتسم بمرح ساخر وهو يقول لنفسه " مؤكد هؤلاء الفتيات سيقتلنني اذا علمن اني اراهن متشابهات !"

فجأة نبض رأسه بجملة (مرحبا .. انا شهرزاد) ... مرر يده في شعره وضيقه يتزايد بتكرار تلك الجملة في رأسه دون توقف ! لازال يحاول جاهدا التعامل مع ما فعله واوقع نفسه فيه وتأثره باتصالها الهاتفي القصير !

ردد بحنق موجه لذاته " انت في حالة يرثى لها يا شاهين ! الا يكفيك تهورا انك ارتديت درعك المصفح وامتطيت حصانك

الاغبر رافعا سلاحك مجاهرا به كفارس
همام غبي واحمق لتدافع عن امرأة تنتمي
لرجل آخر ! " زفر ثائرا وهو يقول " ما لك انت
ومال علاقة شائكة بين زوجين ؟! لقد جننت
يا رجل ..."

مطّ شفتيه ليضيف بضيق يعتصر صدره " لم
تقل الا (انا شهرزاد .. اسفة لازعاجك ...
احببت ان اعلمك اني سآتي عند التاسعة)
وكل هذا وانت كأبله تهز رأسك مصدوما
دون ان تتذكر النطق بلسانك !

الى انا اخذت تناديك حتى صحوت من
غيبوبتك لترد ببلاهة (حسنا حسنا سيدة
شهرزاد ... ننتظرك غدا) ... غبي .. غبي
ومتهور ، سمارا ستقتلك ان علمت ..."

زفر بقوة وهو يتلفت باحثا عن وجه هديل
وقدماه تقودانه بشكل عشوائي يمينا ويسارا !

توقف فجأة عندما رآها من بعيد ليتمتم
بابتسامة مرتاحة " اخيرا وجدتك ! "

تقدم باتجاهها بينما ابتسامته تنحسر
والعبوس يغزو وجهه وهو يلتقط وجود شاب
وسيم يجلس على المصطبة بينما هديل تقف
على قدميها ثم ... نظرت اليه ...

همس من بين اسنانه بزمجرة " اذن هذا هو
الدنيء !"

تعجلت خطواته نحوهما وعيناه تتركزان على الشاب بقساوة متوعدة مهددة بينما يراه يتطلع بنهم لهديل ! وصل اليهما بينما الشاب يقف على قدميه ببعض الارتباك وعيناه تتنقلان بتعبير غريب بينه وبين هديل !

اقتربت هديل منه خطوة وهي تقول بتساؤل خجول " مرحبا شاهين ، ما الذي اتى بك الى الجامعة ؟! كنت اكلم سمارا قبل قليل ولم تخبرني بحضورك "

رد شاهين بالقاء تحية باردة وعيناه تحدجان من يظنه المدعو زيد قائلا " كنت امر من هنا وقررت زيارتك ، لايعقل ان تتخرجي من الجامعة ولم ازرك فيها لـ..." صمت قليلا قبل ان يضيف بحاجبين مرفوعين " لاتعرف بزملائك على الاقل واعرفهم بنفسي ..."

ارتفع حاجبا هديل بعجب بينما عبس زيد وهو يمد يده للمصافحة قائلا " انا زيد ، زميل هديل " صمت قليلا ليضيف بتحدٍ " واستطيع ان اصف نفسي بصديق وفي لها " كشر شاهين عن ابتسامة مفترسة وهو يقول " حقًا ؟! "

رد زيد ببشاشة مصطنعة " نعم حقا .. ولاثبت لك انا اعرفك رغم انك لاتعرفني ! انت شاهين مدير المكتب الذي تعمل فيه اختها سمارا منذ سنوات "

احتدت نظرات شاهين بينما يسمع همس هديل وهي تقول له " يجب ان ارحل شاهين فوالدي بمفرده "

كان يعلم انها تحاول فض نزاع مبطن محتمل له التطور لشجار ! وكم يتمنى لو يتطور لشجار ليعلم اخضر العينين هذا درسا لن ينساه ، ليعلمه ان هديل ليست اي فتاة ..

قال شاهين بلهجة لاتخطأ معناها " انا لست مدير المكتب الذي تعمل فيه سمارا فقط ، انا فرد من العائلة واعتبر سمارا وهديل مسؤولتين مني ولذلك يا اخ ضياء فأنت على ما يبدو لم تكن تعرفني فعليا ! "

ردد زيد بغيظ " اسمي زيد وليس ضياء "

شوح شاهين بيده ثم التفت لهديل ليقول من بين اسنانه " تعالي لاوصلك "

رددت هديل باعتراض خنقه الشعور بالخجل مما حصل " شاهين ساعود بالحافلة كالمعتاد لاداعي لـ...."

قاطعها شاهين بحزم قائلا " هيا هديل لا وقت لدي " ثم التفت نحو زيد ليقول ببرود " وداعا اخ حسن .."

ثم تركه وهو يسحب هديل من مرفقها وزيد يرمقهما بنظرات تراوحت بين الغضب و.. الغيرة !

كانت هديل تهذر بغضب وهي تلاحق خطوات شاهين " لماذا فعلت هذا ؟؟ لماذا شاهين ؟ انها سمارا اليس كذلك ؟ هي من جعلتك تأتي وتفتعل مشهدا مهددا مع زيد .. انها لاتكف عن شكوكها وخوفها عليّ والآن اقحمتك بالموضوع ولم يكن هناك داعٍ لكل هذا فزيد لايعتبرني الا كزميلة واخت "

قال شاهين من بين اسنانه " حقا الان فقط عذرت سمارا وتأكدت انها محقة بارسالي ! انت شديدة البراءة وغير مدركة ان زيد هذا ينظر اليك بطريقة مختلفة "

اوقفت هديل خطواتها بالقوة فاوقفته معها وهو ما زال يمسك بذراعها لتقول بحنق " اذن فانت تذكر اسمه وتعمدت اهانته بمناداته باسماء متعددة "

قال شاهين بصوت حازم " اسمعيني هديل ، هذا الفتى ليس كما تتصورين ونظراته اليك لم تعجبني على الاطلاق ، نحن الرجال نفهم بعضنا فلا تشكي للحظة بصحة ما اقول "

زمّت هديل شفتيها ثم قالت وهي تخلص ذراعها منه بالقوة " انت واهم كما هي سمارا واهمة "

ثم فاجأته وهي تتحرك بخطواتها السريعة وتتعلق باحدى الحافلات تاركة اياه واقفا وحده على الرصيف ...

تجلس على الارض بجانب السرير مرتكزة على ركبتيها بعد ان قامت بفرد بضعة اطقم من الملابس امامها تحاول لملمة بعض التيقظ في ذهنها لتختار واحدا منهم ،

همست لنفسها بصوت مرتعش " اهدأي شهرزاد .. كل شيء سيكون بخير "

صوته الذي يرعش قلبها جاء من عند باب الغرفة ساخرا كعادته " وكأنك تذهبين للمدرسة لاول مرة ! "

التفتت نحوه لتهمس اسمه بارتباك متزايد " هيثم ! " كان يستند بجسده على الباب وقد بدا غريب الهيئة !

ابتلعت ريقها وهي تنظر لعينيه الزرقاوين فلا تجد انعكاسا لافكاره ! كم كانت تعشق غموض هاتين العينين وهي تنظر اليهما خلسة عندما كانت في السادسة عشرة ...

تقدم نحوها مبتسما بسخريته المعتادة بينما تهبّ لتقف على قدميها بانتظاره وما ان يصل

اليها حتى يميل نحوها برأسه في حركة مألوفة تعشقها منه فقط كي يطبع قبلة صغيرة على رقبتها ..

بدت رائحته غريبة ! لكن حواسها أبت الاستماع لاي شيء آخر سوى متعة الاحساس بقربه هذا ...

وجع قلبها اعتادته ايضا وهي تتوقع حركته التالية بالابتعاد البارد ليخلع ملابسه ويدخل الحمام لكنها تفاجأت به يرفع يده تتلاعب بحافة قميص نومها الابيض الحريري مما جعل عيناها تتسعان وهي ترفع نظراتهما نحوه ..

لم يكن ينظر لوجهها بل تركزت عيناه على ما تفعله يده بقميص نومها ، اخرستها تلك اللحظة الغريبة بينهما لتزداد غرابة وهو يرفع تلك اليد لتلامس خصل شعرها الحريرية ...

قال بصوت غريب " شعرك شديد النعومة يا شهرزاد ، نعومة لاتضاهى .. تشبه نعومتك انت ! لاشيء يمكن ان يجعله اجعدا ابدا ولا حتى مشعثا ... " كتمت انفاسها بينما يكمل بشقاوة " حتى اناملي الوحشية لاتستطيع فعل هذا ! " صمت ليعود لغرابته وهو يضيف اخيرا " كم هو امر مغيظ ! "

لاتعرف لم قلبها يخفق باحساس ... مؤلم !

قالت بحيرة مرتجفة اول ما خطر في بالها " دوما اغاظني لاجد طريقة لتصفيفه ، نورا كانت تقول لي دوما اني استطيع المشاركة في اعلانات غسول الشعر فاكسبهم الملايين "

في لحظة يده سقطت الى جانبه وكأنها لم تكن تلامسها ابدا ! ثم اسبل اهدابه واستدار وهو يقول مغمغما " انا متعب جدا اليوم سآخذ حماما وانام .."

شعرت بالبرود يلتف حولها كأفعى حاقدة ! فقالت وهي تكاد تختنق دون ان تعلم السبب " ألم تقل صباحا انك على موعد وستتأخر حتى منتصف الليل ؟!"

رد ساخرا " قلت لك انا متعب ، فدعيني اخذ حمامي بينما تختارين ملابس اليوم الاول لك في (المدرسة) وارجو عند خروجي ان اجدك استقريت على رأيك لاتمكن من النوم في جو هادئ ومظلم "

ردت بهمس ناعم " احاول ان لااخذلك في اي شيء " لم يرد عليها بشيء بينما اخذ يخلع ملابسه ليرميها في سلة الملابس ثم توجه للحمام وهي تنظر اليه بنفس الاحساس المخنوق !

طرقت سمارا باب غرفة اختها وانتظرت وهي تعض بطرف شفتها ترقبا !

سمعت تنهيدة صاخبة منها لتقول بعدها " ادخلي سمارا "

رسمت سمارا ابتسامة بريئة على شفتيها وفتحت الباب لتدخل غرفة اختها ، وجدتها تجلس على سريرها ببنطال قطني قصير وبلوزة خفيفة وقد اظهرت استغراقا مبالغا فيه بقراءة رواية عاطفية في يدها متجاهلة دخول اختها الكبرى تماما !

عبست سمارا لتقول بلهجة مستعطفة " ما بالك انت وشاهين اليوم تتجاهلان وجودي ؟!"

ما ان قالت اسم شاهين حتى زمجرت هديل قائلة وهي ترمي الكتاب جانبا " لااصدق انك فعلت ما فعلت اليوم يا سمارا ؟! " ردت سمارا وهي ترمش بعينيها وتقول ببشاشة " اذن ما زلت غاضبة يا جميلة الملامح رغم انك ادّعيت اللامبالاة عند عودتك من الجامعة "

هبّت هديل من سريرها لتغادره وهي تقول " كيف لااكون غاضبة ؟! لااصدق انك ارسلت شاهين في استعراض عضلات لزيد مهددا اياه باسلوبه المبطن وكأني الحمل الوديع وهو جاء لمقارعة الذئب الشرير ! هذه اهانة لي قبل ان تكون اهانة لزيد ! "

هزّت سمارا كتفيها لتجلس على حافة السرير وتقول " لاتلومي شاهين انا من اقلقته بقلقي عليك وانت تعرفينه هو يعتبرك اخته الصغيرة كما انت لي بالضبط "

في لحظة خمدت ثورة هديل واستدارت لتولي ظهرها لاختها واخذت تلملم حاجياتها المبعثرة وتقول " حسنا اشكر شعوركما الطيب ، لكن هذا لايعطيكما الحق في احراجي واحراج زميل عزيز علي ويحترمني جدا "

تهكمت سمارا قائلة " مسالة الزميل هذه مسألة فيها نظر كما يقولون ! كما ان سمعته مع الفتيات لاتعطي عنه صورة مشرقة "

" لقد تغير ! لماذا لاتفهمين هذا يا سمارا ؟! "
هذا ما قالته هديل بحنق وهي ما زالت تلملم الملابس وتعلقها بينما قالت سمارا بابتهاج فجائي " لماذا لاتسرحين لي شعري ؟!"

التفتت هديل لاختها بوجه عبوس وهي تقول " اسرح شعرك ؟!!" ردت سمارا بنفس الابتهاج " اجل .. اقصد بمجفف الشعر .. اريده ناعما ومسترسلا " ثم وضعت اصبعها على فمها وقلّبت عينيها وكأنها تفكر لتضيف " وربما بعض الالتواءات البسيطة لاضفاء الجاذبية !"

ضحكت هديل وهي تقترب من اختها وتقول " هل انت جادة ؟! دوما تحبين شعرك كما هو ! "

غمزت لها سمارا قائلة " وانت دوما توسلت لي محاولة تسريحه ! وها انا احقق لك امنيتك "

ثم وقفت على قدميها لتقول وهي تفرد ذراعيها على الجانبين بحركة مسرحية " انا الليلة تحت امرتك ... افعلي بي ما تشائين "

منحتها هديل نظرة شريرة ثم تحركت نحو كرسي منضدة الزينة خاصتها فسحبته وقالت " اجلسي ... سافعل بك الاعاجيب !"

بعد ساعتين كادن سمارا تبكي ندما لانها سلمت نفسها ليدي هديل استرضاء لها وها هي تعاني ما اوجاع الرأس ! انها لاتحتمل صوت مجفف الشعر .. لاتحتمله ...

ولم تكد تنتهي من هذه الجلسة التعذيبية حتى اصرت هديل ان تتمادى في لعبتها وان تزين وجهها بمساحيق التجميل ...

قالت هديل بعوس مؤنب وهي تمرر قلم الكحل فوق عين اختها " توقفي عن التحرك بتململ هكذا يا سمارا ، اوشكت على الانتهاء "

صوت جرس الباب جعل سمارا تتمسك به كعذر وهي تقول " دعيني ارى من في الباب قبل ان يستيقظ ابي "

لكن صوت خطوات والدها جعلت هديل تضحك وتقول " لا خلاص لك مني اليوم "

لحظات وصوت فتح الباب تبعه صوت والدهما المرحب ، التفتت كلتاهما ناحية باب الغرفة حيث يأتيهما صوت والدهما وقد اختلط بصوت رجولي مألوف !

قالت هديل باستغراب " من هذا الذي يرحب به ابي هكذا ؟! " ثم نظرت لساعتها المنضدية لتقول باستغراب اكثر " انها الحادية عشرة ! من يزورنا في مثل هذا الوقت "

ارتفع حاجبا هديل عندما اعادت نظراتها لاختها الكبرى لتجدها شاحبة بوضوح رغم مساحيق التجميل !

يراقب شروق الشمس وعيناه تأبيان النوم منذ استيقاظه من غفوته القصيرة التي لم تتجاوز الثلاث ساعات ..

انه قلق ، قلق ويعرف سبب قلقه وعاجز عن تجاوزه ..

اليوم ستبدأ شهرزاد في الحضور اليومي لمكتبه ، سيراها كل يوم وتكون قريبة منه وهذا لايعجبه لانه ... يعجبه !

اجل رغما عنه يشعر بفرحة رعناء لتواجدها قريبة فتصفعه بقوة حقيقة انه ليس رجلا نذلا ليفكر بامرأة متزوجة وتعشق زوجها ..

عليه ان يكون حازما مع نفسه ويردها عن غيها والا سيكون دنيئا كذلك المدعو زيد الذي يريد افتراس الصغيرة هديل !

رنين هاتفه اجفله بقوة ! شتم وهو يلتقطه ليجد اسم سمارا ! عبس بقلق وهو يرى الساعة تشير للسادسة والنصف ففتح الخط ليسأل بلهجة تعكس قلقه " هل والدك بخير ؟!"

جاء صوت سمارا هامسا على غير العادة وهي ترد عليه قائلة " لاتقلق ..انه بخير .."

تنهد شاهين بارتياح وهو يقول " الحمد للّه ... " ثم سأل بتردد " هل هديل ما زالت حانقة عليّ ؟"

ردت سمارا بنفس الهمس " لاتقلق فهي قلبها طيب وتعلم اننا نخاف عليها ولانقصد سوءا "

لم يعجبه شيء ما في نبرتها فقال " ما بك سمارا ؟! لاتبدين بوضع طبيعي ! كما انك تتصلين بوقت مبكر والاغرب لديك مزاج للكلام !!"

تساءلت بمراوغة " لاتبدو انك كنت نائما "

قال وهو يتحرك نحو نافذته يتطلع للصباح الندي قائلا " اجل .. انا صاح منذ ساعات "

ردت " حسنا ..."

سأل وهو يعقد حاجبيه " حسنا ماذا ؟! ألن تسأليني لماذا انا صاح مبكر هكذا ؟؟"

نادته " شاهين .."

رد بتوجس " نعم .."

قالت " اياد عاد .."

تطلع لفأرتين تركضان في الشارع الضيق الذي يطل عليه شباك غرفته بينما يسأل باستغراب " اي اياد ؟"

ردت بحشرجة " اياد قريب والدي الذي ..."

قاطعها باجفال وعيناه تغفلان الفأرتين اللتين اختفيتا في اكوام الازبال " ماذا ؟ متى ؟"

ردت وهي تخنق مشاعرها " البارحة مساء وصل بشكل مفاجئ رغم اني اشك ان والدي على علم بالامر .."

صمت شاهين يحاول استيعاب المفاجأة بينما همس سمارا المخنوق يصله " شاهين .."

رد ببساطة " ماذا الان ؟ هل البس الدرع واذهب اليه هو الآخر في بيته "

قالت بحنق مكتوم " انه يبيت معنا منذ ليلة الامس وسيبقى عندنا لعدة ايام اخر ! "

الفصل الخامس

اغلقت الهاتف مع شاهين وقد هدأتها قليلا كلماته ، اجل .. لايجب ان تخاف من اياد فما حصل بينهما قبل سبع سنوات مضى وانتهى وعليها نسيانه وتجاوزه ... ومؤكد هو الآخر نساه وتجاوزه ...

استرخت في سريرها واغمضت عينيها بينما ترفع يدها لتتلاعب بخصلات شعرها الملتوية بتلك التسريحة التي اجادتها هديل ..

نظراته نحوها اختلفت ! كان سابقا يمعن النظر فيها دون رادع او حدود ، صوت خبيث في

عقلها يسخر منها قائلا " لقد فعل اكثر من النظر ! "

فتحت عينيها على وسعهما بينما يدها تترك شعرها لتلامس شفتيها واثر من احساس غير حقيقي بجرح قديم فيهما ...

اصابت جسدها رعدة خفيفة فشدت قبضتيها وهي تغمض عينيها بقوة لتهمس لنفسها " الامر انتهى سمارا .. انتهى ... كان غاضبا منك فقط .. وقد ندم واعتذر فيما بعد ..."

اجل اعتذر .. اعتذر عن كل شيء بدر منه وسافر بعد يومين !

تحركت سمارا لتغادر سريرها وهي تغلق باب الذكريات ، عليها ان تتصرف بالنضج الذي تلاحق به شاهين دوما ليتصرف به ...!

صوت فتح باب الشقة بحذر ثم اغلاقها بنفس الحذر كان مسموعا بالنسبة اليه !

كونه يفترش الارض في غرفة استقبال الضيوف الاقرب لباب الشقة جعله يشعر بخروجها المبكر .. الـ..متعمد ...!

لم تتغير .. انه يعرفها اكثر مما تظن ..

انقلب على ظهره يحدق في الثريا البسيطة المعلقة بالسقف .. انها نفس الثريا .. منذ سبع سنوات ....

ابتسم بشجن وهو يتذكرها مبتهجة بانارتها في ليلة خطبتهما ، بهجة كان تعكس بهجة قلبه ، تلك الليلة ظنّ انه حقّق حلمه بالارتباط بها اخيرا بعد ان اضناه الوجد بانتظار انهائها دراستها الجامعية ..

لم يصدق انها رضيت به بسهولة ! كاد يجن من فرط سعادته عندما اتصلت والدتها بوالدته لتبلغها ان سمارا موافقة ...

تقبضت يده وهو يرفعها ليضعها على جبينه ثم همس بألم حي لايموت ولا يهفت حتى " كم كنت واهما ! "

اخذته ذاكرته لذلك اليوم الذي فجعوا به بوفاة والدتها المفاجئ ، كانت صدمة للجميع ان تلك المرأة الحيوية ماتت ببساطة من تعقيدات غير متوقعة حصلت اثناء عملية جراحية هيّنة لازالة زائدتها الدودية الملتهبة ..

لم يكن مضى على خطبتهما الا اسبوعين فقط ليحصل ما حصل ، اسبوعان لم يستطع التواصل خلالهما معها بالطريقة التي ترضيه ، كانت خجولة منه للغاية ووالدها لم يسمح له

بحرية التواجد معها والتقرب منها واستمالة عواطفها النائمة ...

وهو ايضا اراد ان تتم الامور بروية ، بتأن شديد ، لقد احبها مُذ كانت في التاسعة عشرة بينما هو على وشك التخرج من كلية الهندسة المعمارية ..

زفر بقوة وهو يتذكر تحولها الكبير بوفاة امها ، لم تعد نفس الفتاة ! والدها كان منهارا تماما واختها الصغيرة بدت تائهة غاضبة حانقة من كل شيء ...

وهي ... سمارا التي احبها وعشقها لسنوات نبذت كل محاولاته للاقتراب والمساندة !

فجأة اصبحت صلبة الى درجة القسوة ! لم تعد تلك الفتاة البشوشة الضاحكة الخجولة بل تغيرت لتمنحه واجهة من البرود والنأي بنفسها عنه ..

صبر عليها .. منحها الفرصة لتستوعب خسارة والدتها ، لاشهر طويلة يحاول ويحاول ... لم يعترض على ايجادها لعمل بل شجعها علّها تخرج مما هي فيه ...

وحصلت على العمل وبدأت تخرج من احزانها دون ان تتخلى عن رداء الصلابة الذي اختارته بعناد ليكون رداءها الوحيد الذي ترتديه خصيصا له ...

وجاءت له فرصة السفر والعمل في بلد اخر ، ففاجأته بالرفض القاطع ثم ودون تردد او مناقشة خلعت خاتم الخطبة لتضعه امامه تحت سمع وبصر والدها الذي لم ينطق بكلمة اعتراض واحدة !

اخذ اياد يضرب بقبضته على جبينه وهو يردد بهمس " لِمَ جرحتني هكذا سمارا .. لِمَ ؟! لو لم تجرحيني وتمزقي قلبي ببساطة انفصالك عني لما جننت ... لما حصل ما حصل ..."

غامت عيناه وهو يتذكر ذهولها بعودته ليلة الامس ، وجهها الجميل اصبح اكثر انوثة مما يذكر ...

كم مضى من الوقت دون ان يراها ؟! سبع سنوات ؟! يا الهي تبدو له وكأنها بالامس فقط كانت ليلة خطبتهما وهو يتطلع اليها مشعة بشعرها الاحمر وحمرة خديها تستفزان اطراف اصابعه ليلامسهما ...

طرق رقيق اخرجه من افكاره المحمومة بينما يصله صوت هديل اللطيف من خلف الباب وهي تقول " صباح الخير .. هل انت صاح ؟ "

رد اياد وهو يدفع الغطاء عنه " صباح الخير عزيزتي ، نعم انا صاح "

قالت بينما اياد يقف على قدميه " اعددت الافطار يا اياد ، ابي يصر ان تشاركنا اياه الآن قبل ان اخرج للجامعة .."

قال اياد بابتسامة حانية " حسنا عزيزتي ، سالحق بك حالا "

بعد الافطار غادرت هديل مودعة قريب والدها ومن كان يوما خطيبا لاختها ..

خطواتها على الرصيف تباطأت بتباطؤ ذكرياتها وهي تفرض نفسها لتستعيدها بألم ثم بخزي لاتستطيع الفكاك منه ..!

ذكرى وفاة والدتها المفاجئة التي قلبت موازين حياتها ، كانت مجرد مراهقة بشوشة وحيوية كوالدتها بالضبط ، بل انها كانت تهوى تقليد والدتها في كل شيء ..

ربما لانها ايضا تشبهها شكلا فارادت ان تكون نسخة كاملة منها ...

لاتعرف ما حصل معها بعدها ! احساس غريب بفورة غضب جامح لانها لن تستطيع رؤية والدتها مرة اخرى ، لن تسمع صوتها وهي تغني في الصباح الباكر لفيروز (تك تك تك يا ام سليمان)، لن تناغش والدها وهي تقول له (ايها الطفل المدلل !) ،

لن تلاحق سمارا لتخفف من خجلها المفرط ...

ولن ... لن تحتضنها بقوة لصدرها تكاد تخنقها وهي تدللها قائلة (لاتكبري ابدا يا صغيرة !)

دمعة هطلت على خد هديل لتمسحها بسرعة رافضة الاعتراف بحاجتها للبكاء ... البكاء للضعفاء وهي ليست ضعيفة !

يكفي ما ارتكبته من حماقات ، لقد كانت السبب بفسخ خطبة سمارا من شاب رائع كاياد .. لو لم تصبح هائجة منفلته بعد وفاة امها لما ضحت سمارا وفضلت البقاء دون زواج ..

توردت وجنتا هديل بينما تعبر الشارع وذكرياتها تأخذها لخزي من نوع آخر ، عشقها المراهق لمدير سمارا ... شاهين ... ذلك الشاب الذي بهرها بحنانه ودفئه ومرحه حتى شعرت انه جاء تعويضا عن فقدان امها ... وكيف لاتعشقه ... كيف ؟!!

كانت على وشك الوصول لموقف الحافلة بينما تتغاضى عن جمل تغزل يلقيها عليها شاب سخيف ولكنه تمادى بسماجته فالتفتت اليه لتزجره عندما ظهر من العدم وجه زيد ... الحانق !

التقط سترته دون ان ينظر لحركاتها الخرقاء المرتبكة في الغرفة ! لقد كانت تتقلب في السرير طوال الليل !

قال بهدوء وهو يتجه نحو باب الغرفة " الى اللقاء شهرزاد " ثم اضاف بابتسامة ساخرة " كوني طالبة مجتهدة "

تطلعت اليه بوجه مرتبك بينما كانت لاترتدي الا بلوزة حريرية بلون الزهر شعرها محلول على طبيعته الناعمة وساقيها بدتا جميلتين جدا من تحت البلوزة ...

اقتربت منه فجأة بخطوات متسارعة لتضع يديها على صدره برقة ، قربت شفتيها من شفتيه دون ان تمسهما ثم همست بحشرجة

" انا ... خائفة ! "

تطلع لشفتيها وهو يرد بهمس هادئ " ممَّ انت خائفة ؟! "

عيناها الجميلتان توسلتاه بلمعة تائهة وبدلا من ان تقول المزيد فاجأته بأن لفت ذراعيها حول رقبته واطبقت شفتيها على شفتيه بقبلة يمزقها الارتباك !

استسلم لقبلتها مع شعور غريب انها تريد المزيد منه ! لتتحول قبلتها لشيء آخر لم يفهمه لكن .. اعجبه ... !

خفقة بقلبه تعثرت ولم يعرف كيف ترك ما بيده ليسقط ارضا ويضمها بين ذراعيه بعاطفة عنيفة !

عندما ابتعدت عنه كانت تلهث بينما تهمهم بكلمات لم يستوعبها في البداية لانه كان يتخبط باحساس آخر ...

افلتها ما ان ابدت رغبتها بالابتعاد بينما عقله يفسر متأخرا كلماتها .. لقد همست " شكرا.. لك .. كنت بحاجة ... لهذا !"

بحركة آلية انحنى ليلتقط سترته التي اوقعها ارضا ثم غادر بهدوء دون ان يجد ما يقوله !

اخذت نفسا عميقا قبل ان تترجل من سيارتها ، اغلقت السيارة بجهاز التحكم ثم سارت بخطوات متأنية المسافة البسيطة بين السيارة وبوابة المبنى .

قلبها كان منقبضا ولم تعرف هل انقباضه بسبب بدأها لمرحلة جديدة ام لان ذلك المبنى يبعث في قلبها احساسا بألفة معرفة خانقة !

عندما دخلت المبنى دعت الله ان يكون المصعد يعمل فلا تريد استخدام السلم والمرور امام شقة ذلك المشعوذ ...

تنفست الصعداء عندما وجدت هناك من يستخدم المصعد فسارعت لتلحق به وهي تبتسم بامتنان للرجل العجوز الذي انتظرها ..

زفرت نفسا آخر بينما تحدث نفسها قائلة بقلق " اتمنى ان لاانّدم لتلك الخطوة ! اتمنى اني لن اصدم بالفشل ، اذا فشلت لااعرف كيف ساتصرف .. كيف ... كيف سأواجه هيثم ؟!"

غامت عيناها وهي تهمس باسمه بصوت خافت جدا تستمد من حروفه دعما كالذي منحه لها صباحا ...

ترى هل بدت حمقاء وهي تقبله بتلك الطريقة ؟ لكنها لم تشعر انها حمقاء !

شعرت ان تأخذ شيئا منه .. شيئا حقيقيا صغيرا منحها بعض السكينة ...

خنقتها العبرة وهي تعود لابنة السادسة عشرة ، فتاة مراهقة في السادسة عشرة ترتاد افضل المدارس وتركب افخم السيارات وترتدي افضل الملابس واكثرها اناقة ...

ولكن ... هذا كل شيء ...!

لا دفء .. لاحب .. لااحتضان ....!

كم تهفو لشعور الاحتضان !

امها لاتذكرها فقد ماتت وهي في الثالثة كما قيل لها ، والدها .... ارتعد جسدها باحساس رهيب بالرفض !

كم كان قاسيا .. وما زال !

كان خائب الظن لابعد حد .. محتقرا بصراحة مميتة لرقتها الفطرية !

يعبس باشمئزاز واضح اذا رآها تبدي تأثرا عاطفيا نحو اي انسان !

نحو السائق العجوز الذي احبته جدا وكانت تنادي جدي لتفرحه .. نحو الخادمة المسنة التي اشرفت على تربيتها فاعتبرتها كأم لها .. نحو شاب مسكين رأته في الشارع مبتور الساقين فأخذت تبكي من اجله !

وغيرها كثير ...

يعيب عليها تلك المشاعر ويصفها بابتذال وضعف لايطاق ...

حتى عندما استشعر اعجابها بهيثم كان يمنحها نظرات استخفاف وخيبة امل !

كان يريدها قوية جموحة لتجعل هيثم كخاتم في اصبعها !

لم يكن يعرف انها لاتستطيع .. لاتستطيع ان تكون كما يريد .. لاتقدر ولاتملك ما يؤهلها لتقدر ...

هيثم .. حب حياتها الاوحد .. شعلة مضيئة في مشاعرها ... وربما لانها ادركت ان والدها اراد لهذه المشاعر ان تستمر جعلها تشعر بالفخر لانها منحت قلبها له وتمادت لتجعله يشعر بهذا العشق ..

لم ترَ رجلا اخر غيره ... انه رجلها الوحيد ... رغم ان الكثيرين حاولوا معها لكنها كانت مغلقة العاطفة من هذه الناحية ، معدومة التأثر ،

حتى وهي تقتلها الغيرة من علاقات هيثم المفضوحة مع النساء الا انها كانت على قناعة انه سيكون لها اخيرا .. ربما قناعة تسربت اليها من والدها الذي كان شريكا لوالده بنسبة كبيرة في شركة الجراح وكان يرى ان ارتباطها بهيثم استمرارية لهذه الشراكة المربحة خصوصا بعد وفاة والد هيثم ليصبح هيثم شريكا فعليا لوالدها كونه الابن الذكر الوحيد لعبد الحميد الجراح ...

وحصل المراد ... وتزوجا وهي في حالة انبهار وعدم تصديق ! ليلة زفافهما بدا هيثم منبهرا مثلها ولم تعرف لماذا بالضبط ؟!

كانت غارقة تتخبط لالتقاط انفاسها وهي تغرق في عاطفة اخرى مختلفة لم تظن وجودها يوما ...

كل ما تعرفه ان شلالا جارفا من مشاعرها افلت منها تماما ليتدفق دون اي سد او حاجز ....

اجفلت والرجل العجوز يقول لها بقلة صبر " ابنتي الن تخرجي ؟؟"

احمرت قليلا وهي تعود لارض الواقع فتغادر المصعد وهي تغمغم بالشكر ...

خرج شاهين من غرفة مكتبه مناديا سمارا بنزق " سمارا ! اين وضعتِ الاسطوانات المدمجة الخاصة بي ؟! لماذا تصرين على اعادة ترتيب اغراضي بطريقة لاافهمها ؟!!"

اقتربت منه سمارا وهي تضيق عينيها بتأنيب " مدير شركة محترمة لايصرخ بهذه الطريقة وامام موظفيه "

تأفف شاهين بينما باهر وحامد يضحكان بخفوت من وراء ظهر سمارا فاوشك ان يظهر لها بعض الحنق عندما تصلب فكه وقبلها لسانه بينما عيناه تلمحان دخولها الزهري !

تسلب القلوب ! بذلك التيه والتردد النابع من اعماق بعيدة قد تصل لطفولتها !

اجل ... وكأنها لم تعرف يوما طمأنينة حقيقية من احد فتعودت هذه المعايشة مع هذا الشعور او الاحتياج الطفولي ..

بدت صغيرة جدا شديدة الهشاشة ببلوزتها الزهرية وتنورتها الطويلة الموردة بينما رفعت شعرها باناقة كذيل حصان ...

همستها المرتبكة بتحية الصباح جذبت الوجوه نحوها ..

كانت سمارا اول من رد ببشاشة

" صباح الخير ، هل اخدمك بشيء ؟!"

نظراتها التائهة تعلقت بتلابيب قلبه وهي تتوجه نحوه دون سواه فوجد نفسه يبتسم لها مشجعا كما ابتسم لها في مكتب هيثم الجراح .. زوجها !

ليقول بلطف " صباح الخير سيدة شهرزاد ، سعيد لقدوك ... "

لسبب ما تجاوز تعريفها بسمارا ليلتفت نحو باهر قائلا " باهر .. هذه السيدة شهرزاد زوجة السيد هيثم الجراح والتي ستكون مسؤولا عن اعطائها دورات مكثفة في الحاسوب "

التفت باهر نحو شاهين بملامح بلاهة وهو يقول " أنا ؟! "

بينما شهرزاد قالت بابتسامة عذبة غير واثقة " مرحبا سيد باهر .. اتمنى ان لااتعبك معي " ثم اخذت تنقل نظراتها بينهم بوجه متورد لتقول بنفس الابتسامة " ارجوكم نادوني بشهرزاد فقط لا داعي للالقاب "

نظر اليها باهر ليهز رأسه بابتسامة بلهاء ثم تقدم نحوها مادّا يده في مصافحة بشوشة وترحيب خجول ، اما زميله حامد فقد اكتفى بفتح فمه وهو يحدق في شهرزاد من خلف زجاج نظارته الطبية وكأنها قادمة من عالم لم يسمع عن وجوده قبلا ...

تمتم شاهين باحباط " أعنا يا اللّه ..."

ثم مال ليهمس قرب اذن سمارا التي توسطت المسافة بينه وبين حامد " اغلقي فم ذلك المعتوه سيفضحنا "

بابتسامة ثابته مالت سمارا بدورها نحو حامد لتقول من بين اسنانها همسا " اغلق فمك حامد ..."

ثم التفتت نحو شاهين لتقول بعينين ذكيتين حانقتين " لنا كلام فيما بعد يا شاهين .."

ثم تقدمت نحو شهرزاد لترحب بها قائلة " سعداء بتواجدك معنا شهرزاد ، انا سمارا مساعدة شاهين "

ثم قادتها باتجاه احدى الغرف لتقول ببشاشة " تفضلي عزيزتي من هنا .. سيكون باهر مسؤولا عن اعطائك الدروس "

مرت شهرزاد من امامه وهي تهز له رأسها بتحية خجولة بينما شاهين يضع يديه في جيبيه مانعا نفسه من مصافحتها ... لايريد ان يلمسها ... لها تأثير غير عادي عليه والحمد للّه انه ليس بحالة شاذة وقد رأى بأم عينيه تأثيرها على باهر وحامد ...

التفت بحدة ليعود لمكتبه بينما يرى حامد تنشرح ملامحه شيئا فشيئا ...

بعد نصف ساعة او اقل دخلت عليها سمارا هادرة الخطوات لتغلق باب غرفته عليهما وتلتفت اليه متخصرة ترمقه بنظرات نارية ...

رفع وجهه اليها ليسأل مدعيا عدم الفهم " ماذا ؟!"

رآها بوضوح تكز على اسنانها قبل ان تقول بصراحة شديدة " ماذا بينك وبين تلك القطيفة الحريرية !"

ماطل متسائلا " اي قطيفة حريرية ؟! "

ردت وهي تتكتّف الآن وعيناها تطلقان نظرات التحذير " زوجة السيد العظيم "

رد بلا مبالاة ظاهرية " آآآ تقصدين شهرزاد "

فقالت بنظرات حادة بينما لهجتها ساخرة "
وتناديها شهرزاد ايضا ؟! "

قال ببساطة " هي من طلبت ان نناديها بشهرزاد
فقط اليس كذلك .."

هتفت به وهي تضرب على سطح مكتبه
بقبضتها " شاهين .. ماذا يحصل ؟ "

لم يرد فقط يتجنب النظر اليها وهو يدخل
القرص المدمج في مكانه بينما سمارا تغير
نبرتها قائلة ببعض اللطف " صارحني شاهين ..
هناك شيء ما يحدث لك منذ ايام وبعد
رؤيتي لتلك القطيفة بدأت اربط الامور وما
اربطه لايعجبني اطلاقا .."

نظر اليها بهدوء شديد ليقول بحزم " فقط
دعي الامور كما هي سمارا ، فلتثقي بي الآن
كما كنت تثقين بي دائما "

ثم غمز لها مبتسما ليقول " بمناسبة الثقة بي
هل قال لك اياد شيئا هذا الصباح "

ردت بعناد بعد لحظتيّ صمت " لن اخبرك ما
دمت ترفض اخباري بما يخصك .. "

ضحك قائلا بمداعبة شقيّة " اراهن انك
التقيته صباحا فسارعت لالقاء التحية ثم
هربتِ سريعا لغرفتك ، كما فعلت ليلة
الامس بالضبط وانت تنسحبين من الجلسة ! "

تمتمت بحنق " شاهين لاتكن مزعجا ! "

لكن شاهين اكمل بمرح وهو يحرك حاجبيه " لا .. لقد غيرت رأيي ... اكاد اجزم انك ابدلت ملابسك باسرع ما تستطيعين لتغادري البيت قبل ان ترينه مجددا "

تنهدت بارهاق ثم قالت بعتب " تظن الامر مسليا ..؟! لكنك لاتعرف كم .."

صمتت ليشحب وجهها ثم همست " انا ..."

فعاودها الصمت مما اقلق شاهين وملامحه تتخذ طابع الجدية وهو يراقب شحوبها بتمعن فقال ببعض التردد " هل .. حاول شيئا ؟ حتى ولو بالنظر ..."

احمرت سمارا وهي تحيد بوجهها جانبا فاضاف شاهين بلطف وهو يقف على قدميه " لاتخجلي مني سمارا ، اخبريني لاكون معك بالصورة "

قالت بتحشرج مرتبك غريب عنها " لم ينظر الي قط ! لكن ..."

تلاشت كلماته فأصر قائلا " لكن ماذا ؟! "

ردت وملامحها تفقد كل ثبات وصلابة " لااعلم لماذا اشعر انه ينظر الي عندما لااكون انظر نحوه !"

قال شاهين بلهجة مؤنبة وهو يتكتف " ها قد بدأنا !"

رفعت نظراتها اليه وهي تقول بحاجبين معقودين " ماذا تقصد ؟! "

رد وهو يتحرك حول مكتبه " انت لست ابنة الثالثة والعشرين " تمتمت بغباء " اجل .."

كان قد اقترب منها ليقف امامها وهو يكمل " ولست خطيبته .."

عيناها التمعتا لتقول بارتباك " لقد كان غاضبا ... بشدة ...لاني فسخت الخطبة "

ردد بحنو " مضت سبع سنوات يا سمارا "

ابتلعت ريقه لتقول " ما زال غير مرتبط "

عبس قليلا وهو يسأل " وكيف تعلمين ؟!"

ردت بتعب " اخبر هديل بهذا "

فسال شاهين " ووالدك ؟"

قالت بارهاق هذه المرة " سعيد لابعد حد ! وكأنه يتعمد اغاظتني بتمسكه باياد ليبقى عندنا ! لاافهم لماذا يتجاهل كونه كان خطيبا لي قبل سنوات "

قال شاهين بتفهم " لاتنسي انه لايعلم ..."

هزّت راسها موافقة وهي تقول ببعض الارتجاف " لااحد غيرك يعلم شاهين "

وضع يدا على كتفها ليقول " اهدأي سمارا .."

اخذت نفسا عميقا لتهدأ بينما شاهين يبعد يده ويقول بمرح مشاكس " لاتقلقي سرك في بئر عميق "

عاتبته بابتسامة مرتبكة ووجه محمر " شاهين ..!"

ضحك عاليا بينما تسأله بنظرات لمع فيهما الارتباك " هل تتصور انه ... اعني .. في ذلك اليوم .. هل كان .. سيتمادى ؟!"

رد بابتسامة مرحة ليحاول تخفيف الذكرى عليها " تقصدين عدا تقبيلك كمهووس مجنون ؟! لا لااعتقد انه كان سيتمادى "

قالت بارتعاش " لقد كان يصرخ في .."

علّق بهدوء " لم يكن يتفهم اسبابك سمارا ، ظن انكما ستتزوجان وتسافران معا ثم فاجأته برفضك السفر وفسخ الخطبة.. "

قالت بنظرات مجروحة " ماذا كان يفترض ان افعل ؟! ابي مصدوم بوفاة امي المفاجئ وهديل لاتتعدى الخامسة عشرة وقد انتابتها حالة تمرد هائج "

اخذت تمرر يدها على رقبتها وهي تقول بخوف ظاهر " لم اظنه يحبني .. هكذا ! كانت مجرد خطبة عائلية عادية وهو .. لم يخبرني يوما انه يحبني ..صحيح كان يرمقني بالنظرات التي لم افهمها لاني كنت بريئة الى درجة البلاهة لكنه لم يصرح "

توقفت لتسأل فجأة " هل تظنه ما زال يحمل لي المشاعر " ابتسم شاهين ابتسامة واسعة ليقول غامزا " انت من يجب ان تعرفي وبمجرد ان تتأكدي اخبريني لافترش الارض امام باب شقتكم لارد العدوان العاطفي المحتمل شنّه عليك ، ما عليك الا الصراخ وانا سألبي النداء ... "

ضحكت سمارا بينما شاهين يتحرك عائدا لكرسيه ملتقطا هاتفه النقّال وبعض الاغراض ليقول " سأذهب لمعاينة بعض الاجهزة المطلوبة للمكتب والتفاوض على اسعارها "

نادته لتعاود الحاحها " شاهين .. ألن تخبرني ما نوعية اهتمامك بالقطيفة ؟! "

تجاهل شاهين سؤالها ليسأل بجدية مغلفة بالمرح " هل ما زالت معجبتي غاضبة مني "

استسلمت سمارا لتجاهله الامر لترد على سؤاله بفكاهة " انا صالحتها بان جعلتها تسرح شعري وتزين وجهي "

رفع شاهين رأسه ليغمز لها قائلا بخبث " هل كان قبل ام بعد حضور مهووسك ؟! لاتقولي انه رآك بافضل هيئة في استقباله "

اطلقت صوتا مغتاظا بينما يضحك شاهين متحركا نحو باب مكتبه ليقول

" اخبريها اني اغار عليها فربما ستوجه مشاعرها نحوي مرة اخرى وبهذا نضمن انها لن تقع فريسة لاي (دنيء) "

وقبل ان يفتح الباب تلكأ قليلا قبل ان يقول بغموض " سمارا .." ردت وهي تقترب منه " نعم .."

قال وهو يستدير نحوها براسه فقط " شهرزاد تحتاج لبعض الدعم ، انها .." هدأت ملامحها لتسأل بحذر " انها ماذا شاهين ؟"

قال ببساطة " انها وحيدة ومهزوزة الثقة "

سألته بدهشة هذه المرة " كيف عرفت هذا عنها ؟! "

لكنه كان قد فتح الباب ليغادر قائلا

" تأخرت .... الى اللقاء .."

بعد ثلاث ساعات كانت شهرزاد اول وجه يلتقيه وهو يدخل مكتبه ...

كانت تقف بمفردها تقرأ في بعض الاوراق مبتسمة ابتسامة صغيرة لامعنى لها وعيناها بدتا مرتاحتين قليلا عن الصباح بينما تحمل بيدها كوبا ملونا بالوان القوس قزح تفوح منه رائحة القهوة بالحليب ..

تنبهت لدخوله لتبتسم له ابتسامة خلابة قائلة " مرحبا سيد شاهين ..."

رد بلطف وعيناه تقاومان الانجذاب لملامحها المميزة " بامكانك مناداتي شاهين "

قالت بصدق معبر وهي تخطو نحوه " انا شاكرة لك " لتتعثر بالتأثر ثم اضافت بامتنان " لكل شيء .."

شعر بالدفء يشع منه فقال بابتسامة حانية " اريدك انت تتعلمي الكثير هنا ، ستستمتعين جدا معنا ، لاتهابي الخطوات الاولى واسترخي تماما وخلال ايام ستعادتين الجميع وسترين انهم قريبين منك وانك متآلفة معهم "

تملكت صدره خلجة مرتعشة وهي تسأله بضعف " هل تظنني سانجح حقا؟ "

فرد بثقة ودون ادنى تردد" انا اعلم انك ستنجحين !"

ابتسامة اشرقت على وجهها جعلت قلبه يتقافز بطريقة عجيبة ! تنحنح وهي ينكس رأسه ويقول " اسمحي لي يجب ان اعمل على بعض الامور في مكتبي "

شكرته مرة اخرى ليتجاوزها بينما هي تضج بالراحة ...

رن هاتفها فابتسمت وهي تخرجه من جيب تنورتها ، لا تعلم لم شعرت انه هيثم وحدسها لم يخيب ظنها ... وربما هو ليس حدسا وانما امنية تمنتها من قلبها ان يتذكرها ويسأل عنها ...

فتحت الخط لتقول ببهجة " مرحبا هيثم "

قال بصوته الهادئ الساخر " كيف وجدت الدرس الاول " ردت بحماسة " رائع جدا وممتع للغاية "

علّق بغموض " حقا ؟! " اكملت بنفس الحماسة " نعم .. كلهم لطيفين معي " ردد بهدوء " ومن لايكون ؟! "

تورد وجهها لكن ابتسامتها تلاشت وهو يضيف قائلا بنبرة خنقت فرحتها " الليلة سأتأخر ، نامي ولا تنتظريني " جاهدت ليخرج صوتها دون ان تعرف تحديدا لضيق صدرها هذا مكتفية بالقول " حسنا " ثم ودّعها واغلق الخط !

شردت بعيدا وهي ما زالت تمسك هاتفها النقّال بيدها ليجفلها صوت مرح لسمارا وهي تقول " هل تهربين من استاذك منذ اليوم الاول ؟"

رسمت ابتسامة مرتبكة وهي تلتفت نحو سمارا لتحاول مجاراتها بمرحها قائلة " رشوته اني ساحضر له بنفسي كوب قهوة "

ضحكت سمارا وهي تقترب منها لتسألها بألفة محببة " كم عمرك شهرزاد ؟ لاتبدين تكبرين اختي هديل اطلاقا "

ردت شهرزاد بلطف " انا في السابعة والعشرين وكم عمر اختك ؟ "

قالت سمارا وهي تستند بجسدها لحافة الطاولة " هديل في الثانية والعشرين اما انا ففي الثلاثين ... " ثم غمزت مضيفة " رقم مميز اليس كذلك ؟ شاهين دوما يغيظني به "

ضحكت شهرزاد دون ان تدرك ان سمارا كانت قد تعمدت ذكر شاهين لترى ردة فعلها ، وكما سبق ولاحظت ، هذه الفتاة او (السيدة) لاتنظر لشاهين بشكل خاص ...

ثم تجرأت سمارا لتسال بعفوية " منذ متى وانت متزوجة شهرزاد ؟" لمعة غريبة مرت في عيني شهرزاد قبل ان تقول بابتسامة واهنة " منذ .. اربع سنوات ..."

قالت سمارا بلطف " تبدين من النوع الرومانسي " ردت شهرزاد بشرود " اجل ... هذا ما يقوله عني هيثم دائما ..."

شعرت سمارا انها تتطفل على حياة شهرزاد دون وجه حق ، حتى لو كانت تريد حماية شاهين لكن هذه الفتاة كما قال عنها شاهين تبدو مهزوزة ويسكنها حزن غريب ...

قالت سمارا اخيرا بلهجة مرحة " كل الرجال يتهموننا بالرومانسية والسبب انهم جاهلون بها فيتصرفون كالاطفال مدّعين انهم مترفعين عنها ! "

ضحكت شهرزاد لكن ضحكتها وبطريقة ما اشاعت الحزن في قلب سمارا ....

بعد اسبوع ....

التفت ذراعاها حول جذعه العاري بينما تطبع قبلة على ظهره ثم ادارت وجهها جانبا لتمسح بخدها على جلده ...

همست بصوت متخم بالرضا " اليوم كنت مختلفا ! لااعرف كيف ... لكنك بدوت وكأنك ..تريد المزيد ..."

التزم هيثم الصمت بينما يتطلع عبر زجاج النافذة لتسأل نورا ببعض الاستغراب " ماذا يشغل بالك هيثم ؟ "

رد هيثم وهو يتحرك مبتعدا عنها " لاتقلقي .. "

جوابه المقتضب اثار ريبتها لتتحرك هي الاخرى تلتقط قميص نومها القصير من الارض ثم اخذت تلبسه بسلاسة بينما ترى هيثم يلتقط قميصه ويرتديه على مهل ...

عقدت حاجبيها قليلا وهي تسأله ببعض الدهشة " هل ستغادر الآن ؟!! "

رد دون ان يتطلع اليها " اجل .. " فسألت ببعض الحنق " لماذا ؟! انها ما زالت السادسة "

قال وهو يجلس على الكرسي ليلبس حذاءه " شهرزاد احيانا تتصل في مثل هذا الوقت ولااريدها ان تجد هاتفي مغلقا ..."

تكتفت وهي تقول بعبوس " انت قلت انها منشغلة جدا بدورة الحاسوب تلك ولم تعد تتصل بك كما كانت تفعل سابقا "

كان قد اكمل لبس حذائه ليلتقط سترته بصمت فاغاظها تجاهله لتضيف بضيق " كما قلت انها اصبحت تبقى هناك حتى الساعة السابعة احيانا وبهذا هي لاتؤثر عليك ... لاتؤثر علينا ! "

قال وهو يغادر الغرفة بهدوء شديد " الى اللقاء نورا ..."

ثم اختفى عن ناظريها لتسمع فقط خطواته وبعد لحظات صوت باب شقتها يفتح ويغلق بنفس الهدوء المحيّر !

اضطر لركن سيارته على مسافة بعيدة من المبنى وحالما فعل ترجل منها ثم اغلقها بجهاز التحكم وتحرك ماشيا بسلاسة بينما وجهه يكسوه الجمود ...

كان وسط المسافة التي تفصله عن المبنى عندما رآها من بعيد تخرج ضاحكة من المبنى ... لم يرها من قبل تضحك هكذا !

ضحكة صافية نابعة من القلب ! ضحكة حرّة طليقة ترفرف كجناحي عصفور بهيج ..

عقد هيثم حاجبيه وهو يرى من خرج في اثرها ، شاب نحيل يحمل بضعة كتب ثم شابة حمراء الشعر ضاحكة ايضا واخيرا ... رآى شاهين .. يتحرك بخطوات سلسلة يبتسم بطريقة غريبة شاردة ....

لايعرف كيف خرج اسمها من بين شفتيه

" شهرزاد .."

الفصل السادس

لاول مرة يشعر بهذا الاحساس الاقرب للاختناق ! اختناق وفقدان للسيطرة ..

شيء ما كان يحوم حولها ..لا ... بل ريح غريبة تحاوطها وتكاد ترفع قدميها عن الارض لتحلّق بها ... بعيدا !

نفض رأسه ليعبس بغضب بارد بينما يمد ساقيه نحو الجمع المبتهج المتحلق حول زوجته ...

ضحكتها تخللتها رعشات ناعمة بينما عيناها تلمعان بالفرح وهما تلتقطان وجوده من بعيد ، شعرها تطاير فازاحته بيدها وهي تنجذب بعيدا عنهم .. بعيدا نحو من جاءها فملك عليها حواسها وفصلها عنهم ...

همستها باسمه " هيثم " تسللت لاذنيّ شاهين بنعومة خبيثة وعيناه تحركتا مع خطواتها نحو ذلك القادم ...

قال باهر باندهاش وهو يتطلع لشهرزاد تقترب من رجل وسيم " من ذاك الرجل ؟! "

اسبل شاهين اهدابه ليقول بنبرة غامضة

" انه زوجها .."

التزمت سمارا الصمت بينما تدقق النظر بـ(السيد العظيم) ...

قال باهر ببعض الانبهار " يليقان ببعض اليس كذلك ؟! "

هذه المرة تشنج شاهين فانخرس لسانه لتتنبه لصمته سمارا فالتفتت ترمقه بهدوء لتستشعر تشنجه ..

قالت سمارا بنبرة مراوغة " يبدو رجل لايهمه ان كانا يليقان ببعض ام لا ! انها زوجته فحسب .. انظر اليه كيف يرمقها ... "

رفع شاهين نظراته ليرى وصول شهرزاد لزوجها ثم قال ببساطة " انا لدي عمل مهم ، يجب ان اذهب الآن .."

ثم التفت نحو سمارا فوجدها تحدق فيه بنفس الطريقة التي دأبت على التحديق فيها اليه خلال الاسبوع المنصرم ، لاتكف عن محاولة قراءته فيما يخص شهرزاد ، رغم كل محاولاته لتجنب التواجد قريبا منها والاعتزال بمكتبه اغلب الوقت الا ان سمارا تثير حنقه باصرارها ... اصرار يعرف عن يقين انها لاتبالغ في اسبابه ...

قالت سمارا اخيرا " انتظر حتى نسلم على شهرزاد وزوجها .."

تطلع شاهين نحو شهرزاد وهيثم وهو يعاود الصمت ....

وضعت يدها على ساعده وهي تبتسم لوجهه الغامض التعابير بحيرة وبعض الارتباك ، قالت وهي تتطلع لعينيه بلطف

" ما بك حبيبي ؟ "

لمحة من سخرية قاسية مرت على ملامحه الباردة ليقول بتهكم واضح " حبيبك ؟!! هل اصبحت الآن تصرحين بالغرام علنا ووسط الشارع ؟!"

صدمتها بانت في اتساع عينيها لترتبك كلماتها وهي ترد بتحشرج " أا .. أنا .. لم .."

لكنه قاطعها مظهرا مللا غير حقيقي وقوده احساس مذاقه كالعلقم .. احساس مبهم غامض جعله يغضب اكثر واكثر ليقول وهو يشوح بيده نحو رفاقها " ودّعي من كنت تتباسطين معهم لنرحل ، لا وقت لدي لتلكؤك المعتاد "

رمشت بعينيها وهي تردد بحيرة " اتبـ... اسط .. معهم ؟!! انهم ..."

قاطعها مرة اخرى وعيناه تعصفان ليقول بفظاظة " انهم مجرد اجراء عندنا ! ندفع لهم المال ليلبّوا ما نريد لا ان نتضاحك معهم بسخافة "

همست عيناها تلتمعان بالدموع " انهم لطفاء ، يعاملوني كـ..صديقة .."

اشتعلت عيناه بلهب ازرق وهو يرد بضراوة " اي صداقة ؟!! انت زوجة هيثم الجراح .. هل تفهمين ... هيثم الجراح ... متى ستعرفين مقام زوجك لتعرفي مقامك وتتصرفين على هذا الاساس ؟!!"

خنقتها العبرة وانطفأ توهج كان يرسم ملامحها قبل دقائق فحسب !

انقبض قلبه واشتعلت فيه نار اخرى فامسكها من مرفقها وببرود همس

" هيا بنا .. لوحي لهم مودعة من بعيد ... لقد تأخرت بما فيه الكفاية .."

قالت بتعثر " لكن .. سيارتي ..."

زمّ شفتيه ليقول " ابقيها هنا وسأرسل احد موظفي الامن في الشركة ليعيدها للبيت "

رفع نظراته بعيدا عنها متعمدا لينظر نحو الثلاثة الواقفين على بعد يتعمدون غض ابصارهم وكأنهم استشعروا توترا بين الزوجين ، قال هيثم دون ان ينظر اليها

" نادهم ولوحي لهم شهرزاد .."

فعلت ما قال بارتجاف وهي تنادي " وداعا .. سمارا .. باهر .. شاهين .. ساعود بسيارة زوجي و .. هناك من سيحضر لاخذ .. سيارتي "

تأوهت وهو يضغط على مرفقها بقوة ولكنه كتم تعليقا معنفا آخر وهو يرى الثلاثة يلوحون لهما بابتسامة حيرى ...

لا .. ليس الثلاثة يبتسمون ... فشاهين كان ينظر اليهما بقناع من الجمود !

اكتفى هيثم بايماءة باردة من رأسه وهو يسحب شهرزاد عائدا لسيارته ...

اطرق شاهين برأسه مخفيا تعابير وجهه ليقول بخفوت " يبدو انهما قد تشاجرا لسبب ما ! عموما الى اللقاء غدا "

تحرك مبتعدا دون ان ينتظر ردهما ، بدت خطواته هادئة تماما .. هدوءا غير مريح على الاطلاق !

قال باهر ببعض الحيرة " شاهين لايبدو على طبيعته هذه الايام "

ردت سمارا بشرود " انه متعب .." ثم تحركت فجأة لتقول بعجالى " لقد تأخرنا اليوم ايضا ، يجب ان اعود للبيت حالا والا سيتضايق ابي مني "

رد عليها باهر وهو يلوح بيده " الى اللقاء غدا سمارا .."

كانت تشعر بالضياع لصمته الغاضب ! ماذا فعلت لتثير كل هذا الغضب ؟!

نظرت اليه وهو يمسك مقود سيارته بتشنج واضح لتقول بضعف " أنا .. اسفة .."

لم يرد عليها بينما اصابعه تشتد على المقود ، واصل صمته وهي غلبها ضعفها لتتقهقر منكشمة في كرسيها ..

اوقف السيارة امام باب البيت ليقول بصوت بارد دون ان يتطلع نحوها " انزلي شهرزاد .."

ارتعش جسدها بينما تنظر لملامحه القاسية ، فتحت فمها لكنها عجزت ! كبلتها تلك القسوة وصرعتها الحيرة لاسبابها ..

ترجلت من سيارته شبه مترنحة لتغلق بابها بضعف حزين ، خطوتين وعيناها أشرقتا بالدموع لتغمضهما بقوة بينما صوت عجلات سيارته يخبرها برحيله ...

فكيه مطبقين بشدة وغضب يعتريه لايعرف ماهيته ! لايعرف لِمَ عاملها بهذه الطريقة ؟

لم تعمد أن .. أن ....

زفر بقوة بينما صدى ضحكاتها الصافية تسخر منه ! بتعنت اختار طريقه نحو شقة نورا وفي داخله رغبة غريبة وخطيرة لمعاقبة شهرزاد !

فتحت سمارا باب الشقة وعقلها ما زال يدور حول شهرزاد ، ليس شهرزاد تحديدا ولكن حول شاهين !

انها تشعر بتغيره ، اصبح اكثر هدوءا .. تباعدا .. اغلقت الباب بشرود بينما تتذكر نظراته التي يحاول جاهدا نأيها بعيدا عن شهرزاد ، ابتسامته الكسلى عندما يراها تضحك او تبتهج ، ابتسامة لم ترها على وجهه سابقا ، ابتسامة فيها شجن .. شجن ورضا من نوع ما ...

صوت هديل ايقظها من غيبوبتها وهي تقف كحمقاء مستندة بظهرها على باب الشقة !

قالت هديل بهمس وهي تقرب رأسها من اختها " لماذا تأخرتِ ؟ وهاتفك مغلق ! "

ردت سمارا عابسة " لم اتأخر كثيرا وشحن البطارية انتهى "

قالت هديل بنفس الهمس " اياد هنا .."

شحبت سمارا ثم احمرت ! نظرت اليها هديل بفضول متسائل ، فهي قد تتفهم احمرارها ولكن الشحوب الذي سبقه لاتفهمه !

سألت هديل بما يعتمل في عقلها من افكار " ماذا بك سمارا ؟ لماذا تنتابك نفس ردة الفعل كلما جاء ذكر اياد ؟ "

ادّعت سمارا اللامبالاة وهي تتحرك سائرة نحو غرفتها لتقول ببساطة ظاهرية " لاتشطحي بخيالك يا صغيرة ، سأغير ملابسي لاستقبل ضيفنا كما يجب "

تسللت سمارا لغرفتها ساخرة من محاولتها الواهية لخداع هديل ، انها لاتخدع احدا على الاطلاق ولا حتى اياد نفسه !

اياد الذي رفض بلباقة كرم الضيافة من والدها ليغادر شقتهم مكتفيا بليلة واحدة افترش فيها ارضية غرفة استقبال الضيوف ، حتى انه رفض بمودة عرض هديل الكريم بالتخلي عن غرفتها لاجله وقال انه يفضل اخذ راحته في فندق مناسب حتى يفي سمسار العقارات بوعده له بتحصيل شقة مناسبة خلال ايام ...

وغادر اياد ليودعها بصوت أجش دون ان ينظر اليها ، والاكثر من هذا لم يعاود حتى الزيارة مكتفيا بالاتصال بوالدها هاتفيا للسؤال عنهم .

ألقت بجسدها على السرير وهي تشعر ببعض الذنب ، مؤكد هي من اشعرته بعدم راحتها من وجوده معهم في نفس الشقة ففضل المغادرة محترما رغبتها الصامتة ..

اجل .. هي كانت تريد منه ان يغادر ، تريده ان يبتعد ، ما زالت لم تتجاوز ما فعله معها قديما وقد يكون امرا مبالغا منها بعد هذه السنوات لكنها لاتفتأ تذكر الامر وتتأرجح بين شعور بالخوف من فقدانه للسيطرة وبين احساس آخر تماما يكاد يكون مناقضا ، احساس بأن هناك من احبها وارادها بهذه الطريقة العاطفية ..

بعد عشر دقائق كانت تتأهب لدخول غرفة الضيوف حيث يجالس والدها اياد عندما صدمتها جملة خرجت بصوت والدها وهو يقول بدهشة وبعض الصدمة " انت تزوجت ؟! "

شلّتها الجملة وصدمها المعنى بينما يأتيها رد اياد بنبرة تحمل بعض الألم " اجل .. بعد ثلاثة اعوام من سفري ، كان يجب ان ارضي امي يا عماه ، فبعد ان باعت شقتها هنا واتت للعيش معي ظلت تسعى لتزويجي وهي تتمنى رؤيتي سعيدا ومستقرا ، حققت لها رغبتها وكنت سعيدا لسعادتها فماتت وهي راضية ومرتاحة رغم انها لم ترَ اطفالي كما أملت "

صمت غريب حلق لاتسمع فيه سمارا الا صوت انفاسها المتهدجة ليقطع الصمت والدها وهو يقول بلطف " رحم اللّه والدتك " ثم اضاف بنبرة شبه مؤنبة " لكنك يا بنيّ اخبرت هديل انك ما زلت غير مرتبط "

تقبضت يدا سمارا وموجة غضب تضربها ، موجة سرعان ما جزرت بخيبة الامل وهي تسمع رد اياد الهادئ " هديل فهمتني ربما بشكل خاطئ ، انا اخبرتها اني لست مرتبطا وهذه هي الحقيقة ، انا مطلق "

غضبها انحسر لتغمرها موجة خانقة من خيبة امل من نوع اخر لتسمعه يضيف بنبرة غامضة " لقد تطلقنا بعد وفاة امي بستة اشهر ! هي من طلبت الطلاق بعد ان عجزت عن منحها مشاعري "

شهقت ولم تكن يدها سريعة بما يكفي لتكتم شهقتها وتمنع وصولها لـ..اذنيه !

تراجعت هديل للمطبخ بصينية العصير التي كانت تحملها ، كانت تبتسم بمشاكسة وقد التقطت وقفة اختها المتجسسة قرب باب غرفة الضيوف ، اذن فسمارا ما زالت تهتم !

وضعت الصينية على المنضدة الصغيرة الجانبية لتضع سبابتها بين اسنانها وهي تفكر بمرح ان اهم عقبة كانت تخشاها قد اضحت في خبر كان ، الاهتمام دليل مشاعر ..

(الاهتمام دليل مشاعر) تراجعت ابتسامتها وتلك الجملة التي بزغت من ذاكرتها تذكرها بمن زرعها اصلا ... زيد ...

انتابها نفس الارتباك وهي تتذكر تلك المصارحة النارية منه وسط الشارع !

منذ اسبوع لااكثر وهي لاتفتأ الهرب من تلك المصارحة كما تهرّب منها شخصيا زيد بعدها ليتجاهلها تماما مكتفيا بالقاء تحية الصباح!

لاتزال ملامحه الثائرة في مخيلتها بعد ان هرب ذلك الشاب الذي تحرش بها قرب موقف الحافلة ليواجهها زيد بآخر ما خطر في بالها !

لقد سألها صراحة عن مشاعرها الحقيقية لشاهين ! لقد صدمها واذهلها بل حتى اخرسها لدقائق لاتعرف كم طالت !

لكنها في النهاية تماسكت لتقول له بصلابة " الا ترى انك تتدخل بأمر خاص جدا ؟ الا ترى انه ليس من حقك سؤالي .. ليس من حقك احراجي بهذه الطريقة وانت تسألني عن مشاعر خاصة جدا "

ليأتيها رده وعيناه الخضراوان تلمعان بشدة " انا امنح نفسي حق السؤال لاني اهتم ! اهتم بشدة يا هديل " ثم اضاف بصوت مبحوح وعيناه تموجان باكثر من معنى " والاهتمام دليل مشاعر "

عضت شفتيها بقوة واحمرت بشدة وهي تتذكر كيف فغرت فمها وقد فجعتها الفكرة !

فكرة ان زيد يهواها ... كما اخبرتها سمارا ...
كما اخبرها ... شاهين ..

والافدح ان زيد اكمل قائلا بغضب مكتوم "
ذلك الـ ...شاهين يَكن لك عاطفة ايضا ..
قد لاتفهميها انت أو قد فهمتها لااعلم بالضبط
! ولكن ما يهمني هو مشاعرك انت ، خبريني
هديل .. هل ما استشعرته منك نحوه صحيح
ام ان حدسي خذلني ؟! "

لم تجد الا ان تقول له بحزم مهزوز باهتزاز
مشاعرها " لايحق لك سؤالي عن شيء يا زيد
.. لايحق لك ... لقد خذلتني وخيبت ظني
فيك ..."

ثم ببساطة هربت ! اجل هربت وهي تدّعي
الثقة مستديرة بجسدها لتتركه واقفا
بمفرده بينما تتسلق الحافلة تحاول السيطرة
على رعشة جسدها وهي تتخيل للحظة ..
للحظة فقط ان شاهين يكن لها العاطفة حقا
!

لم تجبن وهي تقتحم الجلسة برأس مرفوع
لتلقي تحية المساء بينما تواجه نظرات اياد
اليها لاول مرة منذ عودته وتلك الابتسامة
الرقيقة والنظرات اللامعة تسللت بنعومتها
لتستوطن انوثتها ..

قبلت راس والدها وهي تضع كفها على كتفه فابتسم لها والدها بحنو ومد يده يربت على ظاهر كفها ويقول " تأخرت بنيتي "

ابتسمت وهي تقول ببشاشة " شاهين اصبح نشيطا فجأة ويحضر لنا مزيدا من الاعمال "

ضحك الاب بينما سمارا ترفع وجهها لاياد لتجده يرمقها بنظرات فاضت غيرة !

توردت وجنتاها بينما قال اياد وعيناه لاتفارقان عينيها " عماه انا جئتك اليوم بطلب قديم سبق وطلبته وانت اعطيتني اياه لكن الله شاء خسارتي له !

وبعد هذه السنوات اجدني لااملك الا ان اسعى اليه مرة اخرى وانا عازم ان لااخسره هذه المرة "

كانت سمارا تقف خلف كرسي والدها وقد اتسعت عيناها من الذهول لتسمع والدها يقول ببشاشة واضحة " هل طلبك يقف خلفي ؟! "

رد اياد بصوت مبحوح " انا اطلب سمارا عماه فهل ستمنحني موافقتك مرة ثانية ؟"

قالت سمارا بذهول بينما والدها يتضاحك " انت تريدني زوجة مرة اخرى ؟! "

قال اياد بعينين نهمتين للنظر اليها " انا لم ارد غيرك زوجة .."

وقف الاب على قدميه ليقول بحنو " اعتقد انكما تحتاجان للتكلم مع بعض "

همست سمارا باعتراض " ابي ... لاتذهب "

ابتسم لها والدها ثم ربت على كتفها قبل ان يتركها حيث هي ، تقف خلف كرسيه الفارغ تتمسك بحافته باضطراب شديد ..

تطلع اليها اياد بقلب خافق مانعا نفسه من الاقتراب ليهمس لها بتساؤل " هل .. شاهين هو نفسه من ..."

ادارت وجهها جانبا وقد تخضبت وجنتاها فكان ردا لسؤاله المقطوع ..

ابتلع ريقه ليسأل باحتراق " هل هناك شيء بينك و..بينه ؟"

عنف ارتداد رأسها ونظراتها النارية سبقت كلماتها الحانقة " اياك ان تجرؤ على هذا السؤال "

وقف على قدميه وانفاسه تتسارع فتراجعت خطوة للخلف لترفع يدها دون ان تشعر وهي تحذره بارتباك " لاتقترب اياد .."

همس بألم " ما زلت لم تغفري لي ! ما زلت تخافين مني ..."

ردت وهي تحاول استجماع شجاعتها التي تاهت منها فجأة " ما فعلته لاينتسى اياد !"

قال بهمس رقيق " كنت اعشقك .." ليضيف بابتسامة مريرة " وما زلت ! "

احنت رأسها قليلا لتهمس له " لااصدق انك ما زلت تحمل لي نفس المشاعر "

قال وهو يقترب بحذر " لم استطع ان احب زوجتي ، عاملتها بما يرضي اللّه لكني لم استطع ! حاولت وجاهدت لكن .. لاسلطان لي على قلبي ! "

عضت شفتيها وهي ما زالت تحني رأسها ليأتيها صوته قريبا منها وهو يقول بنبرة تفيض مرارة " لقد طلبت الطلاق لاني حلمت بك ، همست باسمك في منامي .. انا.. "

شعرت بيده على شعرها فانتفضت لتبتعد عنه وهي تقول بصلابة " اريد مهلة للتفكير .."

تنهد بينما تدير ظهرها اليه ليسألها قبل ان تخرج " ماذا يمثل لك شاهين ؟ "

للحظة اوشكت ان لاترد لكنها تراجعت لتقول بهدوء " شاهين اخ لي يا اياد ، اخ ساندني طوال هذه السنوات ولم يتخلَ عني ابدا ..."

زفر بارتياح بينما هي تغادر بخطوات ثابتة لاتظهر شيئا مما يجيش به صدرها ...

رن هاتفه فتحرك من استناده على السور ليخرجه من جيبه ويفتح الخط رادا بتململ " مرحبا سمارا ... انا بخير ... اتوسل اليك انا بخير.."

كان يتوقع صوتها يأتيه ساخطا لانه لم يرد على مكالمتين سابقتين لها فتفاجأ بصوتها المضطرب وهي تقول بشكل مباشر " اياد طلبني للزواج "

ضحك شاهين عاليا ثم قال مغيظا اياها " شيء رائع حقا ! هذه المرة اذا تهجم عليك سيكون برخصة شرعية "

نادته باضطراب متزايد "شاهين " ثم صمتت ! عبس شاهين وهو يعاود الاستناد على السور بمرفقيه ليقول لها باستنكار " لاتقولي انك سترفضين ! "

ردت بتعثر " انه ... مطلق ! "

للحظة شعر بالتوجس وهو يقول " ولكنك قلت ان ..." فقاطعته متنهدة " هديل فهمت خطأ ! هو تزوج وطلق قبل بضع سنوات .. لااعرف متى بالضبط "

سأل بهدوء وتركيز " هل لديه اطفال ؟! "

ردت بهمس " لا ...." زفر بارتياح ليقول " حسنا هذا امر جيد "

قالت بغيظ " اقول لك مطلق .. مطلق ! هل تريد مني الزواج بمطلق ؟! "

ضحك مرة اخرى فتفاقم غيظها وهي تقول من بين اسنانها " لا تضحك شاهين ! لاتجعلني اشعر بالندم لاني الجأ اليك "

تمالك نفسه بينما يقول ببساطة " حسنا انت تقولين انه مطلق " ردت بتوجس " اجل ..."

فرد بنفس البساطة " وانت في الثلاثين ! "

تأففت بصوت عالٍ وهي تقول " لافائدة منك ! "

قال بابتهاج " انا لاامزح ... "

صمتت فسألها بحنو " تريدين الجد سمارا ؟"

ردت بتأهب " مؤكد ! ولِمَ اتصل بك اذن ؟!!"

قال شاهين بصوت غريب " تزوجيه واسعدي بحياتك "

شعر بحيرتها .. خجلها ... توترها ... بينما اخذت تردد ببلاهة " لكن .. انا .. اقصد .. ابي ..." فقاطعها ليكمل لها بفكاهة " هديل .... "

عنّفته قائلة " لاتهزأ مني شاهين ! "

رد بصبر " انت من تهزاين مني اذا ظننت اني لااعرف تهربك من الزواج "

صمتت للحظة قبل ان تسأله بضعف " هل انا معقدة ؟! "

ابتسم وهو يرد " لا ... فقط تحتاجين لبعض التشجيع وبعض الصبر لااكثر ..."

قالت فجأة " شاهين ... إنه يغار منك ! تخيل ..."

غامت عيناه وامتدت نظراته لصفحة مياه النهر امامه ليقول بنبرة شاردة " ماذا يعرف عن الغيرة هذا الابله ؟!! "

هذه المرة لم تفلته سمارا لتسأله دون مواربة " هل تعرفها انت شاهين ؟! "

رد بمرح مخفيا مشاعره " اكاد اموت غيرة من الدنيء اخضر العينين الذي يحوم حول معجبتي الصغيرة "

قالت سمارا بهدوء " انا اتكلم جديا شاهين "

لم يرد .... فقالت بلطف وتفهم " ابتعد عنها ... اقصد شهرزاد .. "

تساءل بصوت أجش " وهل اقتربت ؟؟ "

ردت بجدية " اخشى ان تفعل دون ارادة منك "

قال متنهدا " لاتقلقي سمارا ، قلت لك سابقا ثقي بي ..."

صمتت وهي تعجز عن قول المزيد ليضيف شاهين بنبرة هادئة " هل تعلمين .. انا اقف على الجسر ، في منتصفه تماما ، اراقب مياه النهر المارّة من تحته والانوار المنعكسة عليها من المباني والمطاعم على جانبيه "

واصلت صمتها وهو يكمل " مراقبة تلك الانوار المتموجة في الليل تبهج بطريقة غريبة ! تجعلنا نتحرق للمس تلك الانوار.. لكننا نعرف اننا لن نفعل لاننا ندرك ان ما نراه من بعيد هو اقصى ما يمكننا الحصول عليه من بهجة وما ان نحاول لمس صفحة الماء تتلاشى الانوار لتتلاشى معه ايّ بهجة ! "

نادته سمارا بتأثر " شاهين .."

رد عليها بصوت يدّعي المرح " تصبحين على خير يا عروس وفكري جيدا فيما قلته لك عن حياتك "

كانت نورا اكثر من سعيدة لعودته اليها ، لكن سعادتها لم تطل كثيرا وهي تراه متباعدا شاردا غاضبا !

تطلعت اليه في جلسته الباردة على اريكتها الجلدية فابتسمت ابتسامة صغيرة ثم استدارت نحو مشغل الاقراص المدمجة وبلمسة واحدا صدحت الموسيقى .

اقتربت منه بتباطؤ مدروس خصوصا انها استحصلت على انتباهه ليرمقها بنظراته التي تغويها !

لقد اختارت موسيقاه المفضلة ، صاخبة ولكن في غموض ساحر ، جلست امامه على الارض لتسند مرفقيها على ركبتيه تنظر اليه بفطنة لكن فطنتها هذه المرة لم تخترق حاجزه !

مدت جسدها قليلا لتصل بشفتيها لفمه تطبع قبلة حارة وهو يستسلم لها بشرود !

تغاضت عن شروده وهي تقول له بهمس مغو " هل ستبيت عندي الليلة ؟! انها الثانية عشرة "

ظل يحدق فيها ليقول بنبرة غريبة " تريدين المزيد نورا اليس كذلك ؟"

عبست نورا قليلا وهي تسأله " ماذا تقصد بالمزيد ؟"

فاجأها وهو يقف على قدميه لتبتعد عفويا بجسدها ثم قال وهو يلتقط هاتفه " تصبحين على خير .."

وقفت نورا على قدميها هي الاخرى لتقول بحنق " ما هذا الاسلوب يا هيثم ؟! تعاملني احيانا بطريقة اشعرها مهينة ! انا زوجتك ايضا كما شهرزاد زوجتك وتستطيع ان تثق بي لتخبرني بما يشغل بالك فأكون معك "

كان قد تحرك نحو الباب ليلتفت اليها قائلا " انا لم اهنك بشيء ، كما لااخدعك بشيء ، ولااحاول اخذ شيء منك بالمراوغة كما تفعلين انت .. "

ثم اضاف وهي يضع يده على مقبض الباب " انا دقيق جدا فيما اخذ وفيما اعطي في المقابل ، لااحب خلط الامور "

ردت بعبوس متزايد واستهجان جريء " خلط الامور ؟!! الا تلاحظ اننا فقط نلتقي لنتعاشر ؟! هل هذا فعلا كل ما تريده مني ؟ مجرد رفيقة سرير ممتعة ؟! "

رد ساخرا وهو يرفع حاجبا واحدا " لكني اتيت الليلة اليك ولم (نتعاشر) كما تصفين "

قست نظراتها لتقول بذقن مرفوع " وهل اتيتني الليلة حقا يا هيثم ؟! لاني بصراحة لم اشعر بوجودك ! "

ابتسم ببرود ثم ادار مقبض الباب ليغادر بينما نورا تزمجر بصوت منخفض كأنها قطة غير راضية !

عندما دخل جناحه كانت السكون يعمّه تماما ، اضاءة خافتة لمصباح منضدي انيق هو

فقط ما جعله يستشعر وجودها ، اقترب ليراها تنام على ظهرها وشعرها الجميل منتشر على الوسادة ، كانت تغط بالنوم لكن اثار البكاء تلاحق سكون غفوتها ..

شفتان حمراوتان مرتعشتان تنفرجان قليلا لتطلقان تنهدات مخنوقة ، انف محمر وجفنان مسدلان لكنهما منتفخان بعض الشيء بينما الرموش الطويلة تستريح على اعلى خديها وكأنها تطبطب عليهما بنعومة ...

انزلقت عيناه لكتفيها وقد كشف عنهما قميص نومها الحريري .. نبضها الرقيق عند عنقها جعله يشعر بتعطش غريب اليها !

تنهيدة عميقة منها هذه المرة جعلته يجفل ! لايعلم ما الذي يعانده بالضبط ؟! ما الذي يحاربه ؟ لكنه وجد نفسه يبتعد عنها ثم وخلال ربع ساعة كان يضطجع بجانبها موليا اياها ظهره وجفناه يأبيان الاطباق !

صباح اليوم التالي

يد ثقيلة تمسد على شعرها بينما صوت ام سعيد يزعج غفوتها وهي تقول لها " سيدة شهرزاد استيقظي ، لقد تأخرت بالنوم والسيد هيثم قد خرج "

فتحت شهرزاد عينيها حالما اخترق مسامعها اسم هيثم ليعاودها نفس الشعور بالاختناق الذي نامت به !

تطلعت لوجه ام سعيد المكتنز ككل شيء فيها لتضيع ملامحها خلف فيضان من الدموع خانها فلم تستطع السيطرة عليه ...

لقد خرج ... خرج وتركها كما تركها بالامس ! لماذا يقسو عليها هكذا ؟ لماذا ؟! هل تستحق كل هذا منه ؟

جاءها صوت ام سعيد وهي تقول بتنهدات مصطنعة " يا ابنتي قلت لك ان هناك امر غير طبيعي في زوجك ، الشيخ نجم الدين .."

قاطعتها شهرزاد ببكاء هستيري وهي تقول بجزع " توقفي .. توقفي .. اتوسل اليك توقفي .. لم اعد استطيع التحمل ! "

تنهدات اخرى مدروسة بعناية ثم اتخذ صوتها طابعا امومیا حازما وهي تقول " اسمعيني سيدتي ، انت لست صبورة ويفترض ان تتحلي بكل الصبر لتكسبي زوجك بأي طريقة كانت لا ان تجزعي وتنهزمي بهذه الطريقة الضعيفة "

من بين شهقاتها قالت شهرزاد بحرقة " لم يعد بيدي شيء ! كلما خطوت خطوة اظنها ناجحة اكتشف اني فشلت بها .. فشلت ..."

ردت ام سعيد بنظرة واثقة وهي تمسح الدموع عن خديها " لانك تستسلمين سريعا ، الشيخ نجم الدين ارسل لك مرسال يقول انك يجب ان تذهبي اليه باقرب وقت .. اليوم تحديدا، لقد رآى لك مناما مرعبا يهدد حياتك مع زوجك وحتما ولا بد ان تذهبي اليه لتنقذي زوجك مما ينتظره "

شهقت شهرزاد بجزع وهي تهب بجذعها لتقول بشحوب الارتعاب " هيثم ... هيثم ... ماذا سيحصل له ؟!! "

ردت ام سعيد وهي تخفي ابتسامة النصر " اذهبي للشيخ نجم الدين ، يقول ان هناك امر جلل وهو لايستطيع مساعدتك ان لم تحضري بنفسك ... يقول ان هناك امرأة تسحر له وتثير جنونه وان لم نفعل شيئا فأنه سيفقد عقله تماما او ... قد .... يموت ! "

بعد نصف ساعة كانت شهرزاد تقف امام باب تلك الشقة التي جاءتها مرتين في حياتها وها هي تأتيها للمرة الثالثة لكن دون لثام يخفي شخصيتها ..

قلبها يئن خوفا ويتلوى رغبة لحماية من تعشق ، ودون تردد عقدت عزمها وهي تهمس

" لاجلك فقط "

ثم رفعت يدها لتدق الجرس ...

مر وقت طويل قبل ان يُفتح لها الباب ليطل وجه مألوف لتلك الخادمة العوراء ، وجه يقبض قلبها ، ليس لدمامته ولكن لتلك النظرة الباردة المرعبة التي تطل من عينها اليسرى والتي لم تعد تملك غيرها لتنفث تلك النظرات عبرها ...

ابتلعت شهرزاد ريقها لتسبقها الخادمة بالقول وهي تبتسم بسخرية " الشيخ نجم الدين يتوقع مجيئك منذ ايام ! لم يكف عن ذكر رؤياه حولك وحول زوجك ! "

جسدها يختض بينما يتحرك بقدرة عجيبة خلف تلك الخادمة الاعجب ..

طريق تعرفه حتى الغرفة الخاصة التي يتخذها الشيخ نجم الدين مجلسا له ، طريق مبهم تسوده ظلمة لايكشفها ضوء النهار الذي حجبته ستائر داكنة لامعالم لها ، ارائك صغيرة منتشرة في كل مكان بالوان اكثر دكنة ورسوم اكثر غرابة !

سور قرآنية معلقة كلوحات باهتة .. قديمة ، مسبحات من النوع الضخم تفرق توزيعها هنا وهناك ...

رائحة .. رائحة بخور ممزوجة بعطر مجهول غير مستساغ وكأنه عطر منبعث من عالم آخر مريب ومختلف ليصل عالمهم عبر هذا بوابة الشيخ نجم الدين ...

طرقت الخادمة الباب وقد بلغ ارتجاف جسد شهرزاد مبلغا لايحتمل لكنها قاومت .. قاومت لاجله هو ... لاجل ان تنقذه ...

دخلت عبر الباب الذي فتحته لها الخادمة وهي ترمقها بنظرات غير مفهومة ...

تجمدت ساقا شهرزاد ككل مرة بينما الخادمة تغلق خلفها الباب بعد ان تركتها وحيدة معه .

نظرت لجلسة الشيخ التي توسطت اريكته الخاصة والتي لايجلس عليها سواه بينما توزعت من الجانبين مباخر ضخمة ، جلسته كانت كعادتها محنية الظهر وكأن اعباء العالم تراكمت عليه ، جسده ضخم .. ضخم جدا تحت عباءة سوداء ، كان يحني راسه دائما عند دخولها ، رأسه الذي يغطيه بوشاح ابيض ... خالص البياض ...

ناداها بصوته المهيب المؤثر " تعالي شهرزاد .. تعالي يا ابنتي ... حملك ثقيل .. اثقل كاهلي معك ..."

تقدمت شهرزاد خطوة لتقف وهي عاجزة عن تصليب ساقيها لتواصل السير دون ان تقع ارضا !

ناداها بحنو رغم غرابة نبراته " تعالي يا ابنتي ... اقتربي مني لاراك عن قرب .. واشد أزرك .. مصيبتك عظيمة يا ابنتي .. عظيمة .. وادعو اللّه ان يمنحني القوة لاكون سببا في رفعها عنك وعن زوجك ..."

لهفة الخوف على اكثر من تحب جعلتها .. تصمد .. تخطو نحو الشيخ وتجلس على اريكة بجانبه كما اشار لها لتقول بتقطع مرتعب " ماذا به زوجي يا شيخ ؟ "

رد وهو يمسح عينيه مظهرا التأثر " زوجك مبتلى بسحر اسود ، سحر يسمم حياته ويسمم جسده " ثم فجأة رفع عينيه اليها بنظرات حادة ليقول بصوت متحشرج " ليس العشق ما كان يجب ان نبحث عنه ، لقد خدعوني ... انهم ماكرون .. ماكرون جدا لعنهم اللّه "

انسحبت اخر قطرة دم في وجهها وهي تتطلع لتغضنات وجهه المرعبة!

همست باختناق " من خدعوك ؟! ماذا ...يحصل ....يا شيخ ؟"

تطلع بتمعن في تفاصيل وجهها ، نظراته كانت تشوبها مشاعر قوية .. نار متأججة !

شهقت رغما عنها ولاتعرف هل تخاف ما يقوله الشيخ ام تخاف الشيخ نفسه !

قالت باختناق اكبر " هل .. هناك .. امرأة في .. حياة زوجي .."

رفع كفّه الايمن عاليا ليقول باستنكار " حاشا للّه ! زوجك نظيف .. بريء من اي خيانة كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام "

تشابكت يداها وهي تقترب من الشيخ بارتعاد لتسأله بانهيار " اذن ... ماذا ؟! ام .. سعيد .. قالت .. امرأة !"

رد وملامحه تبث الاشفاق " انها امرأة .. لكنها ليست انسية يا ابنتي ! انها من نساء الجن ! عشقت زوجك وفعلت الافاعيل حتى وصلت للسحر الاسود القديم قدم الخلق فالقته عليه لتتملكه "

ثم اخذ يتباكى وهو يضع كفه على وجهه ويقول " سامحيني يا ابنتي لم اكتشف الامر من البداية ، خدعني الجن وهم يناصرونها في غوايتها ، توهوني وجعلتك تتوهين بينما زوجك المسكين يعاني "

ثم ابعد يده عن وجهه محنيا رأسه للاسفل وهو يتمتم بالاستغفار ليقول بصوت متحشرج " لكن الله يحبني ويحبك فارسل لي ملاكا صالحا يخبرني بحقيقة الامر "

لم تعد شهرزاد بقادرة على التحمل اكثر ! كانت لاتشعر بجسدها كيف يختض بينما تلتقط حقيبتها لتختض الحقيبة بقوة وهي تحاول فتحها ولم تشعر الا وهي تنفض ما في محفظتها على الارض وتهمس بتوسل " انقذه ... اتوسل اليك ... انقذه ... مهما .. كلف الام..ر ... انقـ.... ذه "

تنهد بقوة وهو ما زال محني الرأس لكن عينيه لم تفارقا اوراق المال امامه على الارض ثم قال بلهجة مستكينة " ليت الامر بالمال فقط يا ابنتي ! الامر كبير ... كبير جدا ويحتاج لما هو جلل ويهز السماوات السبع "

وضعت يدها المرتجفة على فمها وهي تنصت اليه بعجز هستيري لتهمس بكلمة واحدة " ككيف..؟"

رد وهو يتباكى مرة اخرى " السحر الاسود لا يبطل الا بعمل قائم على النجاسة ! "

رددت بضياع دون ان تفهم " ننجا...سة !"

رفع نظراته لها ليقول مؤكدا وعيناه محمرتان بشكل عجيب " اجل ... نجاسة .. الزنى ! ومنك انت وحدك "

ارتعدت وعيناها تجحظان وقد انعقد لسانها وانغلق عقلها عن الاستيعاب بينما اكمل الشيخ نجم وهو يمد يده بحذر ليمسك بقبضتيها الباردتين " لاتخافي يا ابنتي ، انا لم اعد اهفو للنساء منذ سنوات وما سنفعله معا ليس الا وسيلتنا الوحيدة لنحصل على نجاسة الخطيئة ! "

ما زالت متجمدة ولاتبدي ردة فعل ليقول وهو يلامس قبضتيها ملامسة ناعمة " سنفعل الامر سريعا وحالما ننتهي سنبطل سحر تلك الكافرة الزنديقة وننقذ حياة زوجك وحياتك معه وبعدها سنستغفر اللّه واللّه غفور رحيم "

صمتها المصدوم شجعه ليتمادى فاقترب بوجهه منها مدمدما بكلمات مطمئنة شابتها حشرجة رغبة افلتت منه ، رغبة فاحت رائحتها من انفاسه وهي تسقط على خدها !

الفصل السابع

تلك الانفاس .. تلك الرائحة كان تأثيرها
صاعقا على حواسها مستنفرا كل غرائزها
لتهب مستيقظة من ركون لصدمة .. بل ..
صدمات !

شفتاها تحركتا بكلمة نبعت من خلف جدار
الجمود كينبوع متفجر حر " ابتعد .. "

تفاقمت الرائحة وهمساته اللاهثة توشك ان
تلمس شفتيها " اهدأي يا ابنتي ! "

جملة قالها اثارت غثيانها وكأن اعضاءها كانت في سبات اجباري لتبدأ استعادة نشاطها شيئا فشيئا بعد ان شق الينبوع ذلك الجدار الذي كبّل كل حركة فيها ..

تصدع الجدار اكثر وقد تحركت يداها بعنف لتتخلص من يده التي احتجزتهما ثم اخذت تدفعه في كتفيه ببطئ اولا لتتسارع حركة كفيّها بطريقة عجائبية ورفض شبه هستيري مع كل اشارات الخطر التي يرسلها عقلها باضطراد ...

صوتها تعالت نبرته وكلمتها اليتيمة لم تعد يتيمة وقد تلاحقت اخواتها على لسانها حتى ولو بتعثر " ابتعد .. عني .. حالا ... اتركني .. لا اريد ... ابتعد ..."

لكنه اخذ يحاوطها من كل جانب كخيوط العنكبوت كلما افلتت من جهة حاوطها من جهة اخرى وقد تحولت همساتها الحانية المطمئنة لهمهمات نزقة !

" اهدأي يا فتاة ! كله لاجلك .. لاجل زوجك .. اهدأي ..."

هسترتها تصاعدت واخذت تضربه بعشوائية في كل مكان ولاتعرف كيف اصابت احدى

عينيه فتوجع ليفلتها للحظة لتهب راكضة منه هاربة بخطوات مرتجفة نحو الباب ..

ضحكة ترتعد الفرائص منها سبقت محاولتها البائسة لفتح باب مغلق بالمفتاح .. ومن الخارج !

جسدها يختض وعقلها يستوعب ما يحصل لها بينما تشعر باقترابه من خلف ظهرها وصوته الذي اظهر قباحته يهمس بحشرجة " يبدو انك لاتعرفين مصلحتك يا فتاة ! هل انت غبية دائما هكذا ؟! لاالوم زوجك ابدا لتركك رغم جمالك المغوي هذا "

كانت تمسك بمقبض الباب كأنه حبل نجاتها الوحيد ! لكن ما ان شعرت بيده على كتفها حتى انطلقت حنجرتها باعلى ما تستطيع !

وبطريقة ما كان جسدها يسحب للخلف بعيدا عن .. تلك الباب !

دخل باهر المكتب ملقيا التحية على الجميع وللحظات عيناه بحثتا عن وجه محدد ولم يجده !

كان شاهين يمسك باوراق في يده فلم يتنبه له لكن حامد عبس وهو يسأله " ما بك باهر ؟! هل تبحث عن احد ؟! "

رد باهر ومعالم الاستغراب على وجهه " أين شهرزاد ؟! "

تلقى جوابا من سمارا التي خرجت من غرفة مكتبها حاملة كوبا من القهوة وهي تفرك صدغها بيدها " لم تأتي شهرزاد لحد الآن "

ارتفع حاجبا باهر ليقول بعجب " لكن سيارتها بالاسفل ! "

ارتفع رأس شاهين بحدة ليسأل بحاجبين معقودين " ماذا تعني سيارتها بالاسفل ؟! انها لم تأتي ! ربما اخطأت السيارة "

رد باهر مؤكدا " لا انا متأكد انها هي ، انها سيارة مميزة كما انها تعلق فراشة صغيرة بالمرآة الامامية "

تجهم وجه شاهين بينما قالت سمارا ببعض القلق " اين ذهبت ؟! "

قال باهر " لااعلم ! المصعد عاطل هذا اليوم فهل ذهبت مشياً على الاقدام لمكان ما على امل ان يتصلح ؟! "

رد شاهين وهو يضع اوراقه على المنضدة " الى اين تذهب ؟! انها لاتعرف مكانا تقضي فيه وقتها كما اننا في الدور الثالث لن يتعبها تسلق السلالم .." ثم التفت نحو سمارا قائلا " اتصلي على هاتفها النقّال .."

فعلت سمارا ليستبد بها بعض القلق وهي تقول لهم " هاتفها مغلق ! "

لم ينتظر شاهين اكثر من ذلك ليتحرك بخطوات قوية اثارت استغراب باهر وحامد بينما سمارا تلاحق خطواته وتقول " انتظر شاهين ... ربما ستظهر الآن .. ربما سترد على الهاتف "

لكن شاهين لم يستمع وهو يصل السلم لينزل درجاته بتسارع ..

عندما وصل الطابق الاول ومر امام شقة المشعوذ شيء ما كبّل خطواته ! رأسه التفت نحو باب تلك الشقة الموبوءة وحدس يلح عليه بالاقتراب ...

ضيّق عينيه ليقترب بتردد من تلك الباب ، لايعرف لم هذا التردد بالضبط ؟! هل يخشى ان تكون هناك فعلا ام يخشى ان لاتكون ! ام ربما في داخله يدرك انه يقحم نفسه في أمر لايجدر به ان يلعب اي دور فيه ...

وعلى هذا التردد رفع يده ليدق الجرس وقبل ان يفعل سبقه صوت صراخ عالٍ من الداخل !

جحظت عيناه وهو يميز صوت شهرزاد تصرخ باستغاثة ولم يشعر بنفسه الا وهو يضرب على الباب بعنف بالغ وقبل ان يحطمه انفتح له ليرى تلك الخادمة القميئة وقد تلبسها الشحوب والاضطراب لكنه دفعها بقوة اوقعتها ارضا ليركض وساقاه تطيعان اذناه وهما تحددان مصدر تلك الصرخات ..

اوشك ان يصل باب تلك الغرفة عندما سمع صوت الصرخات قد اختلف لتتملكه الهستيرية وقد اختلط به سباب قبيح بصوت رجل ..

هذه المرة كان الغضب المخلوط بالرعب طاقة لايوقفها شيء وهو يحطم الباب بكتفه من اول مرة فشرع الباب على صورة جعلته يفقد كل ذرة عقل فيه !

شهرزاد بجسدها الضئيل ترفس وتضرب ذلك الضخم الحقير الذي لم يتوانَ عن صفعها لحظة دخول شاهين !

تجمد كل شيء الا هي ! كانت في حالة هستيرية لاتوصف وهي تدافع عن نفسها ولم تتنبه لدخول شاهين العنيف حتى !

هدر شاهين مزمجرا وهو يتقدم نحو ذلك (المتشيخ) الذي ركبه الفزع فأفلت شهرزاد

لتقع ارضا وهو يقول متمسكا ببعض ملامح الغضب " كيف دخلت هنا .. من سم...."

عاجله شاهين بلكمة ارجعته للخلف ثم لم يشعر شاهين الا وهو يكيل له الضرب حتى اوقعه ارضا يئن كالحيوان الجريح فأخذ شاهين يرفسه بقدمه حتى انهكت انفاسه !

ولم يعد لرشده الا على ولولة الخادمة واصوات اقدام تقترب ، سارع شاهين للعودة الى شهرزاد التي كانت تختض بقوة على الارض فانحنى وهو يهمس لها بانفاس متقطعة

" تعالي شهرزاد .."

كانت ما تزال في حالة صدمة هستيرية فاخذت تضربه وتركله بقوة ، اخذ شاهين يهدأها وهو يحاول امساك اطرافها " انا شاهين شهرزاد ، اهدأي عزيزتي .. اهدأي انا شاهين .. انت بأمان "

شيئا فشيئا خفتت هستيريتها لتستكين له وهو يحملها بين ذراعيه ليتحرك بها بينما يرى وجهي باهر وحامد المصعوقين امامه مباشرة فادرك من صاحب تلك الخطوات التي دخلت ...

قال لهما بقوة " اجمعا كل غرض يعود اليها والحقا بنا " فهزّا برأسيهما واحدهما يلتقط

حقبيتها من الارض والاخر يلملم اغراضها المبعثرة والصدمة ما تزال على محياهما !

كانت ترتجف بشدة وهي تلتصق بصدره فاخذ يضمها اليه اكثر ويهدهدها وهو يتسلق درجات السلم " شششششششش .. انت بخير .. لم يحصل شيء .. انت معي الآن .. انت بأمان .. وستظلين بأمان ما دمت حيا !"

لم يكن يعي ما يفعل حقا او ما يعدها به لكنه تصرف بما يشعر انها تحتاجه في هذه اللحظات ..

قلبه كان يدق بعنف وهو ينظر لحالها ويتذكر الصورة التي رآها بها ويفكر اية مصيبة اوشكت ان تحصل لها ...

دخل بها المكتب وسمارا اخذت تشهق وتطلق الاسئلة المرتعبة فلم يرد عليها وترك الاجابات لباهر وحامد اللذين لحقا به ..

المهم الآن هو شهرزاد ...

دخل بها غرفة مكتبه الخاص ووضعها على الاريكة الوحيدة فيه والتي يستخدمها احيانا للنوم !

وضعها برقة واعتناء شديدين وعندما اراد تركها تمسكت به بقوة واخذت تشد على قميصه وهي تقول بارتجاف لايوصف

" اتـ... وسل .. اليك .. لا ... تتـ.. ركني ..."

نظر لوجهها الرائع وقد رسم الرعب الخالص ملامحه ، دموع تنساب على وجنتيها دون ان تفتح عينيها لتنظر اليه ، شفتاها شاحبتان جدا وترتشعان دون توقف !

صوت سمارا جاءه يحاول التماسك وهي تهمس " ابتعد شاهين انا سأكون جنبها "

جاهد ليجبر نفسه على الابتعاد لكن شهرزاد لم تسمح له لتشدد من امساك قميصه ثم فجأة اخذت تختض بقوة ، التفت ليرى سمارا المصدومة ومن خلفها باهر وحامد بملامحهما غير المصدقة لما حصل !

هتف بهم " افعلوا شيئا مفيدا ! حامد اخلع سترتك الغبية واعطني اياها لاغطي شهرزاد وانت يا باهر اذهب وابحث عن اي غطاء او شرشف تجده في المكتب " ثم رفع نظراته لسمارا ليقول بحزم " اعدي كوب قهوة لها حالا ، انها في حالة صدمة ! "

للحظة فقط تلكأت سمارا لكنه رمقها بصرامة فسارعت لتنفيذ ما طلب بينما تقدم

حامد ليناوله سترته فاخذها شاهين ولف بها جسد شهرزاد قدر الامكان مدثرا اياها وهي ما زالت تتشبث بقميصه وترتجف !

احتضن كفيها المتجمدين بين يديه ثم اخذ يدلكهما وهو يهدهدها مرة اخرى كطفلة مرتعبة من كابوس هامسا بحنان " أنت بامان ، كل شيء بخير .. بأمان ولم يمسك سوء .. ولن اسمح ان يمسك سوء .. انا معك .. كلنا معك ... فلا تخافي .."

ارتعاشها اخذ يهدأ قليلا فاستمر يهدهدها قائلا بنعومة " سمارا هنا .. ستحضر لك القهوة المريعة التي لاتجيد غيرها ، حامد تنازل لك عن سترته المضحكة وباهر على الارجح لن يعود بالغطاء قبل ساعتين ! "

كان يدلك كفيها وهو ما زال يهمس لها بأي كلمات فقط لتستعيد احساسها بالاطمئنان ..

عندما عادت سمارا بالقهوة تجمدت خطواتها وهي تنظر لمنظر شهرزاد مع شاهين ! لكنها تقدمت اليهما لترى شهرزاد تتمالك نفسها على همسات شاهين الرقيقة ..

عبست قليلا وهي تقول " تستطيع تركها لي الآن يا شاهين ، لقد هدأت .."

تردد شاهين قبل ان ينظر لعيني سمارا الحانقتين فتنهد مستسلما ثم انسحب بتأن بينما تشبث شهرزاد به يقل لينسحب تماما وتأخذ سمارا مكانه .

ترك شاهين الامر كله لسمارا وهي تبتسم لشهرزاد وتحثها برقة لاتخلو من حزم امومي على شرب القهوة فاستجابت شهرزاد لها ولم يملك شاهين الا المغادرة ليصنع لنفسه القهوة ايضا علّها تعيد اليه تماسكه الذي تهشم الى اشلاء !

كان ينهي اعداد قهوته في المطبخ الصغير اخر المكتب عندما جاءه باهر يتلكأ حوله وقد بدا يريد قول شيء او يسأل عن شيء !

قال له شاهين بارهاق " قل ما عندك باهر انا حاليا غير قادر على استيعاب تردد احد ! "

وقبل ان يقول باهر شيئا عاجله شاهين ليضيف بتحذير " اياك ان تسألني عما كانت تفعله شهرزاد هناك ، انسَ ما حصل تماما ولاتذكره لاحد على الاطلاق "

عندها توقف باهر عن تلكؤه ليقول بارتباك " انا لن اسأل ولن اخبر احدا ، لكن .. هناك امر يجب ان تعرف به "

التفت شاهين نحوه متنهدا ليرفع كوب القهوة لفمه راشفا منه ثم قال " ماذا هناك ؟"

رد باهر بوجه شاحب بعض الشيء " هذا .. المشعوذ .. لقد سمعت عنه .. بعض الاقاويل "

ضيّق شاهين عينيه وهو يقول ببعض الحدة " ماذا تقصد ؟! لم يحصل شيء لشهرزاد واياك ان تفكر عكس هذا "

ارتبك باهر اكثر ليقول وهو يطأطأ رأسه " انا اعلم لم .. يفعل لها شيء .. لكني .. سمعت .. سمعت .."

تردده كان اكثر مما يطيقه شاهين وهو بهذه الحالة ليقول بنزق " تكلم يا رجل ! اعصابي لم تعد تتحمل "

قال باهر وهو يرفع رأسه لشاهين " سمعت .. ان هذا المشعوذ .. يقوم .. بتصوير .. زبائنه .. ليبتزهم فيما .. بعد ..."

كوب القهوة ارتطم بسطح المنضدة ليتناثر السائل البني حوله بينما يهدر شاهين وقدماه تتحركان " نادِ حامد واحضرا معكما اي حديدة او حتى خشبة ... اي شيء ينفع للتحطيم ! "

بعينين متسعتين هزّ باهر رأسه لينفذ ما قاله شاهين بينما يراه يلتقط من خلف باب المطبخ قضيباً حديديا طويلا ..

هذه المرة لم ينتظر شاهين ان يدق باب الشقة الملعونة وانما اخذ يضربها بعنف بكتفه وبالقضيب الحديدي حتى كسره ..

دخل والخادمة العوراء تصرخ بالشتائم والويل فلم يبال بها شاهين وهو يتحرك نحو تلك الغرفة ليدخلها بعنف بينما يلحق به باهر وحامد وقد حمل كل منهما حديدة في يده ..

بحثت عينا شاهين عن ذلك المشعوذ فلم يجده لكنه ببحث مدقق آخر لمح بابا مخفيا مواربا !

تحرك مسرعا نحو تلك الباب ليفتحه ، وما ان فعل حتى اذهله ما يرى !

لكنه ترك الذهول لباهر وحامد وتصرف سريعا وهو يتوجه نحو المشعوذ الذي ارعبه دخولهم بينما كان يجلس على جهاز كومبيوتر ويحاول استخراج قرصا مدمجا منه !

عينا شاهين جحظتا على شاشة الحاسوب وهو يراها ثابتة على صورة شهرزاد بينما المشعوذ يكاد يحتضنها !

اشتعل بالغضب ليتقدم صارخا بزمجرة واخذ ينهال على الشاشة بينما المشعوذ يحاول الهرب خشية ان يقع ضحية هذه الضربات المجنونة !

اخذ شاهين يحطم كل شيء امامه ، كل اجهزة الحاسوب والكاميرات وتوابعهما ثم اخذ يحطم بيده الاقراص المدمجة والمشعوذ يصرخ به لكن حامد وباهر امسكاه بقوة وهدداه بما يحملان !

لم يرتح شاهين الا عندما حطم كل شيء بنفسه بينما المشعوذ يولول تارة ويهدده بتلبيسه واحدا من الجن تارة اخرى !

وفي النهاية تقدم منه شاهين بانفاس لاهثة ليقول بعينين ناريتين " اذا اقتربت .. منها .. ساقتلك ..."

ثم تحرك شاهين ليغادر بينما باهر وحامد يدفعان المشعوذ ليقع ارضا وهو يولول هذه المرة خسارته الفادحة !

تنظر بحقد لهاتفها النقّال لتتمتم من بين اسنانها " حسنا يا هيثم لاترد عليّ ؟! " رمت الهاتف على سطح مكتبها الانيق واعادت خصلات شعرها المجعدة بقوة خلف اذنيها لتهمس بضراوة " لست انا من ترضى بالاهمال يا هيثم ، انا لست ابنة عمي الناعمة التي تتعبد في محرابك ببلاهة تثير السخرية والاشفاق ! "

شعرت نورا بقلبها يشتعل وعقلها يبحث بضراوة عن رد الاعتبار لها ...

قالت وعيناها تلمعان بقوة " سأعرف كيف اعيدك تتوسل الي الرضا .. انت لاتستطيع العيش بدوني .. انت تهواني وتتعطش لجموحي ، كل ما تحتاجه التجديد ... انا اعرف امثالك ... سريعي الملل ! لكني اقسم لن اكون ضحية مللك ما حييت .. سأثبت لك اني أحق بشهرزاد لاكون زوجتك امام الجميع .. انا هي الند الحقيقي لك ..."

ثم ببرود شديد التقطت هاتفها لتعاود الاتصال وعقلها يدور في افلاكه الخاصة ..

منذ ساعة وهو لم يهدأ ... لم يستطع أن يهدأ .. لم يذهب حتى ليراها ، خطواته تتمرد عليه لتأخذه ذهابا وتعيده ايابا دون ارادة منه ، ناهبا ارضية غرفة سمارا دون هوادة !

اخذ يتمتم بالشتائم وفوران غضبه يتفاقم ! انه بحاجة للتنفيس .. بحاجة ان ... ان .. يتكلم معها ... اجل .... ان لم يكلمها الآن لن يكلمها في اي وقت آخر ...

تحرك مغادرا غرفة سمارا متوجها لغرفته ببابها المغلق ..

وقف عند الباب للحظات طويلة قبل ان يأخذ نفسا ويطرقه ، صوت سمارا كان بشوشا وهي تقول " تفضل شاهين .."

دخل والغيظ يتلبسه من بشاشة سمارا هذه ! لاي سبب هي تدّعي الابتهاج بحق اللّه ؟!!

نظر اليهما معا ... شهرزاد وسمارا تجلسان متجاورتين على الاريكة وقد بدت شهرزاد بنظرات استردت بعض هدوئها اما سمارا فبدت ممثلة رديئة جدا وهي تدّعي الابتسام في وجهه !

عينا شهرزاد تركزتا عليه وفجأة ابتسمت له بضعف مزّقه !

همس بحدة وهو يسبل اهدابه " سمارا اتركيني بمفردي مع شهرزاد "

مفاجأة سمارا لم تقل بقيد أنملة عن مفاجأة شهرزاد نفسها ! تمتمت سمارا بابتسامة مرتبكة " اذا كنت تريد تأنيبها فلا تقلق انا سبق وفعلت ! "

رفع اهدابه ليوجه نظراته نحو شهرزاد فوجدها تنظر اليه باعتذار خجول وبدلا من أن يجعله هذا يضعف ويتركها لشأنها بطريقة ما وجد نفسه اكثر شعورا بالغيظ والحنق !

قال شاهين بثبات " ارجوك سمارا دعيني اكلم شهرزاد على انفراد لو سمحتِ "

تلكأت ابتسامة سمارا بين اضمحلال وبزوغ ثم حركت ساقيها بتلكؤ لتدير رأسها نحو شهرزاد تبتسم لها بلطف وتشجيع .

وقفت سمارا على قدميها وملامح وجهها تظهر هدوءا ابعد ما تكون عنه لكن شاهين تجاهل قلقها تماما ولم يعر نظراتها المحذرة اهتماما وهي تمر به نحو باب الغرفة ، قال لها شاهين

" لو سمحت سمارا اغلقي الباب خلفك .."

فعلت سمارا ما اراد وهي تدعو الله في سرها ان لايتورط شاهين اكثر في مشاكل شهرزاد المعقدة ...

تطلعت شهرزاد اليه وهي تلتزم الصمت المضطرب ليبادرها شاهين وهو ما زال على وقفته المتحفزة " هل انت مدركة لخطورة ما حصل اليوم ؟ " ارتعشت بقوة لكنها لم تثنيه عن عزمه ليضيف بقوة هذه المرة " هل انت مدركة لمعنى ذهابك لذلك المشعوذ الحقير ؟ معنى ان تأتمنينه على اسرارك وادق تفاصيل حياتك ؟"

تلعثمت وهي تهمس " انا .. انا كنت يائسة .. ارجوك لا تحاكمني دون ان .. تعرف .."

كزّ على اسنانه قبل ان يقول بقساوة " هل تعلمين انه كان يسجل لك .. صورة وصوت ؟! "

شهقت بقوة وجحظت عيناها لتقول بارتعاد " يا الهي .. انه .. سيخبر هيثم .. سيحطمني ! "

هتف بها " انا من حطمت كل تسجيلاته ولكني الآن اشعر بالندم لاني فعلت ذلك ! فربما يفترض بزوجك ان يعلم ماذا يحصل معك ! "

وقفت على قدميها بترنح وهي تقول بتوسل يدمي القلب " ارجوك .. لاتخبره ... ارجوك لاتفعل شاهين ... لقد جازفت وذهبت لاجله هو فقط ..."

تقدم منها خطوتين وهو يرفع قبضته بتشنج قائلا بغضب متفجر " انت مجنونة ! لقد اوشكت ان تضيعي لاجله وماذا بعد ؟! "

ردت بتخاذل مخنوق " انت لاتعلم .. ارجوك انت لاتعلم ما اعانيه ولااستطيع شرحه لك ، كل ما اقوله اني احب .. زوجي .. واردت ان انقذه .. انقذنا معا ! .. كل ما اردته.. ان يحبني بنفس .. الطريقة .. انت لاتعلم معنى هذا الشعور ، مقدار .. هذا التعطش والاحتياج الذي يتزايد .. يوما بعد يوم .."

رد ونيران الغضب تلتهمه " انت لاتقدرين قيمة نفسك اطلاقا ! اعجب من شعورك هذا .. !"

اطرقت بخزي واضح بينما يضيف شاهين مرددا مميزاتها بلهجة اقرب للاتهام منها للمدح " امرأة جميلة مثقفة ومن عائلة ميسورة ، طيبة القلب .. رقيقة ومحبة للاخرين ، نسمة ناعمة لانؤذي احدا على الاطلاق ، ذكية عندما تريدين ومنفتحة للحياة عندما ترغبين .. ماذا ينقصك بالله عليك ؟ غيرك يتمنى الحصول على هبة واحدة مما تملكين ! وها انت تهينين نفسك بالذهاب لذلك الحيوان الذي اوشك ان يغتصبك "

رفعت رأسها بقوة تهمس اسمه بعتب مجروح

" شاهين ...! "

اقترب حتى صار على بعد نصف خطوة منها ليقول بقساوة " افيقي شهرزاد ... افيقي مما انت فيه ، العالم حولك لايدور حول زوجك فقط ! انت تضيعين كل يوم اكثر من الذي يسبقه .. لجوؤك لذلك المشعوذ منتهى الضعف .. منتهى قلة الايمان بالله اولا وبقدراتك ثانيا "

هطلت دمعة على خدها بينما يكمل بقساوة اقل " كيف تريدين من احد رؤيتك وانت لاترين نفسك ؟! "

هطلت دمعة اخرى فزمّ شفتيه ثم مد يده فجأة ليمسك معصمها ويجرها نحو باب حمامه

الخاص وهي تمسح وجهها وتسأله باضطراب "ماذا تفعل .. اين .. تأخذني ؟! "

لم يرد حتى ادخلها الحمام واوقفها امام المرآة ليقول لها بشراسة " انظري في المرآة شهرزاد .. انظري لنفسك ... انت موجودة رغما عن اي شيء .. موجودة ومهمة وقيمتك كبيرة فتمسكي بهذه القيمة .. روحك هي قيمتك الحقيقية ولايستطيع مشعوذ منحك شيء ولو صنع لك تمائم العالم بأجمعه ! "

اتسعت عيناها بهلع لتهمس " أأأ .. انت ... تعلم ؟! انت ... تعرفت .. عليّ .. تذكرني ..! "

رد وهو يلتفت ليتركها خلفه " اجل .. اعلم .."

سار مغادرا الحمام لتلحق بخطواته وهي تتساءل بجزع " لماذا لم تقل ؟ "

توجه نحو مكتبه ليلتف حوله ملتقطا مجموعة مفاتيحه من احد الادراج ليفتح درجا اخر وحالما فتحه مد يده لداخله واخرج التميمة ...

رفعها امام عينيها المضطربتين " انت من كنت ترفضين الاعتراف اني علمت انك المرأة الملثمة ، انت تفضلين الهروب او اللجوء لحلول كارثية لكن العلّة فيك شهرزاد "

وضعت يدا مرتجفة على فمها وهي تهمس

" انا اسفة .."

ضرب بالتميمة على سطح مكتبه ليقول بغيظ غاضب " اياك ان تأسفي على شيء ، ليس من حقي ان الومك اصلا .. قفي في وجهي وقولي (ليس من حقك شاهين، انا امرأة حرة واملك نفسي وارفض الخنوع لاحد مهما كان) .."

وبدلا من ان تقول ما اراد همست

" انا خائفة شاهين .. خائفة .. ما حصل اليوم لن ينتهي على خير "

قال وهو يرفع ذقنه " ذلك المشعوذ سانهي وجوده تماما ، ثقي بي "

سألت دون ارادة منها " ماذا ساقول لـ.. زوجي ؟!"

تنهد باحباط وهو يتساءل " وكيف سيعلم ؟! "

رددت بقلق " الخـ..ادمة .. تعرف .. "

سأل بحاجبين معقودين " اي خادمة ؟ "

قالت بارتعاش " خادمتي .. ام سعيد ... قد تخبره .."

ابتلع شاهين حنقه بصعوبة ليسألها بلهجة هادئة " هل اخبرت خادمتك عن ذهابك لمشعوذ ؟!! "

ردت وهي تتحاشى النظر اليه " بل هي من ارشدني ودفعني اليه "

شتم بقوة " اللعنة ..."

ارتبكت اكثر لتسأله بضياع " ماذا افعل ؟! "

اخذ نفسا عميقا ثم زفره ببطأ ليقول بعدها

" انا ساخبرك .."

وضع يديه في جيبيه وهو يقول بتركيز

" ستعودين للبيت الآن ومعك سمارا وتطلبين مغادرة تلك الحقيرة في التو واللحظة "

نظرات الرفض تجلت في عينيها لكنه اكمل بصبر " اخبريها ان زوجك علم بمحاولة المشعوذ التهجم عليك "

صمت للحظة ليضيف بعدها بتهكم " وانا على يقين ان تلك الحقيرة اصبحت تعلم ايضا "

ثم استعاد جديته ليكمل " اخبريها انك اخبرت زوجك بكل شيء وقد جن جنونه و قرر الانتقام منهم جميعا وادخالهم السجن "

ترددت وهي تقول " ولكن ..."

قاطعها وهو يتحرك نحوها " كوني قوية ..مباغتة وحاسمة في القرار واذا اقتضت الضرورة سمارا ستشد ازرك "

لم تهتم هديل وهي تجد المصعد عاطلا فالتفتت لتتوجه نحو السلم ثم اخذت تتسلق درجاته بحيوية وهي تدمدم باغنية (تك تك تك يا ام سليمان)

كانت سعيدة .. بل مبتهجة .. لم تكن تظن ان سمارا ستتقبل الموضوع اساسا ! ضحكت بخفة وهي تصل للطابق الثاني لتكمل نحو الثالث وهي تفكر ان اياد فعلا فاجأها هي الاخرى بمباشرته طلب سمارا للزواج !

همست لنفسها بحبور " انهما ثنائي يليقان ببعض ، فالاثنان لايكفان عن مفاجئتنا ! "

عاودت دمدمة اغنيتها المفضلة بينما تصل للطابق الثالث ، تسارعت خفقات قلبها وهي تنظر للوحة المعلقة بجانب باب الشركة كعنوان لها .. (شركة الشاهين للحاسوب)

غامت عيناها وهي تتمتم بشجن " الاهتمام دليل مشاعر ... اجل زيد .. دليل مشاعر لكن المشاعر تتنوع ! فليس بالضرورة ان تكون .. مشاعر عشق وهوى ..."

تحركت هديل بخطواتها وهي تقصي عن ذهنها كل ما يتعلق بزيد و.. شاهين ..

انها هنا لاجل سمارا ... سمارا فقط ..

اخذت نفسا عميقا وهي تدخل الشركة
الصغيرة لتبتسم بوجه اول من رأت .. باهر

احمر وجه باهر قليلا وهو يقترب من هديل
مرحبا بتلعثم " مر.. حبا .. انسة هديل ..
كيف حالك .."

ردت هديل بلطف " انا بخير الحمد للّه ،
كيف حالك انت ؟"

ازداد احمرار باهر وهو يتحاشى النظر مباشرة
لها ليقول بتعثر " انا .. بخير .. بخير .. اقصد
.. انا ... "

ارتفع حاجبا هديل قليلا ببعض الدهشة
ليأتيها صوت شاهين من عند باب غرفة
مكتبه قائلا باسترخاء مرح " يقصد انه بخير
لثلاث مرات لااكثر ..."

ابتسمت هديل لشاهين وهي تقول

" مرحبا شاهين "

اشار لها شاهين ان تلحق به بينما يستدير
بجسده ليعاود دخول غرفة مكتبه ..

تحركت هديل وهي تجامل باهر بابتسامة
اخرى لتتجاوزه مبتعدة وهو يكتم تنهداته !

دخلت هديل للغرفة بينما شاهين يمازحها
قائلا " لك تأثير عجيب يا صبية ! "

توردت هديل وهي تتساءل " ماذا تقصد ؟! "

رفع نظراته اليها حالما جلس على كرسيه ليقول بابتسامة حانية " الا ترين ان معجبيك يتكاثرون بشكل عجائبي ! "

احمرت هذه المرة لتعبس وهي تقول ببعض الحنق " هل سنتكلم عن زيد ؟! لااريد فعل هذا شاهين .. انا لم انسَ لك احراجي معه ذلك اليوم "

أمال شاهين رأسه جانبا ليغيظها بطفولية " ولماذا احرجتك ؟! أ لاني نسيت اسم اخضر العينين ذاك ؟! "

حدجته هديل بحنق واحمرارها يتصاعد لتقول بغيظ شديد " شاهين .. توقف عن التعامل معي كطفلة ارجوك .."

رد بابتسامة متراخية " لو كنت اراك طفلة لما حملت الدرع وذهبت لادافع عنك ضد الاشقياء ! "

وقبل ان ترد تقدم بجذعه ليستند بكفيه على سطح مكتبه وهو يهمس بلهجة تآمرية

" اعتقد ان باهر شقي آخر ! "

كزّت هديل على اسنانها بينما شاهين ينفجر بالضحك لتضرب بقدمها الارض وهي تقول بغضب " توقف عن احراجي شاهين ! قلت لك

انا لست طفلة ... لست تلك المراهقة التي تحاول اغاظتها دوما .. انا .. فتاة ناضجة وعلى وشك التخرج خلال شهر ... "

توقف شاهين عن الضحك ليقول برقة " اسف صغيرتي .. تعالي واجلسي ثم اخبريني متى موعد حفلة التخرج .. يجب ان احضرها معك "

ادارت هديل وجهها جانبا بينما رفضت التحرك بتعنت لتقول بضيق " جئت لارى سمارا ، علي العودة للجامعة "

رد شاهين بنبرة غريبة " سمارا خرجت مع .. احدى المتدربات.. وستعودان في اي وقت "

تنهدت هديل وهي تستدير نحو الباب قائلة " حسنا لاوقت لدي اكثر لانتظرها واحدثها بما اريد .. "

اوقفها شاهين بسؤاله " ولماذا لاتحدثينها بالبيت ام انه موضوع مستعجل "

نظرت اليه لتقول باحباط " كنت اريد محادثتها بعيدا عن اذني والدي التي تترصدنا باستمرار "

ضحك شاهين ثم قال بمداعبة " هل تريدين مكالمتها بشأن العاشق المتيم اياد ؟ "

اقتربت هديل منه بحماسة وهي تقول " اجل شاهين ... اريدها ان ترضى بالزواج .. اريدها ان

تسعد ، انا لم اعد تلك الصغيرة التي تحتاج للرعاية وابي ايضا يريدها ان تتزوج وتسعد "

غامت عيناها بالرقة وهي تقول " ابي يشعر بالذنب نحوها كما اشعر انا شاهين ، كلانا يريدها ان تتزوجه ، انه رائع .. رائع ويحبها حقا ويتمنى منها الرضا فقط ، انه لم ينسها شاهين ، لم يستطع ان ينساها ، انها لاتعرف كم هي محظوظة بهذا .. كما اني متأكدة انها تشعر بشيء ما نحوه والا ما كانت منحت طلبه المفاجئ بالامس اي فرصة "

تطلع شاهين ببعض الدهشة لوجه تلك الصغيرة التي كبرت امامه لكنه لم يظنها كبرت هكذا ! صحيح لديها شخصية قوية وشجاعة تثير الاعجاب لكنه كان يراها دوما تلك المراهقة الثائرة التي تثير القلق احيانا ، وقد نقلت ثورتها من محيط العائلة لمحيطها الخارجي في تطور نحو بعض النضج ..

ها هو يرى فيها نضجا مختلفا ، ادراكا عميقا ورقة انثوية محببة وقلبا دافئا كقلب سمارا ..

قال اخيرا بنعومة مرحة " لاتقلقي صغيرتي ، انا سأتولى مهمة اقناعها هنا وانت تولي تلك المهمة بالبيت ، هل يرضيك هذا يا من اصبحت كبيرة دون ان ادري ؟!

احمرت وهي تسبل باهدابها لتبتسم فجأة وهي تقول ببشاشة " حسنا .. اتفقنا ... نحن شركاء الآن ..."

ثم لوحت له وهي تغادر بنفس الابتسامة وصدى ضحكاته يجعل قلبها يختض بين جنبات صدرها ...

فكره مشتت ! يجب ان يعترف بالامر ...

فكره مشتت لاول مرة في حياته ، لايستطيع انكار الامر اكثر وهو يرتكب الاخطاء في عمله منذ الصباح ...

زفر هيثم بقوة وهو يعيد رأسه للخلف يسنده على ظهر كرسيه الجلدي ...

رنين هاتفه لم يتوقف وهو .. لا يرد .. ! لان من تتصل لم تكن من يريدها ان تتصل به !

ابتسم بتهكم ! ها قد انقلبت الآية وبعد اقل من شهرين ! اصبحت نورا من تلح باتصالاتها غير المرغوبة وشهرزاد .. تهمله !

رغما عنه ضرب بكفه على مكتبه وعيناه الزرقاوان تشتعلان غضبا !

همس من بين اسنانه " الا انت شهرزاد .. الا انت .. انت ملكي .. لي وحدي .. قلبا وقالبا ... تمنحيني روحك لو استطعتِ .. انا الاهم

لديك .. الاهم شهرزاد .. لاارضى بأقل من هذا ! لن اتنازل عن شبر واحد فيك حتى ولو كان تنازل لك انت "

تخلله شعور غريب ارعش جسده وهو يتذكر لحظاتهما الحميمة وهي ذائبة تماما مستسلمة لاخر رمق فيها .. انه التسيد ! لاشيء يضاهي هذا الشعور .. حتى ما تمنحه له نورا لايقارن به ... مع نورا الامر اقرب ان يكون جسديا بحتا ، ترضي جانبا جموحا فيه .. لكن شهرزاد بطريقة ما تسري بشرايينه كالادمان ... حتى لو ملّ هذا الادمان لكنه يبقى يريده .. يريده ..

عاود النظر لهاتفه تمزقه رغبة وحشية للاتصال بها ليسمع صوتها .. لا ... ليس ليسمع صوتها فقط انه ... يريدها .. يريدها مستسلمة بروحها قبل جسدها بين ذراعيه تنظر لعينيه ولاترى الدنيا الا من خلالهما ... هو كل شيء .. كل شيء بالنسبة لها ...

خنقه الاحساس برغبته فيها ، ليس الرغبة بمعناها الجسدي ولكن الرغبة بتملكها كما في السابق ... كما اول زواجهما ..!

لم يقاوم وهو يلتقط هاتفه ويتصل بها ...

انامل يده الاخرى تطرق بتراخٍ غير حقيقي على سطح مكتبه بينما اذنه تنتظر صوتها ...

رنة .. رنتين .. ابتسم .. الان سترد ... رنة ثالثة اغاظته ثم الرابعة عبس و.... الخامسة حتى جاء صوتها اخيرا بينما يشعر بفمه يجف !

صوتها بدا مرتبكا وهي تقول " مر.. حبا .. هيثم .."

تقبضت يده وشعور بالتوجس يعاوده .. توجس شكوك يسيطر عليه منذ سمح لها بأخذ دورات الحاسوب تلك .. لكنه يرفض الشعور بالندم ، انه لايخطئ ! لقد اختار مكتب الشاهين بعناية ، مكتب صغير وموظفين بعدد قليل وذا سمعة ممتازة ..

بسيطرته الباردة نحى افكاره المزمجرة ليقول بصوت أجش ناعم " مرحبا شهرزادي .."

امتعه ارتباكها وهي تعاود القول " مر..حبا "

هذه المرة ارتباكها كان عاطفيا ، انها تعرف انه لايناديها (شهرزادي) الا عندما يتقرب اليها .. ابتسم برضا غير مُشبع ... ! انه ببساطة يحتاج للمزيد .. يحتاج ان يراها وجها لوجه ..

قال بصوت مسيطر ساخر " اتركي درس الحاسوب وتعالي ألي .."

تمتمت بتعثر جعله يسترخي اكثر " انا .. اقصد .. الآن ..؟! "

رد بفكاهة " اجل الآن .. الا تريدين مني .. الاعتذار لاني احزنتك قليلا بالامس ؟ "

تلاشى استرخاؤه تماما عندما قالت بارتباك " لا استطيع .. الان .. هيثم ، لقد تأخرت اليوم .. كثيرا واضطررت .. للعودة للبيت فـ .. أم سعيد الخادمة .. تركت العمل فاضطررت ان اعود.. لاعطيها راتبها.... ثم عاودت .. الحضور لمكتب ... شاهين "

تشنجت كل عضلة في جسد هيثم وافكاره تتركز عند اسم شاهين الذي بات يزعجه بطريقة لاتوصف !

صمت بينما تضيف شهرزاد باستعطاف " ارجوك لاتغضب .. مني ، لكن دروسي .. مهمة .. وانا ... "

قاطعها ليقول بشكل بارد " سأمر لاخذك عند الساعة السادسة وسارسل الآن من يأخذ سيارتك ويعيدها للبيت " ثم اضاف دون ان ينتظر ردها كالمعتاد " الى اللقاء شهرزاد "

اغلق الخط وهو يعيد ترتيب افكاره ويهدأ مشاعره الثائرة !

همس من بين اسنانه " لاول مرة تقولين لي لا يا شهرزاد ! "

ما أن اغلقت الخط حتى اخذت تتنفس بتسارع وموجة هلع تسيطر عليها فاخذت تتمتم

" مؤكد سيكتشفني ! "

مالت سمارا نحوها لتقول لها باشفاق وهي تربت على كتفها " اهدأي عزيزتي ، لقد كنت جيدة ومقنعة ... مع اني افضل المصارحة لكني مقدرة لاسبابك "

التفتت شهرزاد نحو سمارا التي تجلس في المقعد المجاور في سيارتها لتقول لها بقلة ثقة " اعتقد انه شعر بارتباكي غير المبرر ، كان يجب ان لا ارد على مكالمته الآن على الاقل حتى اتمالك نفسي اكثر "

قالت سمارا بلطف " انت قلت انك لم تعوديه عدم الرد على مكالماته وكان سيقلق "

ظلت شهرزاد تمسك بمقود سيارتها بينما تقول وهي تغمض عينيها " اجل هذا صحيح ، انا ..."

صمتت وهي تأخذ نفسا عميقا ثم سألت بتردد خائف " هل تعتقدين ان ام سعيد لن تعود فعلا ؟! لقد .. كانت نظراتها ... فظيعة ! "

عقدت سمارا حاجبيها قليلا ثم قالت بهدوء

" انظري الي شهرزاد "

التفتت شهرزاد نحو سمارا تنظر اليها بقلق كبير فقالت سمارا وهي تحدق في عيني شهرزاد لتقول بتمهل " اعلم انك اليوم مررت

بتجربة قاسية وعصيبة مع ذلك المشعوذ ، لكنك كنت شجاعة وانت تتمالكين رباطة جأشك خلال ساعات فقط وها قد طردت تلك الخادمة الداهية التي ارادت توريطك فلا تهتمي لنظراتها السخيفة التي حاولت بها الضغط على اعصابك "

قالت شهرزاد بتحشرج " لولاك لما استطعت طردها وحدي ! انت من ارعبتها حقا وانت تؤكدين لها بحزم ان هيثم قد بلغ الشرطة فعلا "

قالت سمارا بابتسامة " انا آزرتك فقط عزيزتي ، انت من فعلت الامر ولست انا "

تنهدت شهرزاد وهي تحني رأسها لتستند بجبينها على المقود ثم قالت بألم " انا اكره ضعفي ! اكره اني اخيب ظن الجميع بي ، احيانا اشعر اني باهتة من شدة ضعفي ! شاهين قال لي كيف تريدين من احد رؤيتك ما دمت لاترين نفسك ! انه محق .. انا لااري وجودا لي .. "

اخذت سمارا تربت على شعرها بينما تحتبس مخاوفها على شاهين في صدرها لتقول بحنان " شهرزاد .. ربما معرفتنا من فترة بسيطة جدا لكن بامكانك الثقة بي وانا اخبرك اننا احيانا نظن في انفسنا الضعف ثم نكتشف طاقاتنا الكامنة النائمة عند اوقات الشدة

فتوقظها كما حصل معك مع ذلك المشعوذ عندما قلت له (ابتعد) وانت في قمة الضعف ! بل انك قاومتيه بشراسة ايضا "

ارتعدت شهرزاد قليلا لتقول بحشرجة " كان .. الامر رهيبا .. رهيبا .. دخولي هناك كان رهيبا بحد ذاته لكني فعلته لاجل هيثم .. فعلته لاني خفت عليه حتى الموت ... لااعرف كيف افسر الامر اكثر "

قالت سمارا بابتسامة رقيقة " دخولك هناك بمفردك رغم انحرافه الشديد عن التصرف الصحيح الا انه يعني كم انت قوية لتحاولي حماية من تحبين ، وهذا ماقصدته بالطاقات النائمة ، قدرات نظن اننا لانملكها حقا ولكننا في الحقيقة لانعرف بوجودها في اعماقنا ، المهم اننا يجب ان نختار الاسلوب الصحيح وبما يرضي اللّه "

ضحكت سمارا بخفة تحاول التخفيف عنها لتضيف بمرح " كان يجب ان تريني قبل عشر سنوات ! كنت ستضحكين من خجلي الشديد وقلة جرأتي في ابسط الامور "

رفعت شهرزاد رأسها لتنظر لسمارا بدهشة فاشرق وجه سمارا بابتسامة بشوشة وهي تقول " لاتستغربي .. كنت مجرد فتاة بريئة اكثر من اللزوم وساذجة نوعا ما لكن وفاة والدتي المفاجئة غيرتني جدا ، وجدت نفسي فجأة مسؤولة عن اختي المراهقة وهي تعاني تبعات

فقدان صادم لامنا ومسؤولة عن اب فقد توازنه وشاخ في لحظات بوفاة زوجته التي يحبها "

رقت ملامح شهرزاد وهي تهمس بشجن " انا لم اعرف امي قط ! لااعرف حتى كيف كانت .. ابي .. لم يحدثني عنها ابدا .. وكل ما لدي صورها .. لقد كانت جميلة .. جدا ..."

قالت سمارا بلطف " رحم الله والدتيّنا عزيزتي واسكنهما فسيح جناته "

ثم اضافت وهي تضع يدها على مقبض الباب " هيا بنا لنعود للمكتب ، لقد تأخرنا .."

قالت شهرزاد باختناق " هل يجب ان نمر من امام .. تلك .. الشقة .. مرة اخرى ؟! "

ردت سمارا بتصميم " اجل شهرزاد .. المصعد عاطل ، وحتى لو لم يكن عليك ان لاتخافي من هؤلاء الحثالة الذين يحاولون استغلالك واقتناص لحظات ضعفك ، لقد انتهى الامر وصدقيني هم الآن من يشعرون بالارتعاب وهم من سيتجنبون لقياكٍ " ثم فتحت بابها وهي تقول " هيا بنا عزيزتي .."

عند السادسة كان هيثم يضرب على باب المصعد العاطل ، ماذا يجري له ؟! تأفف وهو يخرج هاتفه النقّال ليتصل بشهرزاد ، وعند الرنّة الثانية فتحت فقال لها دون مقدمات " انزلي شهرزاد انا في الاسفل "

همست له ب(نعم) بينما يغلق الخط وهو يعاود الخروج من المبنى ويكاد يشتم بصوت مرتفع !

ما يحصل له غريب لابعد حد ، انه يحاول استنفار غضب منها ولكن كل ما يحصل عليه وقود لرغبة متأججة فيها ..

لقد عانى بانتظار ساعات اليوم لتنتهي حتى ياتي اليها ، قاوم بشراسة حتى لايترك مكتبه ويأتي اليها مبكرا ليأخذها من يدها دون ان يسالها الرضا حتى ..

لكن سيطرته الباردة فرضت وجودها حتى استهلكته وهو يستهلكها !

صعد لسيارته ليستقر في كرسيه ويطرق باناملة على المقود ...

بدا الوقت طويلا حتى رآها تخرج اليه ، كانت تبتسم بارتباكها الذي اصبح مثيرا له فجأة وبخطواتها المتعثرة وكأنها تشتاق للوصول اليه ...

تبدد تشنجه واشتعلت مشاعره وعندما جلست بجواره فاجأ نفسه كما فاجأها وهو يميل لخدها فيطبع قبلة حارة ..

همست بوجنتين متضرجتين

" هيثم سيراك الناس "

ضحك بصوت أجش بينما يتحرك بسيارته متسلحا بالصمت طوال الطريق حتى لايفقد ما تبقى من سيطرته ..

حالما نزلت من السيارة وجدته قربها مسبلا اهدابه ليمسك بكفها وهو يقول بصوت مبحوح " هيا بنا ! "

لم تفهم ما يحصل له لكنها شعرت انها مشعة ! مشعة بالدفء .. احساس لايوصف كان كبلسم لروحها المنهكة بعد هذا اليوم الحافل .... انها تحتاج لهيثم كما يبدو انه بحاجة اليها ... ازداد الدفء وهي تستلذ بالكلمتين (بحاجة اليها) ...

تسلقت معه درجات السلم وهي لاتعي ما حولها وحالما دخلا جناحهما وجدت نفسها امامه في حالة من الشعور انها خفيفة ... خفيفة ومحلقة بين الغمام ....

رفع يدان مرتعشتان لتفكا ازرار قميصها بقلة صبر ! همستها بأسمه اثارت جنونه لتزداد حركة يديه ارتعاشا وهو يهمس لها بحرارة لم تالفها منه " منذ البارحة وانا ... اتوق اليك شهرزادي .."

و... فجأة .. اجفلهما معا رنين هاتفه النقال !

الفصل الثامن

نظرت اليه بشكل ضبابي بتأثير العاطفة
التي اوقدها فيها ، حتى الرنين المزعج لهاتفه
واجفالها منه لم يخرجها من طوق تلك
العاطفة ..

رأته يشتم وهو يخرج الهاتف من جيبه عنف !
لا تعرف كيف تحرك كفها المرتعش ليحط
على ساعده ثم همست له بنظرات ذائبة

" دعه ... يرن ..! لا .. ترد "

رأت النيران الزرقاء تشتعل في عينيه ليخرس صوت هاتفه بضغطة زر ، عاود جسده الارتعاش بينما يرمى الهاتف ارضا فتهاوى بصوت مكتوم على سجادة الغرفة الفاخرة ، وخلال لحظات كانت ملابسه تلحق بالهاتف لتشهق شهرزاد بقوة وهو يأخذها بين ذراعيه بمشاعر كالطوفان .....

جالسا على كرسيه في مكتبه مفضلا الظلمة ومكتفيا بانارة الشارع القادمة عبر الشباك ..

احدى يديه تمسك هاتفه النقّال واليد الاخرى تمسك بالـ.. تميمة ...

انه بانتظار مكالمة مهمة من صديق طفولة بعيدة وقد اضحى اليوم ضابط شرطة برتبة عقيد ...

تنهد وهو يحرك ابهامه على التميمة بشرود ليعاود التفكير بها مرة اخرى ، شهرزاد ... تلك الطفلة المرتبكة ... تتوه وهي تدور بين الابواب لتطرقها واحدا تلو الآخر بانتظار من يفتحها لها دون ان تدري انها تملك كل مفاتيح السحر لتفتح اي باب تشاء ...

رن هاتفه اخيرا ليفتح الخط وبدلا من ان تأتيه غلاظة صوت صديقه يحيى جاءه صوت سمارا المرتبك وهي تقول بهمس مخنوق " اين انت ؟!!! اياد على وشك الوصول "

رد مغيظا لها " اختبأي في غرفتك واقفلي عليك الباب بالمفتاح حتى اصل يا صغيرة "

زمجرت سمارا لتقول له بتهديد " اقسم بالله اذا لم تأتِ خلال نصف ساعة سافعل ما قلته الان لكني لن افتح الباب واخرج حتى صباح الغد! "

ضحك شاهين بخفة ليقول لها بمشاكسة

" ألم اقل انك صغيرة ؟! "

هتفت به بحزم " شاهين ... امامك ثلث ساعة فقط لاراك امامي "

قال ببراءة مغيظة " لكنك قلت نصف ساعة ! "

ردت بنفس الحزم " وستصبح عشر دقائق ! "

ضحك عاليا وهو يقول بحنان " حسنا يا صغيرة سأكون عندك لاتخافي "

حالما اغلق الخط مع سمارا رن هاتفه مرة اخرى وهذه المرة كان صديقه يحيى من يتصل ...

" مرحبا يحيى .. كيف حالك يا رجل .. لقد تأخرت علي ! .. حسنا .. ما الاخبار ؟! جيد .. ممتاز ... لا يحيى .. اخبرتك سابقا حضورها

للشهادة مستحيل ... اتبعوا طريقتكم المعهودة للحصول على ادلة ... المهم ان تهتم بنفسك بالامر وان تحاول انهاءه بأقرب وقت .. حسنا ... شكرا لك ... ممتن منك ... الى اللقاء ..."

اغلق شاهين الخط ليسترخي على كرسيه وافكاره تتجه نحوها مرة اخرى ...

همس لنفسه " انت قوي شاهين .. لديك اولويات اكثر اهمية من هذا الشعور المبهم الجارف الذي يتملكك نحوها فتقف في وجهه وتحاربه بكل ما اوتيت من قوة ... لاتضعف شاهين بما حصل صباح اليوم .. فالضعف لايليق بالرجال .. "

ثم بهدوء تحرك بجسده ليمد يده ساحبا الدرج الذي يغلقه عادة بالمفتاح فوضع التميمة ثم اغلقه وبالمفتاح .. مرة اخرى ..

غادر مكتبه بخطوات هادئة ليبتسم وهو يفكر انه سيستمتع الليلة برؤية سمارا تتخبط امام عريسها المهووس !

تكاد تستسلم لعادة هجرتها منذ مراهقتها .. قضم اظافرها ! عادة لم تهجرها بارادتها فقد لعبت امها دورا حاسما في تهديدها بقطع المصروف ان رأتها تفعل ذلك ، وقد فعلتها وقطعت المصروف عنها عدة مرات ..

تنهدت سمارا وهي تجلس على سريرها باحباط
ثم قالت لنفسها وهي تنظر لساعتها " ما زال
هناك وقت ، اياد قال لن يحضر قبل الثامنة "

اخذت نفسا عميقا تحاول تجاوز احساسها
بالخيانة من والدها واختها الصغرى !

لقد اجبراها فعليا على تقبل حضور اياد
ومشاركتهم العشاء ، وكأن قبولها بالخطبة
امر مفروغ منه !

كزّت سمارا على اسنانها بينما تتذكر ملامح
وجه ابيها وهي تتلبس البراءة بينما يقول "
اياد نعم الخيار لك ، انا سعيد جدا لانكما
عدتما لبعض ! "

وبينما هي تفرغ فاهها كمهبولة تأتي هديل
بابتسامة واسعة مغيظة لتقول بنفس البراءة "
احضرت العصير من البقال وسنحتفل جميعا
الليلة "

عندها زمّت شفتيها لتواجههما معا قائلة بتهور
احمق " وانا سأدعو شاهين للعشاء "

ثم التفتت واعتصمت بغرفتها منذ ذلك
الوقت ...

مالت بجذعها لتستلقي على السرير وافكارها
سرحت بعيدا .. بعيدا ... لذلك اليوم
المشهود قبل سبع سنوات ....

كانت قد قضت ليلتها تبكي بعد ان فسخت خطوبتها من اياد ، كانت تبكي امها ! تبكي انها اصبحت بين ليلة وضحاها تحمل مسؤولية ترعبها ... لكنها اخفت رعبها عن الجميع بمن فيهم اياد نفسه ولاشهر كانت تستنفر تلك الطاقات المخبأة ... لقد ادركت ببساطة انها اصبحت مسؤولة بطريقة ما عن هذا البيت .. وللاسف لم يكن لاياد دورا في هذه المسؤولية بل بالعكس ارادته خارج حياتها ، ارادته ان يعيش حياته كما يفترض ان يعيش ، ان يكوّن عائلته الخاصة كأي شاب آخر ، لم ترده ان يرى انهيارات والدها لتي توالت بعد وفاة والدتها ولا ان يتعامل معها ، لم ترده ان يغوص في مشاكل هديل الثائرة وتمردها على الحياة كردة فعل غاضبة مشوشة لتلك الخسارة الفادحة التي منوا بها جميعا على حين غفلة ...

ابتلعت سمارا ريقها ثم همست " لم ارده ان يبعدني عنهم بأي طريقة ، كنت تائهة انا الاخرى واتعلم كيف اسيطر على تداعيات وفاة امي ..."

دمعة سالت على جانب خدها وهو تهمس بضعف " لم أكن اعلم اني آلمته لذلك الحد ... آلمته فـ....آلمني ! "

اغمضت عينيها لتتذكر تفاصيل ذلك النهار المنهك ! كانت قد استيقظت بصداع رهيب من اثر بكائها تلك الليلة ، شعورها انها وحيدة ولاتستطيع ان تعبر عمّا يعتريها من مشاعر متناقضة جعلها تشعر بالتشوش الشديد ..

ذهبت لعملها ، وعملها كان مع شاهين ، شاب رائع بشوش يؤسس خطواته لنيل سمعة طيبة لمكتبه الصغير ..

كان قد لمح خلو بنصرها الايمن من الخاتم لكنه لم يسأل عن شيء ولكن قبل انتهاء وقت العمل بساعتين قال لها بحزم

" تعالي اعيدك للبيت تبدين شديدة الارهاق يكفي عمل لهذا اليوم "

لم تجادله لانها كانت على وشك الانهيار في البكاء ! مرة .. اخرى ....

عبد بوابة المبنى الذي تسكنه ودعته بنفس التشوش وهي تسحب حقيبة يدها باهمال ...

هذا الاهمال ... انقذها !

اهمالها اوقع هاتفها النقال في سيارة شاهين دون ان يتنبه احدهما لذلك .. على الاقل في البداية .. لانه كما يبدو ان شاهين رآى الهاتف بعد تحركه بسيارته مسافة فقرر العودة لسكناها لارجاع الهاتف لها ..

وعودته تلك كانت بداية لعلاقة من نوع فريد بينهما ..!

خنقتها شهقة وهي تتذكر تسلقها لدرجات السلم نحو شقتهم، كانت تعلم ان لااحد هناك ، هديل في المدرسة ووالدها يدّعي انه عاود العمل لكنه في الحقيقة يذهب لعمله ليشرد هناك بعيدا عما يجري حوله ...

كانت على وشك الوصول لباب الشقة عندما شعرت بخطوات راكضة خلفها عبست وهي تلتفت للخلف بينما تفتح باب الشقة بالمفتاح عندما فاجأها ظهور اياد !

لاتزال صورته مترسخة بذهنها لحد الآن ، صورة ... ارعبتها بذلك الغضب المجنون المطل من ملامحه ..

غريزتها الاولية دفعتها للهرب لتفتح الباب على عجالى وتدخل ولكن قبل ان تغلق الباب خلفها كان اياد في اثرها فدفع الباب بعنف لتقع هي ارضا !

رد الباب خلفه بعنف اشد لكنه ... لحسن الحظ لم ينغلق بشكل كامل ...

كلماته ... اجل كلماته افزعتها اكثر من ملامحه الهائجة !

" اذن فقد تركتني لاجل رجل آخر وليس لاجل عائلتك كما ادّعيتِ "

كانت تنكر وهي تزحف مبتعدة " لا .. لا .. ما هذا الذي تقوله ؟! "

صرخ وهو يقترب منها بخطوات نارية " لاتنكري الامر .. لقد رأيتك تنزلين من سيارته ... الان .. قبل دقائق قليلة ... لم اتبين وجهه الحقير بينما كنت على الجهة الاخرى من الشارع كغبي احمق اقف انتظرك منذ الصباح لاتوسل اليك العودة لي ! "

شهقت بينما ينحني نحوها ليمسكها من ساعديها ويرفعها بقسوة لتقف امامه وقد اخذ يهزها بعنف " كيف احببته ... كيف ؟! ومتى ..؟ آه لو استطعت اللحاق به قبل تحركه ! "

الرعب كان يخنق كلماتها بشكل غريب لكنها اخذت تتمتم " لا ... ارجوك .. ليس .. ما تظن "

عاود الصراخ ليقول " وماذا يفترض ان اظن ؟! لقد صبرت عليك لاشهر ... لاشهر اتعذب وانت تبعديني عنك رغم كل محاولاتي للاقتراب ... وانا الغبي كنت اراعيك واراعي خجلك ورقتك ... انا غبي ..غبي ..."

ترقرقت الدموع في عينيها وهي تهمس بتوسل " ارجوك .. انه شا.. هين ... رئيسي ..في العمل .. اعادني .. لاني كنت مرهقة ..."

كانت تهمس بتلك الكلمات ولم تفسر تغير نظراته التي لامست كل ملامح وجهها بشغف منفلت ...

همس باختناق عاطفي لم تفهمه بوقتها لانها لم تره بهذه الحالة سابقا " انت من يرهقني سمارا ... منذ سنوات ترهقين مشاعري وتنهكين قلبي بحمله الثقيل ... لماذا احرم منك وقد اوشكتِ ان تكوني لي ؟! لماذا ؟ "

ثم فجأة مال بوجهه ليقبلها بعنف !

ارتجف جسد سمارا رعبا وهي تتذكر تلك اللحظات الرهيبة ! لاتزال تذكر عجزها عن فعل شيء بينما كان ينتهك براءتها بتلك الطريقة !

جمود غريب وصدمة شلت اطرافها بينما اذناها تلتقطان همساته النارية بصوته المبحوح " انا احبك ... اعشقك .. مفتون بك ..."

الآن تدرك ان جمودها هو ما جعله يتمادى ! لكن لا ... لانها صرخت به فيما بعد وهو لم يستعد سيطرته على نفسه ... كان قد جن وهو يدفعها للاريكة ليسقطا معا وهي تصرخ به ان يبتعد .. ان يتركها ..

لكن .. فجأة ... تركها !

بحركة سريعة كان مسحوبا بعيدا عنها ،

وحالما افاقت من تشوشها رأت اياد متشابك مع

عراك مع .... شاهين !

صوت الجرس جعلها تجفل بقوة لتتداعى صور

ذكرياتها وتعود للواقع ... رفعت جذعها بتوتر

وهي تتسمع الاصوات ... ها هو والدها يرحب

بصوت بشوش بـ ... شاهين ...

زفرت سمارا براحة لتقف على قدميها وهي

تقول " الحمد لله .. ذلك الكسول الذي

لايعرف ضبط المواعيد جاء لاول مرة في

موعده ! "

مستلق على السرير بوضع جانبي وقد ارتكز

بمرفقه على وسادته مشرفا عليها وهي تضطجع

على ظهرها بجانبه يتطلع اليها بابتسامة

مفترسة .. جائعة رغم الشبع !

رفع انامل يده الاخرى ليلامس نعومة وجنتيها

المخضبتين بحمرة لذيذة ، انفاسها تحشرت

فشعر بالانتعاش ، تحركت انامله صعودا

ليمررهما بخفة فوق رموشها المسدلة بينما

يهمس لها بمرح ساخر " اعلم انك مستيقظة

يا جميلة الجميلات ، ام ربما تحتاجين لقبلة

حتى تفتحين تلك العينين ؟ "

انامله انتقلت نزولا هذه المرة نحو شفتيها

المتورمتين ليهمس بصوت مبحوح " شفتاك

رقيقتان لن تتحملا المزيد من قسوتي عليهما ، يكفي ما فعلته بهما قبل ساعات "

فتحت عينيها اخيرا لتحدق في عينيه لتبثه العشق بنظراتهما ، عشق لاتحده رقة او قسوة !

للحظات طويلة عجز عن فعل شيء سوى التحديق في تلك العينين والغرف من العشق المتدفق منهما .... انه الشبع ... لا ليس الشبع انه الامتلاء بالحياة ... انها اكسير الحياة !

همس في سره وهو يعاود ملامسة وجنتيها " ما اجمل امتلاكك شهرزاد ؟ منذ كنت يافعا وعيناك هاتان تلاحقاني اينما ذهبت ... "

عبس فجأة وشعور قابض يعتصره ! همستها ايقظته من شروده العابس وهي تقول ببساطة متناهية " انا احبك ..."

تلاشى العبوس لينظر اليها بتركيز ثم مال ليلامس خدها بشفتيه وهو يقول بصوت مغوٍ " اليوم كنت مختلفة ! كنت متلهفة دون قيود الخجل التي تسيطر عليك دوما ، متطلبة دون ان تكوني بخيلة بالعطاء "

كانت ترتعش بينما هو يواصل ما يفعله ويضيف " اريدك .. دوما هكذا .. لااريد ان يشغلك شيء عن ان تكوني لي بهذه الطريقة المميزة ... انا .. افكر .. "

صمت ... واظهر ترددا مدروسا ولم يخب ظنه بها عندما سارعت لسؤاله بخجل وتوجس

" تفكر بماذا ؟! "

رد وهو يرفع رأسه ليغمرها بنظراته هامسا " افكر ان تتركي دورة الحاسوب تلك .. "

صمتت هي هذه المرة وهي تتطلع لعينيه بطريقة غريبة للحظة لم يرد ان يفسرها !

لم يتراجع وهو يعاود ملامسة بشرتها ويضيف بصوت مبحوح " اراها تشغلك دون فائدة تذكر ! فلماذا اذن ؟!! ما جدواها ؟!! "

هذه المرة لم يستطع تجاهل التماع عينيها بدموع خفيفة لم تتجاوز رمشيها لتهمس بضعف

" ارجوك .. هيثم .. لاتمنعني عن .. المتابعة بالدروس ، لقد .. وجدت نفسي هناك .. استمتع بوقتي جدا واتعلم الكثير بعد ان كنت اقضي وقت فراغي الكبير بين النادي والاسواق "

تشنج جسده بقوة لكنه التزم الصمت بينما نزلت دمعة صغيرة من عينها اليسرى قبضت قلبه اكثر واكثر لتهمس له " اعدك ان اثبت لك اني تعلمت الكثير ... هناك .. فقط لاتحرمني .. من هذا ..ارجوك ..لاتفعل "

توسلها بهذه النعومة جعله يتخبط بمشاعر لاتعرف معنى السيطرة !

ولانه يكره ان يفقد سيطرته هكذا فكل ما فعله ان طبع قبلة بجانب فمها ثم رفع نفسه مبتعدا عنها ليغادر السرير وهو يتمتم هامسا بنبرة غامضة " كما تشائين ..."

" اللعنة اللعنة ..." كانت نورا تتحرك ذهابا وايابا بقميص نومها الشفاف بينما اصابعها ترتعش من شدة غضبها وهي تعاود الاتصال به لتاتيها نفس الاجابة " الهاتف مغلق يرجى الاتصال لاحقا "

رمت الهاتف بقوة على سريرها بينما تكاد تشد بشعرها من شدة الغيظ ...

قالت بحقد مسموم " اصبح الامر لايطاق .. لايطاق ... هل لهذه الدرجة لم تعد تريدني ؟! ام انك تعاقبني لانك تلمست بذكائك ما اصبحت اؤمن اني احق به ؟!! "

كانت ما تزال تتحرك بعصبية لتتوقف فجأة وسط الغرفة ثم اخذت نفسا عميقا عدة مرات قبل ان تهدأ قليلا وهي تقول باسترخاء وليد " الغضب دليل ضعف ... وانت لست ضعيفة نورا .. استرخي ... استرخي ..."

ثم بهدوء شديد ازالت حمالتي قميص نومها ليقع القميص ارضا ثم تحركت نحو الحمام وهي تهمس ببرود " مغطس منعش سيعيد اليك استرخاءك كاملا لتفكري بوضوح "

تطلع اياد بتوتر لشاهين ، لازال يشعر بخسة ما فعل ذلك النهار قبل سبع سنوات عندما تهجم على سمارا كمجنون متعطش لعاطفتها التي يحتاجها منها ، لايستطيع ان يسامح نفسه لحد الآن على ما فعله معها ، انتهاكه لبراءتها الشديدة ، تلويث حيائها الشديد ..

ورغم كل شعوره بالذنب الا انه لم ينسَ ...

لم ينسّ طعم شفتيها ، لم ينسَ ملمسهما الغض ، لم ينسَ ملامسته لبشرة عنقها وهو يفقد رشده تماما ...

تشنج جسده والذكرى تؤرقه ... ليس بيده .. يقسم انه ليس بيده انه لم يستطع تذوق تلك المشاعر مع زوجته .. لم يستطع ان يشعر معها بشيء .. سنتان كاملتان عجز خلالهما عن منحها ما تريد ، عجز عن منحها قلبه ... قلبه الاسير بحمراء الشعر تلك ..

كتم تنهيدته وهو يقاوم عدم النظر نحوها بينما اختارت ان تجلس قريبا من شاهين !

رغم غيرته الا انه كان يشعر ببشاشة ممتعة لرؤيتها تتصرف كطفلة عنيدة متمردة !

انه يعلم كما تعلم هي ما يفعله والدها ليقرب بينهما بطرق غير مباشرة وتبدو ظاهريا بريئة جدا !

ويفهم ايضا حركات هديل وهي تحاول جهدها اشعاره انه حقا زوج اختها بينما سمارا تحدجها بنظرات تتوعدها الانتقام ...

وفي المقابل شاهين كان يبتسم بطريقة مغيظة دون ان يبدي مشاعر واضحة نحوه ..

ربما شاهين متوجس منه لكنه لايرفضه كزوج محتمل لسمارا ..

النظر اليهم جميعا مع بعض جعله يتألم ! شاهين بدا وكأنه في بيته ، اخ للفتاتين وولد بار للرجل العجوز ...

كان يفترض ان يكون هو اياد من يحظى بهذه المكانة ... لكن تهوره وفقدانه السيطرة جنيا عليه ليبتعد محملا بشعوره بالخزي والعار ...

بعد تناول العشاء جلس الجميع في غرفة الضيوف بينما هديل تقدم الحلوى برشاقة ...

نقّل الاب نظراته خلسة بين ابنتيه .... سمارا تثير غيظه تجلس بعيدا عن اياد وهي تكاد

تتشبث بذراع شاهين لو استطاعت من شدة توترها !

وهديل تغيظه لانها لاتفعل شيئا لتثبت لشاهين انها غدت امرأة ، لن تخدعه بادعاء الهدوء البشوش هذا ! انه واثق من اعجابها الدفين بشاهين ...

كاد ان يكز على اسنانه غيظا من الفتاتين !

لكن على الاقل شاهين يسانده في موضوع سمارا ، تلك الحمقاء تظن ان الحياة تتوقف عندها بينما السنوات تمر وهو لن يعمر معها ومع اختها للابد ..

هذه المرة نظر لشاهين ، رآه يضحك على حكاية طريفة يرويها اياد عن هديل عندما كانت طفلة صغيرة وهديل تكتفي بالابتسام لكن وجهها يحمر رغما عنها فيبطل حالة التماسك والثقة التي تحاول التشبث بها ...

همس في سره باحباط " فقط لو تنظر اليها بطريقة مختلفة يا شاهين ، كنت اتمناك لسمارا لكن ما ربطكما كان اخويا بحتا وها انا اطمح ان تتزوج الصغيرة ، انت ستحميها وتتفهمها ، ستكون لها ابا افضل مني واخا لم تعرفه الا من خلالك .. ستكون لها كل شيء

... فقط لو تشعر بها ... كيف ساجعلك تشعر بها ؟!! "

استرخت اجفان الاب قليلا ليخفي ترقرق الدموع في عينيه ليواصل همسه السري لنفسه ولكن هذه المرة ببعض الألم " يجب ان اعوض فتاتيّ عن تقصيري معهما ، يجب ان اطمئن على مستقبلهما لاكمل ما تبقى لي من العمر وانا مرتاح ..."

عندما اعلن اياد رغبته بالانصراف التفت نحو والد سمارا ليقول " اذا سمحت لي عمي اود ان ترافقني سمارا للباب فلدي امر صغير اقوله لها .... "

وقبل ان تعترض سمارا قال الاب بابتسامة عريضة منشرحة " مؤكد بنيّ ... حفظتك السلامة وسترافقك سمارا للباب .."

كانت سمارا ترغي وتزبد خصوصا عندما وجهت نظراتها لشاهين تستنجد به بصمت فمنحها شاهين ابتسامة بلهاء وهو يدعي عدم الفهم بينما الصغيرة هديل تكتم ضحكتها بمجهود كبير !

اما ما كتمته سمارا فهو زمجرتها الغاضبة نحوهم جميعا ... وهكذا وبذقن مرفوع تقدمت اياد لتغادر غرفة الضيوف وهي تقول بثقة ظاهرية " تفضل ..."

ودّع اياد الجميع وخطا خطواته خلفها وهو يستمتع بمراقبة مشيتها الحانقة ...

عند الباب الذي فتحته سمارا قالت " شرفتنا اياد وتصبح على خير "

ضحكة خافتة منه اغاظتها لابعد حد لكنها رفضت التطلع اليه .. تأخر لبضع لحظات ثم تقدم مقتربا ورغما عنها انكمشت بتوجس لكنها لم يظهر تنبها لانكماشها ليمد يده عن بعد ويقول بصوت أجش " تفضلي سمارا .."

ببطئ ادارت نظراتها نحو يده لترى علبة صغيرة مما تستخدم للخواتم ..

اول ردة فعل لها ان قالت برفض غاضب " هل تريد اجباري عن قبول الخطبة اياد ؟ هل الان تريدنا ان نلبس حلقتي الخطبة عند الباب ؟ هل هذا ما نصحك به ابي وتلك الصغيرة المحتالة هديل ؟؟"

لدهشتها ابتسم رغم انها لمحت الجرح في عينيه ! ثم قال بهدوء وهو يفتح العلبة امامها " انه مجرد خاتم وحيد ، ليس خاتم الخطبة المألوف كما ترين ، هدية فقط اتمنى ان تفرحيني ولو مؤقتا وترتديها في اصبعك .."

تطلعت سمارا للخاتم بفصه الشذري المحاط بفصوص الزمرد ، كانت تشعر بحرج متوشح بالقلق ، شيء ما كان يحثها على الرفض

بشكل قاطع واحساس مضاد يتهمها بالصبيانية والقسوة دون مبرر ..

عاودت النظر لعينيه فرأت فيهما كل المشاعر التي لم تفهمها بشكل واضح وهي فتاة ساذجة في بداية العشرينات .. تعثرت نبضات قلبها وهي تستوعب هذه المشاعر المتدفقة منه ..

تمسكت بقشة صلابة لتقول بصوت متحشرج " هذا لايعني اني وافقت .. وساعيدها اليك اذا ... "

قاطعها بابتسامة حانية مست قلبها " ابدا لايعني ... واعيديها الي اذا ... لم ...! "

هو من قطع جملته ليناولها العلبة وهو يطأطأ رأسه ويتمتم بوداع متعجل قبل ان يغادر .....

اما سمارا فكانت متسمرة عند الباب تنظر للخاتم بذهول ولاتصدق انها اخذته منه !

اجفلها صوت شاهين المشاكس وهو يقول " وانا الاحمق كنت اخشى عليك من هجوم يشنه اخضر العينين رقم اثنين "

عبست سمارا لتغلق الباب وهي تخفي العلبة خلف ظهرها ثم تقدمت من شاهين وهي تقول بلامبالاة " من اخضر العينين رقم اثنين ؟! "

ضحك شاهين عاليا وهو يميل برأسه ويهمس باستفزاز " لاتقولي انك لاتعلمين ان عيني اياد خضراوتين "

ثم اضافا مشاكسا لها اكثر " ما حكايتك انت ومعجبتي الصغيرة مع ذوي العيون الخضر ؟!! "

هتفت به بحدة " شاهين ! "

ضحك وهو يقول " كنت اعلم اني ساستمتع الليلة ..." ثم اضاف بحنان " لكني اعترف ان اياد المهووس ليس بدنيء ابدا ! "

صباح اليوم التالي

كانت تتحرك بخطواته الواسعة نحو قسم الاعلام عندما سمعت خطواته خلفها وصوته الابح يقول " صباح الخير .."

تباطأت هديل لتتوقف وهي تلتفت اليه والخجل يلون وجنتيها " صباح الخير زيد "

عيناه كانتا غامضتين وابتسامة صغيرة شقت شقتيه وهو يقول " كيف حالك .."

تشبثت بمحاضراتها وهي تشعر بالحرج من الوقوف معه لاول مرة ! ما حصل بينهما يجعلها

تنظر لصداقتهما البريئة بنظرة مختلفة ...

زيد بالنسبة لها لم يعد نفس الـ (زيد) ..

قالت وهي تحاول التماسك حتى لاتكشف حرجها " بخير الحمد لله ، كيف حالك انت ؟! "

للحظات طالت كان يحدق فيها وقد تلاشت ابتسامته تماما ! تنحنحت هديل لتقول بارتباك " حسنا انا لااحب هذا ... "

سأل بصوت مبحوح " ما الذي لاتحبينه هديل "

ردت بصراحة تعودها منها " ان تنظر الي بطريقة مختلفة عما اعتقدته فيك من صداقة بريئة "

ملامحه تغيرت وقد تخللها غضب مكبوت ليقول بجدية " لاتوجد صداقة بريئة بين شاب وفتاة يا هديل ، انضجي وافهمي هذا .."

عبست هديل لتقول بحدة " هذا غير صحيح ، هناك من تجمعهم هذه النوعية من الصداقة زيد فلا تحاول النكران "

ثم اضافت بعفوية " شاهين وسمارا اصدقاء مقربين جدا منذ سنوات بل صداقتهما تعبير حي للاخوة الحقيقية "

زفر زيد وهو يهمس بيأس " عدنا لشاهين ..."

للحظة لم تعرف هديل بم ترد عليه فسبقها زيد ليقول بهدوء ظاهري " حسنا هديل

ساسايرك ... علاقة شاهين وسمارا ليست القاعدة بل الاستثناء .. مشاعر الرجل في اغلب الاحيان تتحرك نحو الانثى بطريقة عاطفية اذا تقاربا ، هذه هي الطبيعة البشرية فلا تتوهمي غيرها .."

عبست هديل برفض لكلامه بينما اكمل بجدية " انا اكبرك باربع سنوات يا هديل واكثر خبرة ... انا اعلم منك بهذه الامور ثقي بي .."

عندها ردت هديل بحدة " ماذا تريد ان تثبت زيد ؟ اني اشعر نحوك بطريقة مختلفة عما اظنه في مشاعري ؟"

عيناه حامتا على ملامحها الجميلة ليهمس باختناق عاطفي " بل لسوء حظي انا وحدي من يشعر بطريقة مختلفة عما تظنينه او ظننته سابقا "

احمرت هديل ليصدمها زيد اكثر وهو يقول بصراحة شديدة " انا احبك هديل "

همست بضعف واحمرارها يتزايد

" زيد .. ارجوك .."

لكنه لم يتوقف وهو يقول بألم واضح " لقد تغيرت لاجلك ، وجدت نفسي اني اريد ان اكون عند حسن ظنك .. ان استحقك،

اردت ان اكون قريبا منك ومميزا في نظرك "

آلمها ألمه فهمست بصدق

" اقسم انك هكذا ... اقصد انك مميز وقريب مني ... "

اسبل اهدابه وشعرت بتشجنه وهو يقول

" لكن ليس كما اريد .."

ابتلعت ريقها لتقول بنفس الصدق

" ليس بيدي .." رفع جفنيه لينظر لعينيها مباشرة وهو يهمس بأسمها " هديل .."

لكنها ابتعدت خطوة للوراء وهي تردد بهمس متألم " ليس بيدي .."

تصلبت ملامحه ليقول باصرار

" ليس بيدك ... لكن .. الى حين "

دخلت شهرزاد المصعد الذي عاود العمل هذا اليوم وهي تشعر انها .. منتعشة ... مقبلة على الحياة ... انها ببساطة سعيدة !

تذكرت ما حصل بينها وبين هيثم بالامس فابتسمت بجذل ، الليلة بدأت بشكل رائع حتى حدثها عن ترك دورة الحاسوب ...

ما ان قال هذا حتى شعرت ان شيئا في داخلها يتزعزع ، هيثم لايعلم اهمية ما تسعى اليه ، انها ترسم صورة جديدة لها لترى نفسها موجودة .. اجل يجب ان ترى نفسها ليراها هيثم ويمنحها قلبه كما تتمنى من اعماق اعماقها ...

عندما تركها ودخل الحمام اصابها التوتر والقلق ، وتبخر لحظيا احساسها بالسعادة لما تشاركته مع زوجها من عاطفة مميزة ...

تحركت من سريرها لتأخذ ملابسها ومنشفة نظيفة ثم توجهت خارج الجناح نحو حمام آخر ...

ذهلت وهي تحت المياه المنهمرة عندما هدر صوت هيثم بنبرة غريبة عبر الباب المغلق

" شهرزاد انت هنا ؟!"

اغلقت صنبور المياه لتخرج من الحوض وهي تلتقط منشفتها لتلفها حول جسدها ..

فتحت الباب لتراه امامها بوجه شاحب لم تره سابقا ! وقبل ان تقول شيئا كان يضمها لصدره يعتصرها بقوة ليهمس قرب اذنها

" قلقت عندما .. لم اجدك! "

لم تعرف ما سبب قلقه لكنها كانت تطفح سعادة لانه افتقدها .. لانه يخاف عليها ..

همست له برقة

" لم اصبر حتى تنهي حمامك "

ضحك بطريقة متوترة ليقول بنبرة غامضة "
اصبحت لاتصبرين علي كثيرا شهرزادي "

ثم دون مقدمات حملها بين ذراعيه فقالت
باعتراض خجول " انا مبللة هيثم واحتاج
ملابسي لادفأ "

همس لها بنبرة قاطعة " انا ساعتني بك
واجففك ثم سألبسك ملابسك وادفئك
بنفسي ايضا ..."

وهكذا كان ... قضت ليلتها متدفئة به ..

خرجت من المصعد وهي تكاد تغني ...
فصباح اليوم منحها قبلة حارة على شفتيها
قبل ان يسبقها الخروج لعمله ...

بعد ساعة وبينما سمارا تدخل المكتب
متأخرة على غير عادتها فاجأتها شهرزاد وهي
تقترب منها بابتسامة سعيدة مبتهجة لتأخذها
في احضانها وهي تقول بتأثر واضح " مبارك يا
عروس ... باهر اخبرني بالاحدث السعيدة .."
من خلف شهرزاد حدجت سمارا باهر بنظرات
نارية لتنطق اسمه بتهديد مبطن " باهر ! "

ارتبك باهر ليقول وهو يتطلع لشاهين الذي خرج من غرفته للتو " ماذا ..؟!! شاهين من اخبرني بهذا ..! "

عندها ارتبكت شهرزاد وهي تبتعد عن سمارا لتقول بحيرة رقيقة " ماذا ؟! اليس خبر خطبتك صحيحا ؟ "

عندها ضيقت سمارا عينيها وهي تحدق في شاهين بغضب مستعر لتقول اسمه بتساؤل

" شاهين ؟! "

كتم شاهين ضحكته بطريقة مفضوحة بينما يعبس بجدية وهو يتحرك متجاوزا شهرزاد وسمارا ليقول بصوت يدعي الحزم " يجب ان اخرج حالا فلدي موعد مهم مع زبون لايحب التأخير بالمواعيد .."

لكن سمارا لاحقته بالقول الغاضب المتوعد

" لن تفلت بهذا ... "

ضحكت شهرزاد من قلبها وصوت ضحكاتها لاحق اذنيّ شاهين كتمتمات لعنات تصب جام غضبها على قلبه الصاخب !

بعد اسبوعين

قالت شهرزاد ببشاشة اصبحت مرافقة لها على الدوام " لااصدق انك لم تعطه موافقتك لحد الآن ! لماذا تفعلين هذا حقا ؟ "

ردت سمارا بتنهد وهي تجلس على كرسيها " اعترف اني عنيدة احيانا وما يفعله ابي واختي هديل يغيظني جدا ! يتصوران بدعوتهما المكررة له سيضعاني امام حقيقة قبولي به .. لايعطياني الوقت الذي احتاجه لاقرر عن قناعة كاملة .. "

ردت شهرزاد غامزة بمرح " ولكنك ترتدين خاتمه ! "

تطلعت سمارا للخاتم في بنصرها الايمن لتقول بحيرة " لااعلم حقا لم ارتديه لكني اعترف اني احببته "

ضحكت شهرزاد وهي تقول بمشاكسة

" احببت اياد ام احببت خاتمه ؟! "

كزّت سمارا على اسنانها وهي تقول بغيظ " شاهين اصابك بعدوى حب المشاكسة والاستفزاز ! "

ضحكت شهرزاد مرة اخرى عندما رن هاتفها النقال ...

راقبت سمارا بتركيز وجه شهرزاد يتألق وهي تتلقى مكالمة زوجها ... ابتسمت لها شهرزاد باعتذار صامت وهي تنسحب لتكلم زوجها على انفراد ...

لقد تغيرت شهرزاد عن تلك الشابة المهزوزة التي دخلت هذا المكتب قبل اكثر من ثلاثة اسابيع ويبدو ان تغيرها كان له اثر رائع على علاقتها بزوجها ...

لاتعلم ايهما اثر في الاخر ! هل تغيرها اثر في علاقتها الزوجية ام ان تحسن علاقتها الزوجية هو الذي غيرها ....؟!!

لكنها ترجح الاحتمال الاول ، فيبدو هيثم الجراح مختلفا عن رؤيتها الاولى له عندما اخذ شهرزاد من الشارع ، لقد حضر بشكل مباغت لاكثر من مرة للمكتب خلال هذه الاسابيع دون ان يخفي نظرات التحفز في عينيه الباردتين ...

هذا التحفز الذي يربك باهر ويجعله يتلعثم امامه وهو يصف تقدم شهرزاد الملحوظ في تلقي دروس الحاسوب ..

لكن ما يثير قلق سمارا هو نظراته لشاهين ، يبدو تحفزه مختلفا وكأنه يلتقط بحدسه اختلاف مشاعر شاهين نحو شهرزاد ....

وشاهين من جهته ما زال يقلقها ، فرغم انه ما زال ملتزما بالتباعد عن شهرزاد الا انها تتلمس اضطرابه عندمت يراها تضحك او عندما تشاكس باهر او عندما تشاكسه هو شخصيا ...

همست بانقباض " لماذا هي يا شاهين ؟! لماذا هي دون غيرها تعلقت بها .. والمصيبة انها تنوي اخذ مزيد من الدورات ..."

دخلت شهرزاد بحال غير الحال الذي خرجت به ! كانت تبدو مضطربة وهي تحدق في شاشة هاتفها النقال ..

سألتها سمارا بلطف " ما بك عزيزتي ، هل حصل شيء مع زوجك ؟ "

كانت صداقتهما تعمقت لتحكي لها شهرزاد عن بعض جوانب حياتها الزوجية ..

ردت شهرزاد باضطراب " لا .. بالعكس .. كان يدللني ويقول انه اشتري لي اسورة جميلة "

عقدت سمارا حاجبيها قليلا لتسأل " اذن ما الخطب ؟ "

قالت شهرزاد بقلق ظاهر وهي تتقدم اليها مناولة اياها هاتفها " انظري لقد .. استلمت رسالة اخرى ، لقد اتتني للتو بعد ان انهيت مكالمتي مع هيثم "

بينما سمارا تقرأ الرسالة بعبوس دخل شاهين وعندما لاحظ اضطراب شهرزاد وعبوس سمارا سأل " مابكما ..؟! "

سكنت ملامح سمارا وهي ترفعها لشاهين وتقول بهدوء " لاشيء شاهين .. لاتشغل بالك "

نظر شاهين لشهرزاد ليسألها " اخبريني انت شهرزاد .."

نقّلت شهرزاد نظراتها بين سمارا التي تنظر اليها بطريقة لم تفهمها وبين شاهين الذي يبدو مصرا ليعرف فقالت بتردد

" منذ اسبوع وصلتني .. رسالة نصية على هاتفي من رقم مجهول واليوم ... الآن تحديدا وصلتني رسالة اخرى .."

ضيّق شاهين عينيه وهو يسأل بتركيز " هل هي رسائل تهديد او ابتزاز ؟ "

قالت بتوتر وحيرة " حقيقة ... لا .. اعلم .. ! "

استاذنها بهدوء " هل يمكنني الاطلاع عليها "

هزّت شهرزاد رأسها بنعم فتقدم شاهين ليأخذ الهاتف من يد سمارا وقرأ الرسالة

(زوجك متزوج بامرأة تملك عليه جوارحه)

ثم قرأ الرسالة الاخرى

(هيثم يعشق امرأة لن تكوني مثلها ابدا)

قال شاهين بهدوء " الرقم المرسل منه مخادع وليس حقيقيا "

سألت سمارا " كيف ؟! "

رد شاهين " هناك طرق للارسال عبر الانترنت بارقام ذات تسلسل عشوائي "

ثم التفت نحو شهرزاد ليسأل بحذر " اسف للتدخل لكن هل يقلقك معنى هذه الرسائل ؟ "

سارعت سمارا لتقول بتبرة محتدة محذرة

" شهرزاد لاتشك بزوجها يا شاهين "

اسبل شاهين اهدابه ليسال ببساطة " اذن ؟! "

ردت سمارا بصلابة " شهرزاد تعتقد انها الخادمة ام سعيد تحاول التلاعب بها لانها سبق ولمحت لها ان ذلك الدجال يعتقد بوجود امرأة اخرى في حياة زوجها "

عندها قالت شهرزاد بتوتر شديد " انا اخشى ان الهدف انهاك اعصابي ثم في النهاية الابتزاز بمعرفة ذهابي لذلك المشعوذ "

وضع شاهين يده في جيبه ليقول بثقة " ذلك المشعوذ الدجال سينتهي قريبا ولك كلمتي بهذا ، الموضوع فقط يحتاج للوقت ، وعندها ام سعيد هذه لن تجرؤ على الاقتراب منك وتهديدك "

لكن شهرزاد لم تطمئن تماما وهي تسأل بخوف " ماذا لو حصل .. لو .."

لكن شاهين قاطعها وهو يبتسم بلطف " اذا حصل شيء سنتصرف لاتخشي شيئا ..."

قال لها بنزق " ماذا تريدين نورا ؟! انا مشغول الآن .."

ردت بدلال يخفي توترا " اشتقت اليك .. ألم تشتاق انت الي ؟"

تأفف هيثم قبل ان يقول بضجر " البارحة كنت معك نورا ! "

تحاملت على نفسها لتكبت احباطها وغضبها فقالت بصوت مغو " انا لم اشبع منك ! لقد اصبحت بخيلا جدا معي حتى وانا بين ذراعيك تكون بخيلا شحيحا بالعاطفة "

رد ببرود " نورا انا لدي عمل ... لاوقت لدي لدلالك ...اراك فيما بعد "

سارعت لتسأله بالحاح افلت منها " هل ستأتي الليلة "

رد بكلمتين قبل ان يغلق الخط

" لا ... وداعا ..."

وضعت نورا هاتفها على سطح مكتبها بتأن .. مرتعش !

تشوهت ملامحها باحساس الرفض المهين الذي رماه بوجهها هيثم للتو ! لا ليس للتو بل منذ فترة وهو يعاملها بطريقة تجعلها تشعر انها تفقد رباطة جأشها .. تفقد ذكاءها المتوقد فترتكب الاخطاء معه واحدا تلو الآخر ...

واحدى هذه الاخطاء كانت بتحديه وهي تدعو شهرزاد للغداء قبل ايام رغم انه حذرها ان تبتعد وان تتحجج بانشغالها بعملها الجديد ، لكن عنادها تمكن منها وجزء متوجس اراد رؤية شهرزاد .. لاتعلم لماذا .. لكنها ارادت رؤيتها .. وحالما رأتها علمت ما هو ذلك الحدس الذي دفعها لتلتقي بها ...!

بدت شهرزاد مختلفة ... متألقة مبتسمة على الدوام ... سعيدة ! لم تكف عن الحديث عن ذلك المكتب الذي التحقت به وكأنها انجزت مهمة عظيمة ... تلك التافهة الضعيفة المتباكية تظن نفسها ذات قيمة مختلفة الآن ...

تقبضت يدا نورا وهي تفكر انه لايهم ما تعتقده هي .. المهم ما تعتقده شهرزاد في نفسها ويمنحها تلك الهالة السحرية المشعة

منها ، لمعة عيني شهرزاد مختلفة ...ابتسامتها مختلفة ... لم تعد ترتعش بضعف عن ذكر هيثم بل اصبح ارتعاشها عاطفيا نابعا عن ثقة واشباع !!

ومع كل هذا لاتحتاج نورا للذكاء مفرط حتى تدرك ما يحصل مع هيثم !

همست بفحيح الغيرة والغضب " لهذا لاتريدني ان اقترب يا هيثم ... تريد الاستمتاع بالتحدي الجديد وانت ترى شهرزاد بهذا الاختلاف ، تريد تملكها بحالتها الجديدة ... فهي ملكك وانت لاتترك ملكك يبتعد عنك اليس كذلك ؟! "

اخذت تضرب بقبضتها على سطح المكتب وهي تهمس بنفس النبرة " حتى الرسائل التي ابعثها لها لم تفلح بزعزعة ابتهاجها ! تلك الغبية تثق بهيثم الى ابعد حد ... او ربما تريد ان تثق به فتتغاضى عن اي اشارات... "

ابتسمت بسخرية وهي تضيف " انها لاتعرف ان هيثم الجراح خارج اطار اي ثقة ما دام الامر يتعلق الامر برغباته ..."

تلاشت ابتسامتها لتحتد نظراتها بقسوة بينما ارتجفت شفتاها بشعور اهانة من نوع آخر...

تذكرت الساعة الوحيدة التي قضاها معها بالامس ، لقد جاء لهدف محدد تسكين احتجاجاتها واشباع رغباتها الجسدية ...

كان باردا ملولا متعجلا ! جعلها تشعر بالدونية .. جعلها تشعر وكأنها تتوسل اليه معاشرتها كأي رخيصة !

ضربت بقوة اكبر هذه المرة لتهتز الاغراض على سطح المكتب وتنقلب حاوية الاقلام لتتدحرج الاقلام حتى سقطت ارضا الواحد تلو الآخر ...

همست بجمود " غدا يا هيثم ... غدا سأريك من هي نورا ..."

صباح اليوم التالي

جاء صوت مساعده عبر الجهاز وهو يقول بطريقته العملية الباردة " السيدة نورا حضرت وترغب برؤيتك سيدي "

سحق هيثم فكيه وتمكن منه غضب جامح لجرأتها بالحضور لكنه قال ببرود

" حسنا .. دعها تدخل "

بعد لحظات فتحت الباب لتطل نورا مبتسمة بفستان قصير مذهل بلون قمحي ، بدت فيه متألقة جدا لكنها ... لم تحرك فيه شعرة !

اغلقت الباب خلفها ثم استدارت اليه لكنه لم يقف لاستقبالها وهو يتطلع اليها ببرود فبادرت هي لالقاء التحية ببشاشة وهي تقترب منه

" مرحبا .."

قال وهو يغلق عينيه قليلا " ما الذي اتى بك نورا ؟" "

هزّت كتفيها بنعومة وهي تقول بشقاوة

" جئت لرؤية زوجي ! "

اقتربت اكثر لتصل اليه ومالت بوجهها لتطبع قبلة على خده لكنه تحرك قبل ان تمسه شفتاها ليقف على قدميه ويلتف حول مكتبه من الجهة الاخرى وهو يقول بهدوء شديد

" ما نوع اللعبة التي تلعبينها الآن ؟! "

ضحكت بخفة بينما تعاود الاقتراب منه وتقول ببراءة مصطنعة " ماذا ؟!!.. الا يحق لي قول زوجي ؟ "

ابتسامة ساخرة جانبية منه ليقول بقساوة " كنت ممتعة اكثر وانت تعرفين معنى ارتباطنا حقيقة "

للحظة ابتسامتها الواثقة اهتزت بينما يكمل بنفس القساوة " كنت واثقة بل مبهرة بثقتك بنفسك وانت تسأليني عن مشاعري نحو شهرزاد دون ان تهتمي حقا بمشاعر ابنة عمك "

ردت بشراسة وهي تقف قبالته" لانك كنت مختلفا معي .. جعلتني اشعر اني مختلفة "

تطلع اليها ببرود قاتل فما كان منها الا ان رفعت ذقنها لتقول بعزم

" وانا مختلفة هيثم .."

ثم رفعت يدها واخذت تحل ازرار فستانها من الامام كاشفة عن مفاتنها ليقول هيثم وعيناه على تلك المفاتن " ماذا تفعلين الآن ؟! "

ثم رفع نظراته الثابتة لعينيها قائلا بصوت آمر

" اغلقي ازرار فستانك نورا .."

لكنها لم تفعل لتقول بصوت مبحوح " ارى تلك اللمعة من الاثارة في عينيك .."

رد بنفس البرود الساخر

" انك تتوهمينها الآن ! "

تشوهت سحنتها بالغضب لتقول من بين اسنانها

" انك سادي المشاعر وبائس حقير "

رد هيثم بتفكه وهو يرفع حاجبيه قليلا

" يبدو ان كل النساء سواء عندما يشعرن بالغيرة يصبحن هستيريات ! "

فقدت السيطرة على نفسها وهي تلتصق به وتقول بمشاعر منفلتة " نعم اشعر بالغيرة ... اشعر بالتملك نحوك .. ارغبك واعشق الانتماء اليك ... استطيع ان اجدد تلك الشعلة بيننا .." اخذت تلامسه بجنون وهي تقول بلهفة مثيرة " هنا ... الان ... يا هيثم .. في مكتبك .."

لايعلم ما الذي جعله لايتأثر بكل هذا الاغواء ؟! ربما تأثر قليلا ..لاينكر فهو رجل في النهاية وهي زوجته لكن .. هناك شيء يمنعه .. قلق من نوع غريب يسيطر عليه يجعله يريد نفي نورا من حياته ...!

نورا التي لم يعد واثقا انها لن تكشف عن علاقتهما امام شهرزاد ... حساباته كلها كانت خطأ ... خطأ ... تصور نورا مختلفة وانها ستستمتع معه فحسب ..

قال بحزم وهو يحاول الابتعاد " قلت لك اغلقي ازرار فستانك "

لم تفلته لتقول بجموح " حسنا ساغلقها ... لكن ليس قبل ان افعل هذا ..."

قالت شهرزاد ببشاشة وهي تدخل مكتب مساعد هيثم " مرحبا هاني ... كيف حالك"

كان هاني قد تعود على الاسلوب الجديد لزوجة السيد هيثم التي اخذت تكثر من زياراتها للشركة ، انها تحييه بألفة وتسأل عنه بود وهذا لم يعتده خلال عمله هنا..

قال بابتسامة عملية " مرحبا سيدة شهرزاد "

سألت شهرزاد بنفس الابتسامة " هل نورا وصلت ؟ لقد اخبرتني انها هنا من عشر دقائق "

رد هاني " نعم سيدتي انها مع السيد هيثم بالداخل "

غمزت له بفكاهه مما فاجأه اكثر ثم قالت " حسنا اننا نفاجؤه بدعوة اجبارية على الغداء فألغي كل مواعيده .."

استعاد اسلوبه العملي ليقول " هل اخبره بوصولك سيدتي.."

قالت وهي تتقدم نحو باب مكتب زوجها

" لا .. لاداعي .. سادخل مباشرة "

ابتسامتها تناغش شفتيها بمرح وهي تصل الباب وتفتحه بثقة ، للحظة تلك الابتسامة ظلت عالقة وهي تنظر امامها لترى بعدم استيعاب هيثم ونورا متلاحمين بعاطفة مجنونة !

ما زالت الابتسامة ثابتة لاتتزحزح بينما يرتفع حاجباها وتتسع عيناها وما ان تنبه هيثم لدخولها حتى ابتعد عن نورا بقسوة ليهمس بعدم تصديق " شهرزاد ..."

عندها فقط ولاتعرف كيف ... انحدرت بتباطؤ دمعة واحدة يتيمة كيتم احساسها الذي رافقها طيلة حياتها وتلك الابتسامة ما زالت ثابتة ... ولا .. تتزحزح .... !

الفصل التاسع

" شهرزاد ..."

تسمع همسه باسمها الذي بدا متوسلا على نحو لم تألفه اذناها بنبرة صوته من قبل !

دون ان تنظر اليه .. دون ان يلمسها ...

وكأنها خارج حدود المعقول تعلقت عيناها بمشهد اغرب !

يدا نورا تغلقان ازرار فستانها ببطئ وهدوء شديد ! مفاتنها التي كانت مكشوفة تتوارى الآن بعد كل زر و .. زر ...

زر و...زر ..!

مع كل زر تغلقه تنتصب سكين ثلمة لتنغمد بنفس البطء في اعماق روحها فتتلوى تلك الروح وتختض بقوة بين حدود الجسد وكأنها تعاني سكرات الموت وتسعى للخلاص بالتحرر من تلك الحدود !

انحجبت صورة نورا وهيثم يتقدم ليقف بينهما كحائل ضخم .. ضخم جدا !

مظلم جدا ...جدا ...

الصمت المطبق لايخلو من ذبذبات همساته باسمها ثم فجأة.. حطت يده على ساعدها ..

لمسته جعلتها تشعر ببرودة جليدية ! لاتعرف كيف ترتجف بردا هكذا بينما داخلها يغلي ! انها روحها التي تغلي كبركان ... تحرق جدرانها الهشة ... تبتلع بحممها احلام صباها البعيد..

" شهرزاد ! يا الهي .. ان جسدك بارد كالثلج ..."

همسه تسمعه ولكن بشكل عجائبي لاتشعر به ! انه بعيد ... بعيد ... كما لمسته لها بعيدة فلا تمنح دفئا ولا تبرد غليانا ....

" لعلمك انا ... زوجته ...! "

صوت نورا صفع اذنيها بما يحمله ... بينما صوته هو فصفع روحها التي تعصف في داخلها وهو يقول بهدير الغضب " ايتها الحقيرة السافلة ! انت .. طالق .."

عاودت الروح نزاعها مع سكرات الموت بقسوة اكثر ايلاما وصوت نورا الذي بدا قبيحا الى درجة الألم يقول بتشفٍ " لايهمني ... انت كنت ستفعلها في كل الاحوال فلست غبية ! لكن .. يكفي ان اراك تعاني الآن .. وستعاني .. اكثر واكثر يا هيثم ... وفي النهاية ستخسرها ... وعندها ستعود الي صاغرا عندما تعترف لنفسك اننا من طينة واحدة ..."

" اهدأي شهرزاد ... يا الهي اهدأي حبيبتي ..! "

لم تكن تعلم ما يحصل لجسدها وهو يتلوى بعنف هستيري بين ذراعيه اللتين تطوقانها ... وكلمة (حبيبتي) التي خرجت من فمه بتلك النبرة التي لم تسمعها منه من قبل جعلت غليان روحها يمتزج بكل شيء ....

بعينين متحجرتين من الصدمة والذهول اخذت نورا تنظر لشهرزاد وهي تتلوى بعنف شديد بين ذراعي هيثم ، شعرها يتناثر حول وجهها وقد بدت كلها في حالة هستيرية لاتوصف ...

هستيرية صامتة فهي لم تنطق ولا حتى بكلمة واحدة !

ذلك الاحساس الغارب بالذنب فجأة بزغ !

ليلتصق بها ... ثم اخذ يجلدها بسوط من نار ...

هستيرية شهرزاد تضاعفت بينما هيثم يحاول احتواءها بعجز وهو يهدهدها بتوسل رقيق

" حبيبتي .. حبيبتي .. اسمعيني .. فقط اهدأي ... شهرزادي ... شهرزادي .. انظري الي .. اهدأي .. ستؤذين نفسك ... يا الهي .. حبيبتي .."

فجأة علت صرخة واحدة منها ! صرخة كانت كـ آهة ألم لايطاق وبعدها سقطت على صدر هيثم مغشيا عليها !

لم تعد نورا تعي ما يحصل بينما عيناها تتابعان بنفس الصدمة انهيار شهرزاد التام وهيثم يصرخ مناديا مساعده ليستدعي الطبيب ...

" مااا...ذا ....فعلت ؟! "

لاتعرف هل همستها مسموعة ام لا لتعاود عيناها تعذيبها برؤية شهرزاد كخرقة بالية شاحبة يحملها هيثم بين ذراعيه وشعرها الجميل متهدلا للاسفل ...

بنفس الهمس المفجوع " انا ... لم ..اكن اعرف انك تحبينه هكذا ! لم اكن ... شهرزاد ... "

كان يتحرك ذهابا وايابا امام باب الغرفة التي تضم شهرزاد محجوبة عنه بينما الطبيب يعاينها...

لاول مرة في حياته كلها يداه ترتعشان اضطرابا! لايصدق ما حصل ! لايصدق ان الامور افلتت منه بالكامل وبتلك الطريقة البشعة !

سيطرته تداعت كليا وهو يحاول تهدئة شهرزاد دون نجاح يذكر .. اغماؤها كان اكثر سيطرة منه ليكبح هستيريتها وينهي انهيارها ... لا لم ينهِ انهيارها بل يحوله من اختضاض جسدي عنيف لصمت مطبق على جميع الاصعدة ...

طبيب الشركة استدعي الاسعاف فورا وهو يصف الحالة بـ(انهيار عصبي) ...

قلبه تمزق إربا وهو يهمس بشحوب شديد " انها حتى لم تنظر الي .. لم تنطق بحرف ! وعندما اغمي عليها كانت كخرقة باهتة بين ذراعي لااثر للحياة فيها "

تذكرها في السابعة عشرة بشعر اكثر طولا وعينان بنفس براءتهما ومشاعرهما المفضوحة النابضة بالعشق !

تقف عند مضمار الخيل ببنطالها الجينز وبلوزتها البيضاء تراقبه بشغف شديد وهو يمتطي حصانه ..

كان في السادسة والعشرين .. قمة الشباب .. قمة الغرور النابع من ادراكه لمؤهلاته وايضا لتأثيره القوي على جنس النساء ، هذا الغرور جعله يسخر من المشاعر البريئة لتلك الفاتنة الصغيرة ..

لكن في اعماقه كان ينتفض انتعاشا لملاحقتها الولهانة ! لايعلم لماذا كان لها تأثير مختلف .. تأثير لم يكن يحركه جسديا في تلك الفترة لكنه كان ملهما .. لحواسه .. مشبعا لجزء مهم من شخصه ..

فتح الباب ليخرج الطبيب بملامحه الهادئة التي لاتعبر عن شيء !

ابتلع هيثم ريقه ليحاول ادعاء بعض التماسك وهو يسأل بهدوء ظاهري " هل هي بخير ؟"

نظر اليه الطبيب لبضع لحظات قبل ان يقول باسلوب عملي " السيدة مصابة بانهيار عصبي ،

لقد اعطيتها مهدئا ولكنها تحتاج للبقاء عندنا لبضعة ايام "

قلبه يتخبط بين اضلعه وصوته خذله بنبرة الخوف والقلق " ستكون بخير ... اليس كذلك؟ "

رد الطبيب بايجاز " ان شاء الله ..."

سأله هيثم واختناق ينتابه " هل .. استطيع رؤيتها ..؟"

ابتسم الطبيب اخيرا ليقول له " اعرف من واقع تجربتي عندما ساقول لك انها لن تشعر بك فانك سترد لايهم !

لذلك بامكانك رؤيتها لكن دون ان تحدث اي صوت.. اريدها ان تستعيد استقرارها النسبي حاليا .."

صمت قليلا ليضيف " بعد خروجك من عندها ارجو منك يا سيد هيثم القدوم لغرفتي لنتحدث .."

هزّ هيثم رأسه موافقا دون تركيز بينما فكره مشدود مع فتح الباب الموصد بينه و...بينها ...

يتطلع لشحوب وجهها الجميل وقد استكان رأسها على الوسادة البيضاء ، يكتم صوته لكنه لايكتم افكاره ...

" آسف شهرزادي .. آسف لاني اخطأت في كل شيء ! ما حصل اليوم كان بسببي .. بسبب غبائي ! كنت غبيا حين اعتقدت ان نورا لن تجرؤ على فعل ما فعلت ! غبي لاني جزمت انها تفهم مستوى العلاقة بيننا وتدركه عن اقتناع .. غبي لاني تصورتها ستستمتع بالامر وكفى .. مثلي تماما ! كعقد غير مكتوب بشروط لم تنطق .. كم كنت غبيا ! عقد وهمي كهذا لاينفع في دنيا المال والاعمال فكيف ينفع مع دنيا النساء ؟! خانني ذكائي بشكل رهيب ! "

مد يده يريد ملامسة شعرها الناعم لكنه .. لم يستطع ... شعور مناقض بالغضب يدفعه للمسها كما يشاء فهي ملكه وله !

لكن احساسه بها وبحاجاتها تغلب في النهاية فأطرق برأسه وهو يشد على قبضتيه ليستدير مغادرا تاركا اياها في سكونها المقلق ...

راقب شاهين ملامح سمارا تتغير وهي تتكلم مع مساعد هيثم الجراح على الهاتف ..

كانت سمارا قد قررت الاتصال بمكتب هيثم الجراح عندما لم تحصل من شهرزاد على رد على هاتفها النقال ، فقد مرت ما يقارب الخمس

ساعات على مغادرتها لتناول الغداء مع زوجها وابنة عمها ولو كانت قررت عدم العودة لكانت اتصلت ...

شعر شاهين بالانقباض والتوجس بينما يسمع سمارا تقول بقلق " سيد هاني انا صديقة مقربة للسيدة شهرزاد ويهمني ان اطمئن عليها ، لذلك هل يمكنك ان تكون اكثر تحديدا وتشرح لي ماذا تعني بـ (انها تعبت قليلا)؟"

نبضاته اصبحت قوية في صدره وهو يقترب من سمارا يحاول التسمع لصوت ذلك (المتأنق) مباشرة وهو يضع اذنه قريبا من سماعة الهاتف ..

لم تتنبه سمارا له بل لم تهتم لان تتنبه ففكرها مشدود مع نبرة صوت ذلك الرجل التي بدت غير ثابتة على غير عادتها ! لقد تكلمت معه سابقا اكثر من مرة وكان يثير حنقها باسلوبه البارد المسيطر ..

قال هاني وهو يدعي البرود " السيدة شهرزاد تعبت قليلا وليس لدي اضافة اكثر من هذا .."

سألته سمارا بغيظ " حسنا هل لديك (اضافة) تخبرني فيها عن مكان تواجدها حاليا ؟! "

للحظة تردد لف صوته وهو يسأل " هل هذا .. ضروري ؟"

هتفت به " اجل ضروري ! اقول لك انها صديقتي وانا شديدة القلق عليها ... الا تستوعب حاجتي للاطمئنان ؟!!! "

اقسم شاهين ان لم يرد ذلك المتحذلق بجملة مفيدة سيذهب اليه في مكتبه وينتزع الاجابة من حنجرته مباشرة !

لكن المتأنق المتحذلق ابدى ردة فعل انسانية فريدة من نوعها ليقول بتنهيدة قلقة " السيدة تعبت .. كثيرا في الواقع .. اغمي عليها وطبيب الشركة نقلها.. للمستشفى ..."

لم يشعر شاهين بنفسه الا وهو يمد يده محاولا انتزاع السماعة من يد سمارا لكنها كانت اسرع منه وهي تبتعد عن مرماه لتسأل المساعد بحزم " اي مستشفى ؟ اخبرني باسمها حالا .."

سجلت اسم المستشفى على ورقة بينما تشكر المساعد باقتضاب وعيناها تلاحقان خطوات شاهين النارية وهي تحوم حولها باضطراب واضح ...

اغلقت الخط بينما شاهين يلتقط مفتاح سيارته ليقول بتماسك " هيا بنا ..."

لكن سمارا طوت الورقة لتضعها في جيبها ثم تكتفت امامه لتقول بملامح هادئة جدية " انا سأذهب بمفردي شاهين وساطمئنك عنها من هناك .."

كزّ شاهين على اسنانه ليقول بحنق بالغ " توقفي سمارا ! فهذا ليس وقت مناسب لمشاكستي واثارة غيظي .. هيا بنا لنذهب "

اخذت سمارا تهز رأسها بالرفض لتقول بصلابة " انا لاحاول مشاكستك او اثارة غضبك .. "

ثم نظرت اليه بعمق لتقول بتأنٍ " انا احاول حمايتك شاهين ... حمايتك من نفسك ! "

تجمدت عينا شاهين ككل شيء فيه لتضيف سمارا مخفية اشفاقها عليه " كما ان ذهابك هناك غير مناسب وانت في قرارة نفسك تعلم هذا .. "

جموده اخذ بالتراجع لكنه لم يجد غير الصمت ملجأ له لتكمل سمارا وهي تتحرك بعيدا عنه " اعدك ان اتصل حالما اعلم ما حصل لها ولماذا تعبت هكذا فجأة وقد خرجت من هنا متوهجة بالفرح ..."

كانت تقول كلماتها هذه دون ان تشعر بانها تثرثر ! وكأنها تحادث نفسها وتتساءل عما حصل لشهرزاد حقا ...!

بعد ثلاثة ايام ... صباحا

دخلت سمارا اليها تحمل ورودا برائحة عطرة تتضاحك وهي تقول " صباح الخير يا حسناء ، احضرت لك اليوم ازهار الجوري ، امي كانت تحبها وتعتبرها الاجمل على الاطلاق "

لم تنتظر منها ردا بل كانت ستصدم من المفاجأة لو سمعت منها اي همس !

هذا حالها منذ ايام ... منذ حضرت لتطمئن عليها لتصدمها حقيقة اصابتها بانهيار عصبي .. تلك الحقيقة التي رماها الطبيب في وجهها بحضور زوجها ... السيد العظيم ..!

مع انه لم يبدُ (عظيما) على الاطلاق بوجهه الشاحب ونظراته الجامدة وملامحه المستكينة تحت حمل احساس غامض ثقيل !

سؤال لم تجد قدرة او جرأة لتطرحه (لماذا؟!)

اجل.. لم تستطع ان تسأل عن الاسباب .. وكأنه سؤال حرم عليه النطق والظهور لعلن اللسان بينما الاجابة ترسمها ملامح هيثم الجراح كطلسم شديد التعقيد ...

رتبت آنية الزهور ثم اقتربت من سرير شهرزاد لتجدها على نفس الحال ...

عينان متحجرتان وملامح جامدة ، نظراتها ذابلة بل اقرب لتوصف بميتة ! يؤلمها ان تراها هكذا وهي لاتحرز اي تقدم يذكر !

همست في سرها " ماذا حصل بينك وبين زوجك يا شهرزاد ؟ للحظة خشيت انه علم بأمر المشعوذ لكن وجهه لايقول هذا ! اما وجهك المتحجر هذا فلا يخبرني بشيء على الاطلاق ! "

مالت براسها لتطبع قبلة على خد شهرزاد ثم اخذت تعبث بشعرها وهي تقول برقة حانية " سأقرأ لك القرآن اولا وبعدها سأخبرك عن قصة الدنيء اخضر العينين مع اختي المجنونة "

وهكذا بدأت مشوارها اليومي في مجالستها لشهرزاد عسى ان تخرجها من هذا الجمود المقلق ..

لقد بدأت تشفق على زوجها وهي تراه بشحوب مماثل وصمت خانق ، يقف عند حدود باب غرفة شهرزاد يتطلع اليها من بعيد دون ان يقترب ! لقد علمت انه ممنوع بأمر الطبيب من الاقتراب اكثر او حتى اشعار شهرزاد بوجوده او ذكر اسمه فادركت ان امرا ما جللا حصل بينهما ...

لكن نظراته لزوجته تفيض مشاعر شتى عجزت سمارا عن حل رموزها ، كم هو انسان

غريب ؟! لاتعرف كيف ارتبط بفتاة واضحة المشاعر فيّاضة الاحساس كشهرزاد ؟!!

كان الامر يضغط على اعصابها خصوصا وهي تتحاشى السؤال عن اي شيء فلا تريد التدخل .. والاسوأ جمود من نوع مختلف ينتظرها في المكتب عندما تنهي زيارتها لشهرزاد وتعود هناك لتجد نظرات شاهين المتسائلة في انتظارها ...

لايفعل سوى القاء سؤال موجز " كيف هي اليوم ؟" فتتعكر صفحة وجهه بالغضب والعجز عندما ترد عليه " كما هي ! "

اصبح حال المكتب لايسر بمزاج شاهين المتعكر هذا ، لم يعد يضحك .. لم يعد يمازح احدا لم يعد يهتم الا بالعمل بل ان العمل اصبح مهربه الوحيد فيجلس بالساعات احيانا على تصليح جهاز حاسوب يلفظ انفاسه بينما شاهين مصر على انعاشه وانقاذه من مصير محتوم !

وسط هذا الضغط كان اياد بلسما لها ...

رقيقا .. صامتا مستمعا فقط ... لايقترب اكثر من اللازم ولايبتعد ايضا ، كان مريحا ان تسترجع احساسا بالامان معه ، ان تتلمس طريقا للتقارب والاعتياد على وجوده في حياتها

لاتعرف كيف تقاربا في هذه الايام القليلة ،

لقد كان متنفسها الوحيد لتحكي له عن شهرزاد لكن دون تفاصيل .. واهم تفصيل اهملت ذكره هو مشاعر شاهين نحوها ...

" شاهين ..."

رجفة اعترت سمارا لاارديا وهي تسمع همسة شهرزاد باسم شاهين !

كانت تقاوم لتتمالك نفسها وهي تهمس لها باختناق الفرح

" حبيبتي ... اخيرا تكلمتِ ؟! "

لم تكن شهرزاد تنظر لسمارا بل ظلت عيناها شاردتان في نقطة وهمية امامها ، حتى ان ملامحها الجامدة لم تتغير ...

لكنها همست مرة اخرى " قال لي .. انت موجودة رغما عن اي شيء .. موجودة ومهمة وقيمتك كبيرة "

بيد ترتعش تأثرا اخذت سمارا تمسد على شعر شهرزاد وهي تهمس لها بحنو " مؤكد انت موجودة وغالية جدا علينا "

عادت شهرزاد لصمتها فجأة كما تكلمت فجأة ! انتظرتها سمارا لتقول المزيد لكنها انغلقت على نفسها مرة اخرى ..

خوف تسلل لسمارا ، خوف نغص عليها فرحتها بتكلم شهرزاد اخيرا ، اصابها الارتباك والاضطراب ايضا وهي تفكر بكل الاحتمالات خلف كلمات شهرزاد عن شاهين ...

غادرت سمارا المستشفى وهي ما زالت تشعر بنفس الخوف يطبق على صدرها ، اوقفت سيارة أجرة لتركبها بينما رنين هاتفها النقال يعلو ..

فتحت الخط ليأتيها صوت اختها هديل تقول بحماسة " لقد وجدت الفستان الذي سأرتديه بحفل التخرج ! "

ابتسمت سمارا بشرود وهي تقول " سعيدة لاجلك ..." شرودها جعلها لاتتنبه لتعلثم هديل وهي تسأل " هل ..سيحضر شاهين لحفل تخرجي ؟"

ردت سمارا واسم شاهين يجعلها تغرق في خوفها اكثر " نعم ... "

اغلقت الهاتف مع اختها وذهنها يشرد لحوار اجرته مع الطبيب ، كانت قد ابلغته بتكلم شهرزاد وهو ابدى بعض التفاؤل قائلا لو كان بالامكان ان يأتي شاهين بنفسه ليزورها ويكلمها ...

عقدت سمارا حاجبيها لتهمس لنفسها "
لايمكنني جعله يأتي ليراها ويكلمها ، هذا
خطأ ..خطأ ... لايفترض ان يلعب هذا الدور
في حياة شهرزاد ...."

عند المساء ...

هدر صوت هيثم عبر الهاتف قاسيا عنيفا " انت
حقيرة نورا ... حقيرة ... لاتدّعي الندم لما
فعلته الآن فلا تليق بك عاطفة كهذه .."

ردت نورا بغضب مماثل تداري فيه توترها
واحساسها الفظيع بالذنب " انت منافق هيثم ..
منافق .. انت من يجيد الادعاء بامتياز .. لست
انا من تقربت منك لتتزوجني انت من فعل
وانت تتحمل مسؤولية ما حصل لشهرزاد مثلي
ان لم يكن اكثر .. "

ضرب بقوة على سطح مكتبه ليصرخ بها " لن
اضيع وقتي بتبادل التهم معك ، لذلك
لااريدك ان تكلميني مرة اخرى .. علاقتنا
انتهت ... وعلاقة القربى مع شهرزاد ايضا انتهت
... وللابد .... "

فجأة تحشرج صوت نورا لتسأل بانهاك " فقط اخبرني كيف هي ؟ انا ... لاانام .. هل تفهم ... لاانام ! "

سخر بقساوة شديدة " لاتنامين ؟! اتمنى ان لاتعرفي راحة النفس طوال حياتك ... "

ثم اضاف بوعيد " واقسم اذا خسرت شهرزاد بسببك ساجعلك تدفعين الثمن غاليا "

ثم دون ان يسمع الرد اغلق الخط ورمى الهاتف على سطح مكتبه وهو يشتم ...

غادر كرسيه وتحرك مبتعدا دون هدف ...

لم يتصور يوما انه سيكون عاجزا بهذه الطريقة ، لم يتصور انه يوما سيقف على باب غرفة شهرزاد دون ان يحق له الاقتراب اكثر ..

مصارحته لطبيبها بما حصل بينهما وما رأته شهرزاد وكان السبب بانهيارها جعل الطبيب يمنعه من رؤيتها ، او الاصح يمنع رؤيته عنها !

نظر لساعة يده فوجدها تشير للتاسعة مساء ، التقط سترته وهو يتنهد باحباط ، ها هو سيعود للبيت صاغرا ليواجه عدم وجود شهرزاد فيه مرة اخرى !

حتى المستشفى اصبح يكره الذهاب لها ،
يكره ان يكون موجودا وغير موجود في
الوقت نفسه ، ما فائدة ان يقف على عتبة
بابها ولايستطيع ان ينطق بحرف !

تحرك ليلتقط هاتفه عندما رن مرة اخرى ،
عبس ببعض القلق وهو يرى اسم الطبيب ..

فتح الخط وهو يقول " مرحبا .."

صوت الطبيب لم يعجبه وهو يقول بارتباك "
مرحبا سيد هيثم .."

لم يستطع تمالك نفسه وهو يهتف به بقلق "
هل حصل شيء لشهرزاد ..؟"

ارتباك الطبيب تضاعف وهو يقول بتلعثم "
اذن هي ..ليست معك ؟ .. أأ ..انا ..آسف .."

برود كالموت زحف لاطراف هيثم وهو يسأل
دون توقف وقد عجز عقله عن التفسير " ماذا
تقصد ؟ ماذا حصل ؟ هل انتكست شهرزاد ؟ "

رد الطبيب باضطراب هذه المرة " السيدة ...
غادرت المستشفى .."

صرخ هيثم بذهول " ماذا ؟! كيف ؟"

قال الطبيب بتلعثم " لانعلم .. كيف ... ولا
حتى متى ، الممرضة لم تجدها في جناحها
فتصورتها خرجت لتتمشى في اروقة
المستشفى ، ثم .. ثم عندما عجزت .. عن

ايجادها عادت للغرفة .. لتتنبه لاول مرة انها
قد ابدلت ملابس المستشفى بملابس الخروج..
ثم .. اكتشفت انها اخذت حقيبة يدها ايضا
لانها اختفت ؟ "

تصبب العرق من جبين هيثم ليهمس بشراسة
من بين اسنانه " اقسم بالله اذا حصل شيء
سيء لها ساحطمكم جميعا ..."

كان الاب سعيدا بل مبتهجا وهو يرى شاهين
ينظر بانشداه لهديل تبعه عبوس ؟

ومن يلومه وقد بدت تلك الصغيرة كجنية
الاحلام بقصة شعرها المميزة تحضيرا لحفل
تخرجها بعد اسبوع ...

همس في سره " اجل يا فتاة .. دعيه يرى كم
انت جميلة ومميزة " ثم غامت عيناه واوشكت
ان تدمعا وهو يفكر " انت تشبهين والدتك
صغيرتي ، تلونين الحياة بالحياة ؟ تجعلينها
بمذاق خاص مختلف .. " ثم رمق بطرف عينه
عبوس شاهين وقد بدا غير راض ليواصل
همسه السري قائلا بغيظ " قل شيئا ايها الشاب
؟ قل اعجبك .. لكنك تخاف عليها فقط
وكم سأكون محظوظا لو كنت غيورا ؟ "

قالت هديل ببعض الاحباط " ألا تعجبك قصة شعري يا شاهين ؟!! "

رد شاهين وهو ما زال على عبوسه " كنت افضلك بهيئتك القديمة ! هكذا ستجذبين النظر اليك "

ارتفع حاجبا هديل واحمرت وجنتاها بينما قال الاب غامزا " فلتجذب النظر فربما سنشهد خطبتها مع خطبة سمارا .."

رد شاهين وقد اعتراه الضيق " لكنها ما زالت صغيرة عماه ! "

تخصرت هديل وهي تعقد حاجبيها لتقول بغضب " انا لست صغيرة .. هل تسمعني شاهين ... لست صغيرة ... كم مرة يجب ان اقولها لك ؟!! "

ازداد ضيق شاهين اكثر واكثر فزم شفتيه وهو يقف على قدميه ليقول " حسنا يا كبيرة ، حفل تخرجك سأكون معك بالتاكيد لارى من سيدرك انك كبيرة ايضا فينال مني ما لايرضيه ..."

اطلقت هديل صوتا مزمجرا غاضبا ثم التفتت لتتركه مع والدها الذي اغرق بالضحك !

ودّع شاهين والد سمارا وهو يقول بارهاق " انا متعب عمي وسمارا كما المعتاد ستتأخر باعداد العشاء لذلك ساغادر لانال قسطا من النوم انا بأمس الحاجة له .."

حاول الاب الاعتراض وعلا صوت سمارا من المطبخ وهي تحثه على الانتظار خصوصا ان اياد قادم ايضا لكنه اصر على المغادرة وكان له ما اراد ...

حالما غادر شاهين رن هاتف سمارا لتجد رقم المستشفى الذي تتعالج به شهرزاد ! اصابها القلق وهي تجفف يديها لتلتقط الهاتف وتفتح الخط ....

الجو حار ... حار جدا الليلة لكنه مصر على فتح نافذة سيارته فقد كان يشعر بالاختناق !

منذ وعكة شهرزاد الغريبة وهو لاينام جيدا ، لايكف عن التفكير بها ولايكف عن لجم نفسه التي تحثه على الذهاب اليها ...

فجأة ودون سابق انذار احتلت صورة هديل مخيلته ! انقبض قلبه واصابه الاختناق اكثر وهو يتذكر نظرات ذلك المدعو زيد اليها ، هذا الشاب ليس هينا ونظراته لها ليست بريئة على الاطلاق ...

عبس وهو يفكر بصوت مسموع " هل يعقل ان هديل تميل اليه الآن ؟ هل يمكن ان ... ان .."

رن هاتفه فزفر وهو يتوقعها سمارا تلاحقه كعادتها ! لكن ما ان رأى الاسم الذي ينبض امامه على شاشة الهاتف الصغيرة حتى فقد سيطرته على مقود السيارة للحظة فمالت السيارة جانبا لكنه استعاد تحكمها بها وهو يرفع يده بالاعتذار للسيارات التي اطلقت ابواق الاعتراض الغاضب ...

ركن سيارته جانبا وهو يكاد يلهث ليفتح الخط وقبل ان يتكلم جاءه صوت شهرزاد ضعيفا " شاهين ..."

رد بغباء " شهرزاد ... كيف .. حالك .. اقصد كنت اريد ان زيارتك .. في المستشفى لكن اعذري...."

قاطعته وقد بدا صوتها غريبا " لماذا هناك شمع احمر ؟! "

عقله تشتت ليسأل بدهشة " اي شمع احمر ؟! "

ردت بنفس النبرة التي لم يسمعها منها سابقا " ذلك الشمع الاحمر على باب شقة المشعوذ ! "

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول بتوجس " لقد هاجمت الشرطة وكره هذا الصباح وقبضوا عليه ، لكن .. كيف عرفت بالشمع الاحمر ؟! هل سمارا من اخبرتك ؟؟"

ردت بلهو " لا ... سمارا لاتخبرني الا عن خطيبها واختها و والدها .. و عنك ايضا ! "

وقبل ان يسأل عمّا يخشاه كانت هي تقول كطفلة متسلية " انا اقف عند باب المشعوذ الان ! للاسف .. لم اجده بانتظاري ! "

في لحظة انطلق شاهين بسيارته وهو يواصل التكلم معها مخفيا قلقه الشديد بصعوبة " انا آت عزيزتي .. فقط انتظري عندك ... سآتي ونتكلم معا "

ردت بصوت لايكاد يميز فيه هل هي تضحك ام تبكي ! " انا منتظرة ! لاشيء يجعلني اتعجل المغادرة ... سانتظر عودة هذا المشعوذ لاصحح له معلومة مهمة عن هيثم ... "

ضاقت انفاس شاهين وشيء ما يقبض قلبه بينما واصلت شهرزاد كلامها وكأنها تهذي او كأنها تحت تأثير مخدر من نوع ما " الغبي تصور ان امرأة من الجان من القت السحر عليه ! لكنها لم تكن الا انسية ! ، انسية من دمي ولحمي ... هل كنت تتوقع هذا يا شاهين ؟! انها ابنة عمي النارية وقد القت على هيثم سحر توهجها الدائم ... " ثم اخذت تضحك بهستيرية وهي تقول " نورا تعاشر زوجي ... نورا .. زوجة زوجي ! يا لها من جملة فكاهية مميزة ! "

صدمته بما قالته لم تغلب سيطرته على الموقف ليقول بثبات " انا على وشك الوصول شهرزاد ... "

كل ما قالته همسة بأسمه " شاهين ... "

في اتعس خيالاته لم يتصور انه سيرى شهرزاد يوما بهذه الصورة !

كانت ترتدي فستانا مكشوف الصدر والكتفين ، قصيرا جدا وبلون فضي يلائم الحفلات الساهرة ليلتمع حذاؤها بنفس اللون فيزيد من بهرجة هيئتها ..

زينة وجهها ثقيلة وصارخة اما شعرها فكان في ثورة من الالتواءات المجنونة ليتضاعف حجمه بشكل منفر !

ضحكت وهي تنظر اليه بعينين لاتبدوان طبيعيتين " الا ابدو مذهلة ؟! .. لقد دفعت ثروة لمحل الملابس ومصففة الشعر .. "

خلف الاقنعة المزيفة التي ارتدتها رأى الطفلة التائهة الخائفة ... طفلة منسية تصرخ بالبكاء ولايسمعها احد ...

شعر بحركة صعود على الدرج خلفه فتحرك مسرعا ليمسك شهرزاد من مرفقها ويصعد بها السلالم نحو الطابق الثالث حيث مكتبه ..

كانت مستسلمة له وهو يقودها هناك بينما في داخله يغلي ...

ادخلها المكتب واغلق الباب خلفه ليجلسها على اول كرسي ، اخذ يسب ويشتم في سره وهو يرى ساقيها تنكشفان حتى منتصف فخذيها عندما انحسر الفستان القصير عنهما !

اخرج هاتفه النقال واستدار ليولي شهرزاد ظهرها وهو يتصل بسمارا وعندما تكلم كان شديد الايجاز وهو يشرح لها الوضع ويطلب منها الحضور فورا مع .. ملابس محتشمة او حتى عباءة !

ما ان استدار اليها مجددا حتى اجفله رؤيتها تقف خلفه مباشرة ! ابتلع ريقه بصعوبة ورائحتها المسكية هي كل ما تبقى حاليا من ظاهر شهرزاد التي يعرفها ..

كانت تنظر اليه بطريقة غريبة ، تتمعن فيه وتوسل ينضح من كل ملامحها .. اقتربت اكثر فحاول الابتعاد وهو يقول بتلعثم " اجلسي شهرزاد تبدين متعبة ... سمارا ستأتي حالا ! " ثم قال متضاحكا " اليوم كنا نتحضر لحفل تخرج هديل وقد قصت هد..."

اختنقت كلماته وشهرزاد تقترب على حين غرة لتضع يديها على صدره الذي اهتز انفعالا لملامستها !

لم ترحمه وهي ترفع اليه وجهها الملطخ بمساحيق التجميل لكنها بدت شديدة الجمال وتلك الملامح تبنض بضعف الانثى وتنفث تعطشها للعاطفة ...

نفض رأسه بقوة وهو يحاول رفع يديها عن صدره لكنها تمسكت به لتقول بهمس يقطر ألما وحاجة " احتضني شاهين .. فقط ضمني بين ذراعيك ... احتاج لمن يحتضنني بقوة .. سأموت حاجة لدفء حقيقي .. لمرة واحدة في حياتي ... "

كان يشعر انه ينهار وهمسة تشبث بقوة الاحتمال انطلقت من بين شفتيه " يا الهي ..."

لكنها واصلت الاقتراب بوجهها وشفتاها الملونتين بلون زاه لايعرف له اسما الا الاغراء اخذتا تغويانه اكثر " ارجوك ... ارجوك شاهين .. انت قلت اني موجودة ... ومهمة ... الم تقل هذا ؟؟ لااحد غيرك قاله لي في حياتي كلها .. لااحد مثلك رآني ! "

للحظة فقط فقد رشده وارتفعت ذراعيه لتضمانها اليه ، ارتعاشها الشديد حطمه وهو يقاوم ارتعاش جسده الذي يلامس دفأها !

اسبلت اهدابها وهي تهمس بتمزق " هل انا امرأة حقا شاهين ؟! ام اني مجرد فاشلة ! "

اراد بجنون ان يثبت لها كم هي امرأة ! امرأة تفوق النساء .... تفوق قدرته على مقاومة تلك الشفتين ليتذوق معنى الانوثة الحقة منهما ..

اوشك ان يفقد ما تبقى من سيطرته ويفعلها لكن ما ايقظه هو تلك الدمعات التي هطلت على وجنتيها ، دمعات شقت الطريق صعبا وهي تخترق قناع الزينة المبتذل الذي ترتديه فتمزقه ...

همس لها وهو يرفع يده ليمسح دموعها " انت لست فاشلة ابدا .. انت انسانة شهرزاد قبل ان تكوني امرأة ... انسانة مميزة ولست وحدي من يراك هكذا .. "

اخذ نشيج بكائها يعلو ويعلو وهي تقول " لماذا خانني .. لماذا مزقني هكذا ؟ انا لم احب غيره في حياتي ... منحته كل شيء .. كل شيء .. وافعل لاجله كل شيء ... لماذا .. لماذا شاهين ؟!!!"

اخذت تضرب على صدره بضعف وانهيار وهي تبكي وتقول بحرقة وغضب " يخونني مع نورا شاهين ! تزوجها علي ... وانا كنت غبية كفاية لانكر حدسي بوجود شيء خاطئ .. هيثم لايحبني ... لايحبني ... انه حتى لم يقلها لي ولو كذبا !! "

اخذ يهدئها وهو يقاوم اعتمال نفسه بكل انواع المشاعر المتضاربة " فقط تماسكي عزيزتي .. تماسكي ... "

وبدلا من ان تتماسك اخذت تبكي بهستيرية مفرطة حتى سقطت مغشيا عليها بين ذراعيه ...

كان يضعها على احدى الارائك عندما دخلت سمارا بصحبة اياد ...

ما ان رأى اياد شهرزاد بملابسها المكشوفة حتى غض بصره وادار جسده جانبا ،

بينما سمارا اسرعت بهلع لتخرج من الكيس الذي تحمله عباءة سوداء وغطاء ، فالبستها العباءة بسرعة ثم القت عليها الغطاء ..

هتف شاهين " نحتاج عطرا سمارا .. اليس لديك عطر ؟! "

قالت بتلعثم " لا .. ليس لدي ... لكن اذهب واحضر ماء نغسل به وجهها حتى يأتي الطبيب "

لم يسألها عن الطبيب بينما هرول ناحية المطبخ الصغير في اخر المكتب ليحضر بعض الماء البارد ...



عندما عاد واجه وجود اكثر من شخص واحد .. كان الطبيب قد حضر بينما خيال هيثم الجراح ملأ المكان !

كانت سمارا قد تخلت للطبيب عن مكانها بجانب شهرزاد لتبتعد وتقف بجانب اياد الذي همس لها انه يفترض به المغادرة فوجوده لايصح لكنها تمسكت بذراعه وهي تنقل نظراتها بين شاهين وهيثم في اشارة لما يمكن ان يحصل بينهما ...

شاهين وهيثم ... الاثنان لم يسلما على بعض لكنهما كان يتواجهان بصمت والغضب يتأجج من نظراتهما معا مع اختلاف اسباب كل منهما ...

كانت شهرزاد قد بدأت تستعيد وعيها عندما قال الطبيب بقلق " يجب ان نعيدها للمستشفى "

هدر صوت هيثم " لن تعود لمشفاك ابدا وقد اوشكت ان تضيعها مني "

عندها انفجر بركان شاهين الذي طال كبته له ليتقدم منه صارخا " انت من ضيعها ! انظر اليها انها حطام بسببك "

تقدم هيثم مزمجرا بغضب بينما اياد سبقه ليعترض طريقه يحاول منع نزاع بين الرجلين

قال هيثم بغضب جامح " اياك ان تتدخل بيني وبين زوجتي ، ساقتلك ان فعلت شيئا كهذا ... "

سخر منه شاهين وقد فقد قدرته على الاحتمال بعد كل ما حدث " تقتلني ؟!! من يراك ويسمعك يظن حقا انك تخاف عليها وتحميها .."

اخذ هيثم يسب ويشتم واوشك الامر ان يتحول لعراك بينما اياد يجاهد لابعادهما عن بعض وحتى الطبيب حاول تهدأتهما وسمارا تتوسل بشاهين وهي تسحبه من ذراعه ...

لكن شاهين كان قد انفجر ليقول هادرا بعنف " زوجتك اوشكت ان تضيع اكثر من مرة بسببك ... هل تعلم انها كانت تذهب للدجالين والمشعوذين علّ احدهم يساعدها لتحصل على قلبك الذي بخلت به عليها ؟ هل تعلم ان آخر مشعوذ لجأت اليه حاول اغتصابها لولا اننا انقذناها في اخر لحظة ؟ هل تعلم انها تجاهد لتبدو افضل في نظرك عسى ولعل ان تمنحها بعض التقدير والاحترام وربما .. بعض الحب ؟ وانت ماذا فعلت ؟ تخونها مع ابنة عمها !! من اية طينة انت يا رجل ؟!! لقد حطمتها ودمرتها .."

كانت عينا هيثم على اتساعهما وهو يسمع كلمات شاهين النارية ، تجمدت كل عضلة فيه وهو يحدق في عيني شاهين الهائجتين ...

فجأة جاء صوت شهرزاد باردا ميتا كما لم يأت من قبل " انظر الي هيثم ... هذا ما حولتني اليه ... هذا ما اصبحت فيه لاجد نفسي من اجلك ومن اجل ان ارضيك ! "

التفت هيثم بنفس الجمود لينظر اليها بصدمة اكبر ! كانت قد وقفت على قدميها واخذت تخلع العباءة السوداء لتكشف عما ....ترتديه ...!

لم يرها يوما ترتدي ملابس كهذه ولا صففت شعرها بهذه الطريقة ! يا الهي .. ماذا فعل بها !!؟

قالت بجمود وعينين قاسيتين " على قدر ما احببتك طيلة حياتي على قدر ما كرهتك ... "

قلب هيثم كان ينخلع من مكانه بألم لايحتمل بينما شهرزاد تضيف بنفس القسوة " طلقني هيثم والا اقسم سأقتل نفسي امامك ... والآن !"

الفصل العاشر

قلب هيثم كان ينخلع من مكانه بألم لايحتمل بينما شهرزاد تضيف بنفس القسوة " طلقني هيثم والا اقسم سأقتل نفسي امامك ... والآن !"

انفاسه تعلو وتهبط في صدره وعيناه لاتفارقان عينيها .. تلك القسوة المطلة من عينيها قتلت شيئا فيه !

اقترب بحذر وهو يقول بصوت مخنوق " اهدأي شهرزاد ... سنحل الامور .. فقط اهدأي واسمعيني "

عيناها اتسعتا بنظرة مشتعلة ، نظرة لن ينساها طوال حياته .. نظرة أمرت قدماه بالتوقف عن الحراك فتجمدتا مكانهما ...

قالت بنبرة تفيض اصرارا اذهله " الطلاق ... امنحني اياه ... ان لم تمنحني اياه الآن فأنا ميتة لامحالة ! فهل تريدني جثة هامدة ؟! "

التمعت عيناها بدموع القهر والغضب وهي تكمل " لااحتمل هذا الظلم ... لم اعد استطيع التحمل ... اذا بتُّ الليلة على ذمتك فالموت اهون علي ..."

ارتعش هيثم وهو يشعر بانفلات كل الخيوط من يده ليقول لها بلا تصديق " لايمكنك طلب هذا مني .. لا استطيع ... "

فجأة صوتها اصبح ينضح أسى وهي تهمس بعذاب لايطاق " لمرة واحدة في حياتك امنحني شيئا اريده .. ! لمرة واحدة عاملني كانسانة تراها وترى ما تشعر به ... ما تحتاجه لدرجة الموت من اجله ... لمرة واحدة قدم لي شيئا حقيقيا .... اعتبره تعويضا عن كل ما استحقيته منك وبخلت به علي "

هي من اقتربت منه هذه المرة لتهمس بغضب وهي تضرب على صدرها " لن احتمل نفسا آخر يدخل صدري دون ان افعل شيئا لانقاذ روحي من هذا الجحيم ، طلقني هيثم ... حررني من الألم والانكسار ... دعني لمرة واحدة اشعر بأني املك نفسي .. دعني اطبطب عليها واداويها ... ان امنحها ما بخلتم به جميعا عليها ... التقدير ! "

في تلك اللحظة بالذات خرت دموعها على وجهها الملطخ بمساحيق التجميل! في تلك اللحظة بالذات شعر هيثم بما لم يشعر به في حياته نحو اي امرأة .. نحو اي انسان !... انه يعشق شهرزاد بكل ذرة من كيانه ... يعشق كل شيء فيها ... يعشقها ولايحتمل فقدانها ... لايحتمل ... يتعذب لعذابها و يتمزع توقا لملامستها .. يموت رغبة لضمها لصدره واخفائها بين جنبات روحه .. ان يقول ... ان يقول .. انه .. آسف ... آسف لانه كان حقيرا انانيا مترفعا عن الاعتراف بحاجته اليها ...

آسف لانه حطمها هكذا .. وحطم قلبه معها

.... همس في سره وهو يلاحق بعينيه دمعاتها

" انا من سيموت دونك شهرزاد ! "

رفع يده واوشك ان يلامس خدها لكن ذلك

الانكماش المشمئز من ملامحها دحره

وبشكل ما ... اذله....!

ادرك انه سيخسرها للابد ان لم يمنحها ما

تريد وهذا .. اوجعه بل مزقه الوجع ..

اعاد يده جانبا واطال النظر اليها ليهمس

بصوت أجش " فقط لاجلك ..سأفعل هذا ..."

صمت للحظة واحدة قبل ان يلفظها من فمه "

انت .. انت طالق ... "

اسبل اهدابه يعتصر قبضتيه بينما سمارا

شهقت بصوت مسموع وحركة اقدام متوترة

خلفه ثم تنهيدة راحة اطلقتها شهرزاد ببطئ

شديد ... بطئ جلده بالسياط !

باباء اجاد رسمه التفت متجاهلا الرجال

الثلاثة ليتوجه نحو سمارا دون غيرها ، كان

يقارع ثورة محتدمة في داخله تدفعه ليحطم

كل ما حوله ، واول شيء يحطمه هو هذا الـ

(شاهين) الواقف بجمود جنب سمارا ...

قال لسمارا بنبرة لاوصف لها " خذيها عندك

.. فليس لها احد غيرك الآن .. فقط ..لبعض

الوقت ..وأنا سأتدبر الامور فيما بعد ..."

عاود الالتفات وتحرك موشكا المغادرة

عندما تلكأت قدماه ليقترب من شهرزاد التي لاتزال على وقفتها المحطمة لاعصابه ، تقف بنوع غريب من الشموخ والراحة رغم جسدها المرتجف وعينيها المسبلتين ! انحنى ارضا ورفع العباءة التي اوقعتها عن جسدها قبل دقائق ليعاود وضعها بحذر حول جسدها دون ان يسيطر على رعشة يديه ....

القى نظرة اخيرة على جمودها الشامخ هذا ثم .. غادر ... وتركها هناك .. في عهدة غيره ولو ظاهريا !

غيره ... من قد يسلبوها منه .. الى الابد ...

بعد اسبوع

ليلة حفل تخرج هديل ..

كانت هديل ترتدي فستانها بحماس فاتر ! عيناها شاردتان ونبضات قلبها تتلكأ بين التسارع لقدومه معها الليلة وبين التباطؤ في شعور بالخذلان (هو) بالتأكيد مصدره !

اغلقت ازرار فستانها العنابي من الخلف ووقفت امام المرآة تتطلع لوجهها الذي لم تبدأ بتزيينه ...

همست بشجن لصورتها المنعكسة في المرآة "
ما هذا الحب الذي لايكف عن ادعاء الموت
ليسكن ألمي وانساه ثم فجأة تعود له الحياة
فيتنفض بانتعاش جديد واشراق ابهى ! ليعود
اقوى من ذي قبل ... ! "

غامت عيناها وهي تكمل بهمس حزين " كل
هذا وانت لاترى يا شاهين ... كل هذا وانت
لاتشعر بمن يموت ويحيا لاجلك ... وبك .."

مدت يدا غير ثابتة لتلتقط احمر الشفاه وهي
تقول باختناق مرير " ماذا تمثل لك تلك
المرأة ؟! كلما اتيت لزيارتنا لاتكف عن
ملاحقتها بعينيك .. ولمعة غريبة لرؤيتها
وفرحة لاتخفيها اذا اشرق وجهها الحزين
بابتسامة صغيرة .."

مررت هديل احمر الشفاه على شفتيها
الممتلئتين وهي تقاوم رغبة ملحة بالبكاء ،
لم تشعر بهذا حتى عندما اوشك ان يتزوج من
لمياء ، كانت تتألم نعم ... الألم كان يقتلها
كل ليلة ... لكن هذه المرة الألم مختلف ...
ألم نابع من قلب اليأس ... اليأس انه .. انه ...

اسندت يديها على حافة منضدة زينتها تقاوم
الدموع التي تجمعت في عينيها بينما شفتيها
المغريتين تهمسان بأسمه " شاهين ..."

دخل شاهين بعد ان فتح له والد سمارا الباب ،
منذ اسبوع وتنتابه حالة جديدة من فرح غامر
كلما جاء لبيت سمارا ، انه مدرك .. مدرك
لدرجة الألم ان ذلك الفرح يلازمه منذ تلك
الليلة ليتوهج في اقصاه عندما يأتي هنا حيث
هي ! ... هي التي اصبحت حرة ! وحريتها
اعطته حرية ... لكن حرية مربكة لعقله
ومشاعره على حد السواء ...!

اعطته (حرية ان يشعر نحوها) ولايضطر لقمع
شعوره قد يحاول محايلته ..ليهدأ... ليصبر ..
لكن لايقمعه !

شهرزاد لم تعد امرأة متزوجة ... شهرزاد حرة !

لكن ... هل هي حرة فعلا ؟! طلاقها حقيقة
لكنه يتغاضى عن حقائق اخرى .. يعلم هذا
.. ويرتبك احيانا عندما تطرق تلك الحقائق
ابواب عقله فيرفض بعند طفولي احمق ان
يفتح لها !

نظرات والد سمارا اليه لم تعجبه فعقد شاهين
حاجبيه وهو يسأله " هل هناك شيء عماه ؟!"

رد والد سمارا وقد بدا كمن يكتم غيظه "
لا .. لاشيء ... لاشيء بنيّ ... تعالى واجلس
شاهين فالفتيات لم يجهزن بعد .. حتى اياد
تأخر "

تطلع والد سمارا اليه بطارف عينه وهو يسبقه الجلوس على احدى الارائك ليقول بغموض " اردت ان اوصيك على هديل يا شاهين ، ابنتي الصغيرة في عهدتك ولن اطمئن عليها الا معك ، لااريدك ان تغفل عنها ابدا ..... الليلة .... "

عبس شاهين قليلا وافكاره حول شهرزاد تتشتت ليقول بجدية " هل ما زالت مصرة على ارتداء نفس الفستان ؟"

اخفى الاب ابتسامته الماكرة مدعيا التنهد وهو يقول " انها عنيدة كأمها ! "

ازداد عبوس شاهين وحمد الله انه لم يتبع تعليمات سمارا فلم يرتدي ربطة عنق كما اوصته واكدت عليه ، يكفي شعوره بالتحفز بسبب هذه الصغيرة التي تدّعي الكبر والنضوج ! انها صغيرة وستبقى صغيرة مهما قالت او فعلت ...

سمع صوت والد سمارا يقول ببعض الوهن " كنت اتمنى الحضور معكم لكني انام مبكرا في العادة كما اني مرهق الليلة بشكل خاص والحمد لله شهرزاد معي تؤنسني حتى موعد نومي "

ابتسم شاهين وارتعشت شفتاه رغما عنه وهو يفكر كم هو محظوظ والد سمارا ! لكنه دارى مشاعره بأن مال ناحية والد سمارا ليشاكسه غامزا " ها انت تتدلل علينا مرة اخرى مستغلا ان شهرزاد لاتعلم بمقالبك الصغيرة السابقة فتدعي التعب لتحصل على الدلال منها "

عبس الاب زاجرا اياه " تأدب يا فتى ! .. بل انا افعل هذا لاجلها فهي لاتغادر الشقة ابدا فمن كان سيبقى معها هذه الليلة ؟؟ "

ابتلع شاهين ريقه بصعوبة ليتنحنح سائلا بلهجة حيادية " ألم تستطيعوا تغيير رأيها لتحاول الخروج قليلا ؟ "

اسبل الاب اهدابه ليخفي تعابير عينيه وهو يقول " انت نفسك لم تفلح باقناعها رغم كل محاولاتك وانت تستعين بسمارا احيانا "

اكتنف شاهين شعورا بالاحباط ، فمنذ تلك الليلة وشهرزاد التجأت للتمسك بحالة تقوقع غريبة ، ترفض الخروج .. ترفض التكلم بالموضوع ، ترفض الذهاب للعمل ... واغلب الوقت الذي يكون فيه هنا تعتكف في غرفة سمارا .. وفي المرات القليلة التي رآها فيها تكتفي بنظراتها التي انطفأت لتقول بصوتها الشجي (امنحوني بعض الوقت لاستعيد قوتي فقط وارتب افكاري)

صوت والد سمارا اخرجه من استغراقه بالتفكير وهو يقول " انها تقضي النهار تجالسني في الشرفة تستمع الي دون ملل او تقرأ لي الصحف عندما تضيع مني نظاراتي ، ثم تقضي باقي اليوم تعمل في المطبخ فتكسر بعض الصحون والاقداح لتأتي الي معتذرة كطفلة مرتبكة "

تنهد الاب بينما شاهين يكتم تنهيدته ليكمل والد سمارا بحنو " انها فتاة شديدة الرقة ولطيفة ، هادئة وحنونة "

ثم فجأة تطلع نحو وجه شاهين مباشرة ليقول بنبرة غريبة " انا واثق ان زوجها سيعيدها اليه فمثلها لايمكن خسارتها " ثم اضاف بابتسامة ماكرة " خصوصا عندما تُكن لزوجها الحب "

ضاق صدر شاهين بكلام والد سمارا ووجد نفسه يقف على قدميه يرفع يده لرقبته وهو يتنحنح مخفيا هذا الضيق بصعوبة ليقول " اين سمارا ؟ ومتى سيحضر اياد ؟ "

اتسعت ابتسامة الاب وهو يقول " سمارا تعد نفسها لاستقبال خطيبها "

ضحك شاهين رغم ما يعتمل في نفسه من مشاعر متقلبة ثم قال بلهجة مستفزة " انت لاتكف عن مناداته بـ(خطيبها) ؟! "

فرد الاب بملامح براءة مصطنعة " وماذا اسميه اذن ؟!! خطيب مع وقف التنفيذ ؟!! انه معنا يوميا وهي تكلمه باستمرار على الهاتف وتهتم بكل ما يخصه ... ببساطة انضم للسرب ! اقسم انهما يبدوان كزوجين وليس مجرد خطيبين فقط ! "

ضحك شاهين عاليا بينما الجرس يدق فغمز شاهين قائلا " يبدو ان (خطيب مع وقف التنفيذ) قد حضر .."

كانت مرتبكة ! مرتبكة كمراهقة سخيفة وهي قد تخطت الثلاثين منذ أشهر !

نظرت لفستانها الاسود اللامع ووجنتيها تنافسان لون شعرها حمرة ! عضت شفتها السفلى باضطراب وهي تتذكر ضحكات شاهين قبل ذقائق معدودة والتي اعقبت قرع الجرس ثم صوته المرحب باياد وهو يفتح له الباب ..

لقد تلصصت على دخوله وهي توارب باب غرفتها قليلا ورأته ببدلته السوداء الانيقة ..

وما ان تحرك راسه باتجاهها حتى سارعت لاغلاق الباب بينما شهرزاد تبتسم بجذل دون ان تعلق بشيء ...

تطلعت سمارا عبر مرآتها لشهرزاد التي تجلس على السرير مستندة بظهرها على الوسادة خلفها بينما تمسك احد الكتب باللغة الفرنسية لتقرأ فيه ..

لقد فقدت بضعة كيلو غرامات من وزنها وبدت شديدة الهشاشة وهي ترفع شعرها هكذا كذيل حصان ، ترتدي منامة قطنية بيضاء بخطوط رفيعة زرقاء ، ورغم ان المنامة محتشمة جدا لكنها جعلتها تبدو مغرية بطريقة عجيبة ...!

غامت عينا سمارا وهي تفكر باشفاق " كيف يمكنني ان امنع شاهين من الغرق فيك اكثر واكثر يا شهرزاد ... ؟!!

كيف سأحميه من مشاعره نحوك وانفصالك عن زوجك قد وارب الباب لتلك المشاعر؟! "

ثم اخذتها الافكار لشهرزاد نفسها ، فمنذ ان احضرتها لشقتهم في تلك الليلة العصيبة وشهرزاد تركن الى هدوء وسكون شديدين .. انها لم تبكي الا اول ليلة فقط ! ظلت تبكي طوال الليل وسمارا تضمها لصدرها بقوة حتى غفت تماما مع خيوط الفجر ....

لم تعرف ان كان عدم بكائها بعد ذلك صحي ام لا ؟ عدم ذكرها لاسم زوجها ايضا يثير قلقها ... وكأنها ... لاتريد ذكره حتى تمنع ألما لاتطيقه !

لقد تحدثت سمارا مع الطبيب وهو اخبرها ان تتركها تفعل ما تشاء وتتكلم وقتما تشاء وان تحاول اشغال عقلها بامور تحبها وحثها على الخروج والعمل اذا ابدت رغبة بذلك ...

همسة شهرزاد الناعمة اخرجت سمارا من تسمرها المضحك " سمارا ... لاينفع تهربك من اياد اكثر من هذا ... دعيه يرى كم تبدين خلابة الليلة ..."

ضحكت سمارا تخفي خجلها الذي طال سجنه في اقصى خزانة مشاعرها ! لقد اجبرت هذا الخجل على التراجع عبر سنيّ عمرها الماضية لتتلبس حلّة النضوج والحكمة والسيطرة على الامور ...

عاودت شهرزاد همسها المغيظ " التقطي حقيبتك يا جبانة وواجهي خطيبك .."

عقدت سمارا حاجبيها لتلتفت نحو شهرزاد قائلة بغيظ " انه ليس خـ..."

قاطعتها شهرزاد وهي ترفع رأسها عن الكتاب لتقول بابتسامة رقيقة " بل انه خطيبك سمارا .. وانت تحبينه كما يحبك .. "

عينا شهرزاد الجميلتان انجرحتا بلمعة الألم وهي تضيف بتحشرج مختنق

" لاتضيعيه سمارا ... والا فأنت لاتقدرين معنى ان تحظي بالحب الحقيقي .. بالاحترام .. ان ...

ان يتمسك بك هكذا ولايستطيع ان ينساك مهما مرت السنون ..."

تلاشى عبوس سمارا تدريجيا متطلعة لشهرزاد وهي تشعر بألم لألمها ... اقتربت منها لتجلس على حافة السرير وقالت بحنو " انه... لم يكف عن الاتصال .. لم يكف عن الاطمئنان عنك .. اقسم انه .. هو الآخر يتألم و..."

في لحظة انغلقت شهرزاد على نفسها وانطفأت نظراتها كما يحصل لها كثيرا خلال الايام السابقة لتتجاهل سمارا تماما وهي ترفع كتابها قليلا مدعية العودة للقراءة ...

تنهدت سمارا وهي تعاود الوقوف على قدميها لتتحرك نحو منضدة الزينة وتلتقط حقيبتها السوداء اللامعة الصغيرة والتي لائمت فستانها لتغادر الغرفة وهي تودع شهرزاد ببشاشة قائلة " سهرة ممتعة مع المشاكس الكبير ولاتهلعي اذا اصابته نوبة قلبية فقد اعتاد على اثارة جنوننا بافعاله هذه وانذاراته المشاكسة..."

ضحكت شهرزاد بخفة وهي تقول " لاتقلقي .. انا اجيد الهاءه عن التفكير بأي نوبة ! "

فتحت سمارا باب الغرفة لكنها تلكأت قليلا لتدير وجهها نحو شهرزاد وتقول " غيري ملابسك عزيزتي اذا اردت القاء التحية على شاهين و.. اياد ..؟"

توردت وجنتا شهرزاد لتقول " لا .. انا .. "

صمتت شهرزاد بعجز بينما همست لها سمارا بتفهم " شاهين لن يحرجك شهرزاد ، انه رائع ويجيد تفهم من امامه ..."

اغتاظت سمارا وهي تعنف نفسها في سرها " ماذا تفعلين يا حمقاء ؟! تمتدحين شاهين امامها ؟!! الايكفي الشحنات الكهربائية التي تملأ الاجواء حالما يجتمعان ؟!! هو هائم بها وهي هائمة في ملكوتها الخاص ! لكن .. بطريقة ما .. ملكوتها لايخلو من شاهين ! "

قالت شهرزاد وهي تلاعب باناملها اوراق كتابها بارتباك لتقول بصدق " انا احاول سمارا .. احاول جهدي .. وانا لااتجنبه .. دائما .. اعلم انه لن يقول .. ما يذكرني بما حصل .. تـ..لك الليلة .. لكن .. احتاج لمزيد من الوقت .. انا .. اشعر .. اني ..انتقلت فجأة لعالم اخر .. احاول اعتياده .. لانه سيكون عالمي الحقيقي .. عالم اختاره بنفسي سمارا .."

اكتفت سمارا بالابتسام وهي تودع شهرزاد تاركة اياها لكتابها ... لشتاتها المبعثر وهي تلملمه بشجاعة وتأنٍ ....

حالما غادرت سمارا الغرفة اغلقت شهرزاد الكتاب بهدوء شديد ووضعته بجانبها على السرير .. ارخت ظهرها على الوسادة خلفها واغمضت عينيها لتعزل نفسها مؤقتا عن محيطها ...

تحتاج للانعزال لتستعيد بعض التوازن ، ان الانتقال صعب .. صعب .. يجعلك تشعر بالخوف الشديد .. يجعلك تواجه المجهول بكل احتمالاته .. يجعلك تحسب لكل خطوة تخطوها الف حساب ..

فيما سبق بل وطوال حياتها لم تفكر يوما بخطواتها بل كانت تترك القرار لغيرها دوما .. الامور كانت واضحة او تخيّل لها انها واضحة .. تسير في طريق مألوف ومخطط بشكل مسبق وبانسيابية كسولة مريحة ...

عينان زرقاوان اجتاحت خلوتها مع نفسها على حين غرّة ! ففتحت عينيها على اتساعهما وشحب وجهها بينما تزم شفتيها وهي تهمس بقسوة " حتى لو اقتحمت عالمي فلن تجد ما تريده فيه ! لن تجدني .. ابدا ..."

وباصرار فتحت كتابها لتعاود القراءة ، عيناها تفرضان على عقلها قراءة الكلمات والانغماس في معانيها ...

همسة متحشرجة خرجت من بين شفتيه " يا الهي " بينما عيناه تطوفان عليها من اعلى رأسها المتوهج بحمرة شعرها حتى اخمص قدميها المتلكئتين في الاقتراب منه ...

تذكرها ليلة عودته من السفر وخروجها اليه بزينة وجه مميزة وشعر متألق ! تلك الليلة وللحظة .. للحظة فقط.. خدع نفسه ببلاهة انها علمت بوصوله وتجمّلت لاجله !

همسات اخرى لاعبت عقله وهو يتمالك نفسه ليصافح يدها الممدودة اليه " متى ستشعرين بي يا سمارا ؟ متى سترحمين قلة صبري وشوقي الى قلبك .. شوق اضناني لاضمه بينما جنبات روحي بينما اخطو نحوك كخطوات الطفل الاولى .. خطوات يعثرها الخوف وليس عدم المقدرة ! "

تنحنح شاهين المبالغ فيه والمتعمد بشكل واضح اثار غيظ اياد وجعل وجنتي سمارا تشتعلان احمرارا لتعقد حاجبيها بعناد وتزم شفتيها الحمراوين ...

سحبت يدها من يد اياد وهي تطأطئ رأسها وتقول " مساء الخير اياد .."

قال لها بمرح رقيق " مساء الخير يا حمراء "

رفعت عينيها اليه لتلومه بهمس " لاتناديني حمراء باللّه عليك .. شاهين سيعذبني لاشهر بهذه الكنيّة "

ضحك اياد بخفة بينما يناظر شاهين وبدلا من ان يلقي تعليقا مرحا صمت وهو يتتبع بدهشة نظرات شاهين نحو القادمة الجديدة .. نظرات اطلت من عينين مرتابتين .. متحفزتين !

تطلع شاهين لهديل بغير رضا ! لاينكر انها بدت .. بدت جميلة .. اكثر مما يجب ! ماذا تفعل هذه الفتاة بارتدائها لهذا الفستان الضيق !؟ ولونه العنابي اظهر لون بشرتها البيضاء المشربة بالحمرة .. عيناها بدتا واسعتين بطريقة تقلق حس الحماية لديه وشفتاها ... يا الهي ! تبدوان ..... تبدوان ...

اخذت هديل تتطلع بحرج للوجوه المحدقة فيها متجاهلة بنفس الوقت وجها محددا بدا عابسا مما جعلها تشعر بالاختناق !

قالت بابتسامة مرتعشة وهي تغالب احساسها بالحرج " حسنا ... لاتصمتوا جميعا هكذا ! اخبروني ... كيف ابدو ؟"

الاب بدا فخورا وهو يقول " حلوة كفاكهة الصيف المنعشة حبيبتي .."

ازداد عبوس شاهين وهو يتطلع لوالد سمارا بينما قالت سمارا ببشاشة مخفية دهشتها من عبوس شاهين الصامت " تبدين فاتنة يا جميلة الملامح "

حتى اياد علّق بحنو " لم ارك يوما اجمل من هذه الليلة عزيزتي .."

صمت شاهين بدا محرجا للجميع بينما تطلعت الوجوه اليه فاسبل اهدابه وملامحه تسترخي بغموض ليقول ببساطة " تبدين جميلة .. " ثم اضاف وهو يتطلع لاياد " هلا ذهبنا الآن .."

تمتمت هديل بشكر مخنوق بينما في داخلها تهمس وهي تقاوم دموع الاحباط " ما الذي ترفضه مني حقا يا شاهين ؟! ما الذي يصعب عليك رؤيته ؟! كم اتمنى ان اعرف ! "

التزمت هديل الصمت طوال رحلة الذهاب بينما بالغت سمارا في ثرثرتها لتغطي على حدسها المرتبك الذي التقط اشارات كثيرة الليلة .. اشارات احتارت في تفسيرها .. وربما احتارت في قبول بعض التفاسير غير المنطقية !

ما ان اوقف اياد السيارة في المرآب التابع لقاعة الاحتفالات حتى اخذ يتطلع حوله يراقب توافد الخريجين مع اهاليهم واصحابهم ...

قال بتساؤل " يبدو ان شاهين تأخر قليلا في زحام الشوارع !"

ردت سمارا بمرح " بل صدقني سلك الطريق الاطول ليتجنب الزحام ! انه لايطيقه .."

التفت اياد فجأة نحو هديل التي تجلس خلف اختها ليقول بابتسامة " عزيزتي هلا سبقتنا بالدخول ؟ سنلحق بك خلال دقائق .. اريد ان اكلم سمارا قليلا .."

ابتسمت هديل بشرود بينما تهز رأسها ايجابا وتفتح عتلة الباب لتترجل من السيارة ..

توتر اخرس سمارا ! جعلها للحظة تفقد ابتسامتها وبعض الشحوب يتسلل اليها رغما عنها وهي تشعر فجأة انها بمفردهما هنا! بمفردهما اكثر من اللازم !..

تطلع اياد ليديها المعقودتين في حجرها ليهمس ببعض الالم المكبوت من جرح قديم غائر " هل يخيفك بقاؤك معي في هذه العزلة ؟"

اطرقت برأسها قليلا لتهمس " لا ... لااعلم .. ربما .. ابدو غبية لك .. لكن حقا لااعلم ما اشعر به بالضبط .."

تنهد بنعومة ليقول برقة " حسنا فهذا هو الوقت المناسب لاطلبها .. اريدك ان .. تسامحيني سمارا .. اقصد ان تسامحيني على ما فعلته منذ سبع سنوات .. احتاج لمسامحتك جدا ، لقد عانيت من الشعور بالذنب لفترة طويلة .. الا استحق الغفران ؟؟ "

صمت قليلا ليضيف ببعض الرجاء " يجب ان اسامح انا الآخر نفسي يا سمارا وهذا لن يحصل اذا لم تسامحيني انت ، هذا يوترني .. في التعامل معك ويجعلني حذرا في كل خطوة بشكل مبالغ فيه .. ما حصل كان .. غلطة .."

رآها تتوتر اكثر فقال بحشرجة وهو يحاول ان يفسر نفسه " كنت في السادسة والعشرين في فورة الشباب ومشاعري متأججة نحوك .."

ابتلع ريقه وهو يراها تغمض عينيها ليكمل بقلق " اقسم انه ليس من طبعي فقدان السيطرة ابدا لكني .. كنت .. متألما .." ثم لان صوته وهو يهمس " مشتاقا اليك منذ سنوات .." لينهي همسه بحرارة " محتاجا للتواصل معك بأي طريقة ! ..."

تجرأ ليمد يده ويضم بحرارة كفه يديها المعقودتين ، شعر بارتجافة جسدها وادرك محاولاتها المستميتة حتى لاترفضه ..

تملكته بعض الراحة ليهمس بنعومة " انظري الي .. فقط اجعليني اشعر انك مطمئنة معي ولا اتخيل الامر !.."

بتردد واضح فتحت عينيها لتتطلع اليه ، ذابت نظراته عشقا وهو ينظر لحدقتيها اللامعتين فقال بصوت مبحوح " انا احبك .. دوما احببتك وسأظل ...."

كان يلامس يديها برقة بينما يراقب ملامح وجهها المرتبك لتسقط نظراته على شفتيها الجميلتين فتسحره بالهمس باسمه " اياد ... اياد ... انا .."

لكنها ..صمتت .. وقلبه يضج بالشكوى المر لصمتها .. رغم ذلك ابتسم لها ليقول بتفهم " لست مجبرة لقول شيء الآن "

ثم مرر ابهامه على ظاهر كفها قبل ان يبعد يده ليمدها نحو حافظة السيارة الداخلية التي تتوسط الكرسيين فيفتحها ويخرج منها علبة صغيرة وبينما هو يفتحها كانت سمارا تتساءل " ما هذا ؟! "

ابتسم اياد وهو يلتقط الحلقة الدائرية الرقيقة والمرصعة بحبات لؤلؤية ناعمة جدا فقربها منها وهو يقول بعينين لامعتين " ارتديه .. لاجلي حبيبتي .. انه .. خاتم الخطبة هذه المرة .. "

كانت سمارا تنظر برهبة للحلقة التي امسكها بين سبابته وابهامه ، اكمل اياد وهو يحاول ان يكبت خوفه من رفضها " لقد استأذنت والدك لامنحه لك الليلة ، اما بالنسبة لي فخاتم الخطبة الفضي دوما في جيبي .. اشتريته منذ تلك الليلة التي طلبتك فيها للزواج .. مرة ثانية... عشت على الامل ان ارتديه في اي لحظة ..."

بقلب خافق رآها تمد يدها بارتعاش لتأخذ الخاتم من يده وبتردد بسيط وضعته في بنصرها الايمن ...

دون ان تنظر نحوه قالت بهمس مرح وهي تتلاعب بالخاتم في بنصرها " ارتدي خاتمك لنلحق باختي المجنونة "

للحظات طوال عجز عن الاتيان بشيء غير النظر مسحورا ليديها ! انه لايصدق .. لايصدق .. لم يعلم كيف طاوع لسانه رغباته المحترقة ليقول بصوت أجش " الا احصل على قبلة مباركة ؟! "

تجمدت حركة يديها ليسارع بالقول " فقط قبلة على ... يدك ... انا ..."

تنهد بقوة قبل ان يقول بتوتر " سمارا انا لم اعد صغيرا يافعا .. وقد مررت بالكثير واحتاج الى هدنة معك .. احتاج ان نتصرف بشكل طبيعي كراشدين ونطوي صفحة ما حدث بيننا والى الابد "

تزايد توتره فتباعد عنها ليطفئ سيارته وهو يقول بتشنج واضح " لابأس .. دعينا نلحق بهديل .."

امسكت بيده قبل ان يخرج المفتاح من مكانه فالتفت بقوة نحوها ليراها متوهجة بالحمرة تبتسم بارتباك وهي تهمس له " تستطيع .. ان تبارك لي ... لنا معاً..."

اعادت اليه روحه بموافقتها ليمسك كفها الناعم يرفعه لشفتيه ، لم يكن يعلم هل هي من ترتعش ام هو ! لكن لايهم .. ما يهم ان شفتاه تذكرت ملامسة بشرتها ... مرة اخرى ... بعد كل هذه السنوات ...!

تضحك مع زميلاتها وتصفق بمرح صاخب واحيانا تصفر بحماسة وهي تضع اصبعيها بين شفتيها اللتين اكتشف اكتنازهما الملفت الليلة فقط ! هي كلها بدت كتلة من الجمال البريء الذي يجب ان يحاوط بسور بل .. اسوار من الحماية !

انتقلت عينا شاهين لتعاودا استكشافهما الغاضب للمدعو زيد ، كان الشاب يقف في اقصى القاعة ومعه زمرة من زملائه يتضاحكون ويهرجون ومنهم من يرقص بحماسة لكن زيد كان بعيدا عنهم وعيناه الخضراوان تراقبان هديل بشغف يعجز عن اخفائه بينما ابتسامة مفتونة تشق شفتيه !

سحق شاهين فكيه ويداه متقبضتان بتحفز على جانبيه وهو يكاد يتمنى اي فعل من ذلك (الدنيء) ليعطيه اشارة خضراء حتى يحطم اسنانه الناصعة البياض هذه !

صوت سمارا جاءه مغتاظا وهي تقول قريبا من اذنه " تعال واجلس معنا شاهين ! ما الذي تفعله بوقوفك المتحفز هذا ؟!! "

دون ان تترك عيناه حركة المراقبة المتنقلة بين هديل وزيد قال لسمارا من بين اسنانه " (الدنيء) لايريحني الليلة سمارا ! "

قالت سمارا بحنق " لاتبالغ شاهين ! ماذا بامكانه ان يفعل مثلا ونحن معها ؟!! "

ثم اضافت بعبوس " لقد اصبحت مهووسا بفكرة الدنيء هذه ! " تأففت وهي تكمل " كله بسببي انا .."

كان دور شاهين لينظر لسمارا بعبوس " انت التي لاتفهمين عندما شاب مثله تحكمه مشاعر قوية نحو فتاة تعجبه هكذا ! يصبح خارج نطاق السيطرة على نفسه .. هذا اذا اراد اصلا محاولة السيطرة .."

احمرت سمارا وعيناها عفويا حادتا الى حيث يجلس اياد والذي اخذ ينظر اليها الآن ، تتبع شاهين نظراتها فقال متنهدا " آسف فأنت اكثر من متفهم للحالة نظرا لتاريخك السابق مع اخضر العينين رقم اثنين !! "

عنفته ووجهها يتخضب بحمرة قانية " الا تكف عن مزاحك المشاكس هذا ؟! " ثم اضافت بحنق شديد " ولعلمك هناك امر لم اخبرك به تحت ضغط والحاح هديل ، لكني مضطرة لاخبارك حتى لاتظن ظن السوء اكثر من هذا ، يجب ان تعلم ان زيد يريد الزواج منها لقد اخبرها بوضوح برغبته هذه ، ولااعتقد رغبة الزواج تندرج تحت بند الدناءة ابدا "

لاتعلم ما الذي حصل له وهو يسأل بجمود غير مفسر " هل انت جادة ام تحاولين اغاظتي بمزحة ؟! "

تنظر لملامحه و لاتفهمه ! ام ربما العلة فيه وليس في قدرتها على فهمه!

قالت وهي تضيق عينيها بتفكير " انا جادة شاهين ، زيد فعلا طلبها للزواج "

بعد لحظات صمت وسكون سأل بنبرة غريبة " وماذا قالت له ؟" ثم اضاف ببعض الشرود وهو يعاود التطلع نحو هديل " انها صغيرة ! "

اربكها اكثر وتشوشت فعجزت عن سرعة الرد بينما يضيف بصوت ثابت " لقد رفضته اليس كذلك ؟"

لاتعرف كيف ردت ببساطة " نعم .. رفضته !"

بعد انهائه لتلك المكالمة المهمة وضع هاتفه النقال في جيبه ليتحرك نحو تلك الخزانة الزجاجية الانيقة حيث يحتفظ باغلى المشروبات ترحيبا بأي ضيف ..

تناول كأسا كريستاليا ثم سحب احدى الزجاجات الفاخرة ليصب القليل من الشراب في كأسه ثم رفعه لشفتيه متذوقا منه بتمهل بينما يفكر" قد يكون حامل الرسالة قاسيا بعض الشيء لكن الرسالة اهم وهي تصلك شهرزادي عن طريقه ، فيبقى له تأثيره الخاص عليك ! " غامت عيناه وهو يهمس " كل شيء مباح حبيبتي في الحب والحرب ... ولن اصبر اكثر حتى ابدأ بخطواتي نحوك لاستعيدك .. لقد اعطيتك الوقت بعيدا عني لتهدأي ، منحتك الطلاق بشكل مؤقت فقط لاجل ان تشعري باسترداد كرامتك التي اهدرتها دون قصد او نيّة ! "

قست نظراته ليزم شفتيه قبل ان يقول " لكن الامور يجب ان تتغير .. يجب اولا ان اخرجك من هناك وبعدها اضغط عليك بطريقتي وانا واثق ان حبك لي اقوى من اي شيء وسيجعلك تغفرين وتنسين بشاعة ما حصل .. " تنهد وهو يضيف بصوت أجش " سافعل المستحيل لادفعك نحو الغفران ..لم اعد اطيق بعادك شهرزاد ... لم اعد استطيع الاحتمال .."

تحركت قدماه تعيدانه لكرسيه الجلدي ليجلس عليه باسترخاء مخادع ! فهو ابعد ما يكون عن الاسترخاء .. ابعد ما يكون عن اي نوع من انواع السكينة او الراحة ...

ارتشف المزيد من كأسه ثم ابعده قليلا ليضعه على سطح مكتبه ..

الانارة الوحيدة للمصباح المنضدي امامه اضفت على السائل تدرجا ساحرا بالوان العسل ..

ابتسم بجذل بينما يهمس وعيناه تبرقان بنظراتهما على الكأس " انه لون عينيك عندما تقولين (احبك هيثم) ! "

تلبدت عيناه بالعاطفة وذهنه يشرد منه لكل تفصيلة يحفظها منها ، عيناها .. شفتاها الشديدتي الرقة .. بشرتها الخمرية الساحرة .. شعرها الذي لم ير في حياته شيئا اكثر نعومة منه ... انعصر قلبه وهو يهمس بشجن " بل ان النعومة الحريرية تفيض من كل جزء منها ، جسدها وروحها على حد السواء "

تشنجت يده على كأسه ليرفعه مرة اخرى قريبا من فمه ولكن قبل ان تمسه شفتاه همسها اتاه من حيث لايدري (لااحب ان تشرب الخمر !)

اعتصر الكأس بقوة حتى اوشك ان يكسره ! بينما يتذكر رده الساخر لها " ولكنك تحبين كل ما احب شهرزادي ! "

وفي لحظة شعر بالاشمئزاز من الخمر والغضب من نفسه ودون وعي رمى الكأس بقوة ليرتطم بالجدار ويتهشم !

اخذ يضرب بقبضته على حافة مكتبه وهو يهمس بنبرة قاسية تدينه هو دون غيره " لماذا لم اقل لك ببساطة اني لااشرب الا بداعي المجاملة لااكثر ! "

تذكر احمرار الطفولة على وجنتيها وملامحها تعكس احساسها البريء بأنها قالت شيئا خاطئا !

اغلق عينيه متنهدا وهو يرخي رأسه للخلف وافكاره تنحدر لمستوى آخر ...

كيف فعل بها كل ما فعل ؟! كيف جعلها تعاني لهذه الدرجة بينما هو ينأى بنفسه عن التواضع لعشقها له !

لايصدق انها لجأت للمشعوذين يأسا لتحصل على قلبه بينما هو يتمرغ بشعور الاثارة مع نورا تاركا شهرزاد تضيع بمفردها في طرقات وعرة تجهل خطورتها ! لايصدق ان .. ان احد هؤلاء الدجالين اوشك ان يغتصـ.........
ضربة هادرة على مكتبه ليقف على قدميه ويتحرك بعنف على غير هدى ...

فجأة تراءت له صورة شاهين وهو يصرخ في وجهه مفجرا حقائق كثيرة غابت عنه .. حقائق جعلته يتشتت !

حقائق قالها شاهين بلسانه واخرى نطقتها عيناه دون ان يشعر ! اجل ... حدسه المبهم نحو شاهين كان في محله ! انه على يقين ان هذا الرجل يحمل مشاعر خاصة لشهرزاد ..

شتم هيثم بقوة بينما يخرج هاتفه من جيبه وهو يردد بعنف " تمالك نفسك هيثم ، انت قادر على فعل هذا وكل شيء تحت السيطرة ، ما زالت شهرزاد تنتمي اليك وحدك واشهر العدة تضمن لك هذا كما تضمن لك الوقت الكافي لتعيدها برضاها.. لايهم ما يشعر به ذلك الحقير المهم قلب شهرزاد معك فقط ! " اخذ يستعيد هدوءه ببطئ وهو يضغط على بضعة ازرار بينما يهمس لنفسه يؤكد نقطة تقض مضجعه " الطلاق كان ضروريا لاجلها ، اجل .. ضروري جدا ..لاجل ان تشعر باسترداد كرامتها وترضي انوثتها المجروحة .. فقط تحرك بتأن الآن حتى لاترتكب الاخطاء فتخسرها الى الابد .."

كان ينتظر بصبر الرد على الطرف الآخر وفكرة (خسارتها الى الابد) جعلت غضبا باردا يسري في كل كيانه ليهمس بشراسة " لا ! لايوجد خسارة لشهرزاد في قاموسي .. لايوجد .. انها تحبني انا .. تعشقني منذ طفولتها، وانا دون ان اشعر كنت بانتظار لحظة تملكي الكامل لها ..ولن اتنازل عنها الان"

عندها فتح الخط اخيرا وبعد طول رنين ليأتيه الصوت الانثوي قائلا " مرحبا سيد هيثم "

رد هيثم بلهجة هادئة لاتظهر ايّا من انفعالاته " مساء الخير انسة سمارا "

ردت سمارا معتذرة " مساء الخير سيد هيثم ، اسفة اذا اطلت قبل ان ارد عليك فلم اسمع صوت الهاتف "

التقطت اذناه بعض الضجيج المتباعد فقال " عفوا .. هل انت في الخارج ؟"

ردت وصوت الضجيج يخفت شيئا فشيئا " اجل سيد هيثم ، انا في حفل تخرج اختى الصغرى "

خفق قلبه وهو يقول مجاملا بصبر " مبارك لها .." وبينما هي ترد له مباركته كان هو يلقي اليها بسؤال يتوق لاجابته " هل .. هل هي معك ؟"

ادركت سمارا عمّن يسأل فردت بأسف وبعض الاشفاق " لا للاسف ، رفضت المجيء رغم الحاحنا عليها ، لقد فضلت البقاء مع ابي "

كلمة (الحاحنا) بدلالتها على صيغة الجمع جعلته يتشنج بغضب سافر يكبته بتعمد !

صور لاترحم تتوارد لذهنه يرى فيها شاهين يبتسم لشهرزاد يحاول اقناعها بالذهاب ... هذه الصور و صور اخرى تؤرقه ليلا ونهارا .. ولايعلم كيف يستطيع مواصلة سيطرته على نفسه ..

اخذ نفسا عميقا ثم اطلقه ببطئ ليقول بعدها بلهجة غامضة " اريد التكلم معك غدا لو سمحت ، هل يمكنك الحضور لمكتبي "

صمت متردد التقطه منها فاضاف بلهجة مقنعة " ليس لدي وسيلة لتحاور مجدٍ حولها الا عن طريقك ، كنت سأحضر لرؤيتك بنفسي لكن ... انت تعرفين .. بيتك .. لايمكن ومكان عملك .. غير مناسب ..لذلك مكتبي الانسب فسيمنحنا الخصوصية المطلوبة "

تنهيدة خفيفة منها لتقول بعدها " حسنا سيد هيثم غدا عند التاسعة ساكون عندك .."

اغلق الخط بعد القاء تحية الوداع بينما افكاره تقوده لاستنتاجات معينة ستحصل بناء على مكالمته (المهمة) التي اجراها سابقا ... همس لنفسه " في اسوأ الاحوال سيجعلها تتحرك بدلا من سكونها هذا ..."

وفجأة صوت مغو ببحته الانثوية جاءه من عند الباب " هل تعتصم هنا لانها لاتنتظرك في البيت ؟!"

في الجهة المقابلة وبينما سمارا تغلق الهاتف اتاها صوت يكبت حنقه " ماذا يريد ؟ ولماذا لايكف عن الاتصال بك ؟ "

كانت شهرزاد تنصت باهتمام شديد لحديث والد سمارا حول عمله السابق كمسؤول اول عن مصنع لمواد البناء تابع لقطاع الدولة ، يتملكها شعور غير مألوف وهي تستمتع لهذا الرجل المسن الذي تتوهج شعلة عينيه الآن وهو يتكلم بفخر عن انجازاته ،

فخر لايحمل رائحة الغرور وانما نابع من تقديره لتعبه ومسيرته في حياته ...

لكن والد سمارا استغرق في شرح تفصيلات تقنية بحتة في العمل ارهقت ذهن شهرزاد لعجزها عن فهمها ومع ذلك بذلت المستحيل لتفهم ! ليس لاجله فقط بل لاجلها هي ايضا !

شعور غريب يجعلها تعاند لتدفع نفسها لملاحقة كل كلمة يقولها هذا الرجل الطيب و يبذل قصارى جهده ليجعلها تفهم ..

انه شعور نابع من احساسها بالنقص نحو والدها ! ذلك الاب الذي لم يمنحها يوما الا ابتسامة ساخرة ونظرة خيبة امل كلما سألته عن شيء في عمله ...

عنادها تضاعف وشعور بقسوة وليدة بدأت تألفها كجزء جديد أضيف لشخصها ، جزء ينمو وينمو ليأخذ مساحته ويغرز له جذورا جديدة كلما استرجعت طفولتها وصباها ...

فجأة تنبهت لوالد سمارا وهو يقول " عزيزتي .. اعتقد ان هاتفك النقال يرن ! "

تبسمت شهرزاد في وجهه واعتذرت منه لتتحرك نحو غرفة سمارا حيث وضعت هاتفها هناك ، عندما التقطت الهاتف تحجرت عيناها للحظة وهما تحدقان بالاسم المضيء على الشاشة الصغيرة !

ثم كسا البرود القاسي محياها لتضغط بثقة وثبات على زر فتح الخط ثم وضعت الهاتف على اذنها وقالت بنفس البرود " مرحبا ... ابي "

الفصل الحادي عشر

" مرحبا ... ابي " .....

بصوته القوي الذي يبثه عنجهيته وغروره على حد سواء وكأنه يمنحك الشرف لسماعه سأل بصرامة دون ان يرد تحيتها " هل صحيح ما سمعته من هيثم للتو يا شهرزاد ؟؟!! هل تطلقتما حقا بناء على رغبتكِ الحمقاء التافهة ! "

اي طاقة يمنحها غضب طال كبته عبر سني حياتك ليتدارى خلف احترام لشخص تنتمي اليه بكل طريقة وحاجة متعطشة لحنانه يدفعك لاسترضائه على حساب احترامك لنفسك وتقديرك لمميزاتك وذاتك...

طال صمتها لا عن عجز الرد ولكن لتتآلف مع هذا الغضب الذي تهذبّه قسوة باردة ...!

صوته ارتفع بتقريع واضح " لاتجدين ما تردين به عليّ اليس كذلك يا شهرزاد ؟ وكيف تواجهيني بتصرفاتك المتهورة التي تعكس ضعفك وقلة ذكائك لتحافظي على زوج كهيثم الجراح ..."

لاول مرة لاتتأثر بكلماته التي تنضح قساوة من نوع آخر ، انها قساوة الجبابرة المتحجرين بتحجر القلوب التي تقطن الصدور ! يدوسون على اي كائن حي يقررون انه اضعف ولا يستحق الا مصيرا كهذا !! ...

صرخ بها هذه المرة هادرا " ردي علي شهرزاد لاتلتزمي هذا الصمت الخانع الذي امقته ! "

عندها فقط استعادت ذكريات متكررة لصمتها (الخانع) طوال حياتها كلها ... حتى رست بذكرياتها لمشهد تلاحم جسدين ! اتسعت عيناها بنظرة مشتعلة لتقصي بعيدا .. بعيدا ذانك الجسدين حتى تحولا لاشباه ظلال ! عندها هدأت نيرانها وطفا برودها على السطح فقالت اخيرا " الصمت له عدة دلالات والدي ! فالكلمات احيانا قد تخدعك بمعناها الظاهري .."

رد الاب متبرما مستهزئا " ما هذه الفلسفة الممجوجة التافهة ! هل هذا الدور الجديد الذي تتقمصينه الآن ؟ تدعين الحكمة خلف ترهات كلمات رنانة تظنينها صادمة ؟! "

ضحكة قصيرة خافتة اطلقتها ثم قالت بنبرة ساخرة مريرة " وكيف ترى الحكمة ابي ؟! "

قال الاب بصرامة وحزم " الحكمة تقول ان الزوجة هي السبب .. هي المقصرة اذا خانها زوجها ! خصوصا عندما يكون زوجها رجل كهيثم يتعرض لضغط الاغراءات دوما والرجل بطبيعته لايكتفي بأمرأة واحدة ! والحكمة ايضا تقتضي منك ان تتحملي نتيجة تقصيرك معه وتنسي له تلك الغلطة السخيفة التي تسببت انت بها اولا .. " نبرته غلفها الامر وهو يضيف " تنسيها وكأنها لم تكن ! ثم تبدأي معه من جديد "

اصابتها الصدمة ! صدمة مروعة ... لتكتمل صدمتها بينما والدها يقول بنفس الغرور والعنجهيه اللتين تميزانه " لن اتناقش معك بما فعلته تلك الحقيرة ناكرة الجميل نورا لانها ببساطة لاتهمني في شيء الآن ما دام هيثم طلقها ولم يعد يفكر بها .. فهي لاتعدو ان تكون امرأة استهوته لفترة وإن لم تكن هي ستكون غيرها ! المهم الآن ان يعود كل شيء كما كان .. ان تدركي تقصيرك معه وتعودي اليه كزوجة قوية تعرف مصلحتها .. على الاقل ادّعي القوة يا فتاة واتصلي بزوجك اعتذري منه على طلبك الاحمق للطلاق فقد ادرك هو الآخر حماقته عندما وافقك في لحظة انهيارك السخيف ! يا الهي لااعلم ما جرى له لينسى كل المصالح المشتركة بيننا لمجرد انه شعر بالذنب حيالك !!! وماذا ان تزوج باخرى ؟! هل انقلبت الدنيا ؟!! "

كل شيء حولها توقف .. تجمد .. سكن تماما وكأن العالم مات فجأة وليس هناك دلالة على اي حياة الا انفاسها المتحشرجة ألما في صدرها !

ختم الاب كلامه وهو يقول ببرود " انه يريد عودتك بأي وسيلة .. بأي ترضية تحددينها ، اقسم اني صدمت باعترافه انه اخطأ جدا بحقك ! وصدمت اكثر من تمسكه الرهيب بك !! انه مستعد لفعل اي شيء لتسامحيه ... لم اكن اظن انه يراك بهذه الطريقة .. وفي النهاية ما حدث اثبت انك الاهم لديه ..."

ليضيف بسخرية " واعتقد هذا يرضي فيك الجانب الرومانسي الذي ورثته عن والدتك ؟"

عندما ذكر والدتها حصلت لها صحوة ! العالم حولها افاق فجأة من موته البطيء! صوت اذان العشاء ثم صوت خطوات والد سمارا المميزة التي تحتك بقوة بالارض فتصدر صوتا يثير ضحك سمارا وهديل على الدوام ..

تراه بعيني الخيال يتوجه نحو الحمام ليتوضأ وتسمع تمتماته بالدعاء " اللهم رب هذه الدعوة التامة ....." .... حتى صوت التلفاز اصبح اكثر وضوحا لاذنيها التي ارهفتا السمع بشكل محير ولاسباب مبهمة لتلتقطا عودة بث البرنامج الاقتصادي الذي يتابعه والد سمارا بشغف ...

هذا هو عالمها الحقيقي الآن ... هذا هو العالم الذي تريده .. وستنتمي اليه مهما كان الثمن !

لم تشعر كيف انزلقت الكلمات على لسانها وهي تقول بنفور من كل ما يمثله عالمها القديم " انساني ابي .. انسَ انك انجبتني للحياة لاذكرك بامرأة على ما يبدو لم تحبها يوما .. وتابع حياتك كما تفعل على الدوام ... عشها بالطول والعرض .. سافر واستمتع مع النساء اللواتي يلهثن خلف اموالك ! ، اما انا .. ابنتك الوحيدة التي تحتقرها ... دمك ولحمك الذي يشعرك بالاهانة لانتمائه اليك .. فأقول لك ... وداعا ... ابي "

ودون تردد اغلقت هاتفها لتقطع صوت والدها الغاضب .. ودون تردد ايضا اطفأت هاتفها تماما لتغادر الغرفة متوجهة نحو المطبخ بحركة آلية وذهنها تحصره بشكل اجباري ومحدد في .. فكرة واحدة ... اعداد عصير الليمون بالنعناع لتقنع والد سمارا بشربه بدلا من القهوة !..

من زاوية مظلمة سمعت اسمها " هديل .."

تراجعت خطوة للخلف بردة فعل عفوية بينما عقلها يميز الصوت لتقول ببعض العتب " زيد ...! ماذا تفعل هنا ؟؟ لقد اجفلتني !"

تحرك من وقفته المستندة للحائط ليتقدم نحوها مقتربا جدا منها هامسا بصوت أجش " آسف لاجفالك .."

تسارعت دقات قلب هديل من شدة ارتباكها للموقف الذي وقعت فيه ، كانت قد خرجت من القاعة الرئيسية لاحقة بزميلاتها لتساعد في تحضير موائد الطعام عندما التقت بصديقتها سارة في منتصف الطريق ...

ابتلعت ريقها بحرج بينما في داخلها تستوعب ما فعلته صديقتها معها ، لقد تعمدت ارسالها بهذا الاتجاه بعد ان اصرت عليها كي تذهب لسيارتها وتحضر بعض مستلزمات الحفل !

تطلعت لزيد .. نظراته اللامعة وابتسامته الشغوفة اكدت لها صحة تفسيرها فقالت وهي تعقد حاجبيها مستعينة بغضبها " انت حرضت سارة على فعل هذا اليس كذلك ؟؟ انا اعرفك .. فلا تحاول الانكار "

ضحك بخفوت وعيناه الخضراوان لاتكفان عن مشاكستها بنظراتهما المفتونة ليقول بصوت مبحوح " اعترف اني .. مذنب ! ولكني اردت التكلم معك بعيدا عن الجميع "

صمتت هديل وهي تشعر بالضيق مما يحصل ! لامت نفسها على صمتها الراضخ هذا ولكنها لم تستطع ان تكون قاسية معه وقد كان طوال عامين نعم الرفيق الرائع لها ...

قالت اخيرا وهي تتلفت حولها " ارجوك يجب ان اعود .. لااحب وقوفنا هنا .. "

عاودت النظر اليه فتنهد برقة وهو يتطلع لوجهها بلهفة لايخفيها ..

همست بخجل شديد " ارجوك توقف عن النظر الي هكذا ! انا ... لااريد ان .."

قاطعها قائلا بحرارة " تبدين جميلة بشكل غير اعتيادي الليلة ! "

تنهد مرة اخرى وهو يراها تدير رأسها جانبا ليقول بلهجة عاطفية مستعطفة " ماذا يجب ان افعل لتشعري بي ؟! كيف اصل اليك ؟؟ "

ردت بحشرجة وهي ما زالت لاتنظر اليه " زيد .. ارجوك ... قلت لك سابقا .. ومرارا .. لااستطيع .. ليس بيدي "

كان يعاني من آلامه بينما يرسم ابتسامة باهتة على شفتيه ليهمس لها مدعيا المرح " طوال الاسابيع الماضية حاولت جهدي استمالتك بطريقة مختلفة عما تشعرينه نحوي ، كنت امني نفسي اني قادر على كسب قلبك ... وما ... زلت على .. هذا الامل حبيبتي "

تشنجت تماما للفظة التحبب ! وشعور بردة فعل طبيعية جعلها تغضب لتدير رأسها اليه وتواجهه قائلة " لااسمح لك بهذا يا زيد ! انا لم اعطك الحق وكنت شديدة الصراحة معك واقسم لولا معزتك في قلبي لكنت تصرفت معك بشكل مختلف لن يعجبك "

الألم يتضاعف وينتشر في كل كيانه لهذا الرفض الواضح الذي لايقبل اللبس !

مشاعره متأججة نحوها والليلة كانت .... رغما عنه يده امتدت اليها ليلامس خدها في حركة فاجأتها وجعلتها تشهق بقوة وهي تتراجع للخلف !

كعبها العالي الذي لم تعتد ارتداءه جعلها تتعثر فسارع لامساكها من مرفقها هامسا بصوت مبحوح " لاتخافي ... انا لن ..."

كانت تنفض مرفقها منه وهي ترتعش بقوة عندما جاء صوت حاد قائلا " ابعد يدك عنها والا ساقطعها لك "

شهقت للمرة الثانية وهي تتطلع جانبا لهيئة شاهين المزمجرة فهمست اسمه بغباء

" شاهين !"

بينما زيد ترك مرفقها بسلاسة ليتطلع نحو الشاب الاكبر سنا فيقول بهدوء غامض " لقد تعثرت فامسكتها ثم لاداعي لكل هذا ، انا .. تقدمت لخطبتها ..."

كان شاهين يضغط على كل ذرة غضب تستعر فيه بينما يمد يده ليسحب هديل من مرفقها نحوه وهو يقول من بين اسنانه " اقترب منها هكذا مرة اخرى واقسم اني ساحطم لك وجهك..."

اصابعه كانت قاسية وهي تمسك بمرفقها وتسحبها معه باتجاه القاعة ، كانت تحاول استيعاب ان شاهين يجرها جرا وقد الجمتها ملامح الغضب المكبوت على وجهه كما اخرسها الموقف المحرج الذي كانت فيه !

شعرت بالدموع تتجمع بعجز في عينيها وقد انهكتها مشاعرها لابعد حد ...

رأت من بعيد اياد يجلس بمفرده فشعرت بالاختناق وهي تبحث عن سمارا ! انها تريد سمارا ... الآن ...

كان اياد يتطلع باستغراب نحو هديل وشاهين ليسأل شاهين حالما وصلا اليه " ماذا حصل ؟؟"

حرر شاهين مرفق هديل اخيرا ليتركها تجلس على الكرسي محنية الرأس فادرك انها توشك على البكاء ! شتم بصوت خافت سائلا اياد بجمود " اين سمارا ؟؟"

رد اياد بملامح حائرة وهو يتطلع للاثنين معا " لقد اتصل بها زوج شهرزاد فخرجت لتكلمه خارج القاعة ! "

زمجر شاهين " انه لم يعد زوجها ! "

ارتفع حاجبا اياد عاليا بينما رفعت هديل وجهها بحدة لشاهين تنظر اليه بغضب يعادل غضبه !

لم ينظر شاهين اليهما بينما استدار متحركا ووجهته مغادرة القاعة ... مرة اخرى !

بينما سمارا تغلق الهاتف اتاها صوت يكبت حنقه " ماذا يريد ؟ ولماذا لايكف عن الاتصال بك ؟ "

التفتت سمارا ناحية شاهين تنظر اليه وتقيّم مدى غضبه ...

قالت وهي ترفع اليه وجهها بهدوء " انت تعلم لماذا يتصل ، انه .. يسأل عن زوجته "

شتم شاهين ثم قال بزمجرة متفجرة " هي لم تعد زوجته ! توقفي انت واياد عن قول هذه التسمية "

زمّت سمارا شفتيها قبل ان تقول بثبات " دع شهرزاد تقرر ... لا انت ولا هو ولا اي انسان اخر ... دعوها فقط تقرر هل هي حقا مدركة لمعنى طلاقها ؟؟ والاهم ... هل تريده ؟!!"

ثم تحركت متجاوزة اياه وقد تركته واقفا بمفرده واجم الملامح ...

" هل تعتصم هنا لانها لاتنتظرك في البيت ؟!"

قال هيثم والغضب يتصاعد في داخله

" ما الذي اتى بك نورا ؟ اوتجرؤين ؟!"

تحركت نورا نحوه وقد بدت بملابسها البسيطة رابطة الجأش وباردة النبرات وهي تقول بثبات " جئت ... لاراك ".

منحها هيثم ابتسامة مشمئزة وهو يقول " لااريد ان احقرك امام حراس الامن بطلب منع دخولك للشركة " ثم تطلع اليها صعودا ونزولا ليضيف بسخرية " فأنت ... تبقين من العائلة !"

واصلت الاقتراب منه وهي تنظر مباشرة في عينيه لتقف امامه تواجهه بالكلمات الساخرة المباشرة " فراقها ... يجعلك عصبيا هكذا ؟! ام يا ترى لازلت لاتتقبل خسارة شيء ملكته ؟! "

تصلبت ملامحه لكنها عادت واسترخت ليقول ببرود وعيناه تنزلقان لقميصها المفتوح باكثر من زر " اي فراق ؟! " ثم رفع عينيه اليها ليضيف ساخرا

"غادري نورا لانك تثيرين شفقتي.."

ابتسمت ابتسامة جانبية لتهمس بسخرية " هل ما زالت عند صديقتها.. تلك ؟!"

صمت وعيناه تحدقان في عينيها فرفعت حاجبيها قليلا لتقول ببراءة مصطنعة " تتساءل كيف .. عرفت ؟ " !!

واصل صمته لتواصل كلامها الساخر " نفس المصدر الذي اخبرني بطلاقكما "

كلمة واحدة خرجت من فمه " الطبيب... "

ردت بنفس الابتسامة وهي تهز كتفيها بنعومة " اجل .. استطيع ان اكون مقنعة لاحصل على معلومات تعتبر سرية "

قال بلهجة باردة مهنية " ماذا تريدين الان ؟ تستعرضين قدراتك كأنثى لاستحصال معلومات من طبيب سخيف ضعيف الشخصية امام النساء ؟!"

ارتجفت عضلة في خدها وغابت ابتسامتها لتقول من بين اسنانها " لاتكن مبتذلا هيثم ! انا اقنعته بعد ان بينت له اني مقربة منها.."

ضحكة جافة منه اعقبها قائلا بسخرية قاسية " هل اخبرته انك ابنة عمها و... طليقة زوجها التي تسببت بانهيارها ؟!! لا .. لااظن .. " ملامح وجهها أكدت له صحة تكهناته ليتطلع اليها باشمئزاز مضيفا " ذكاء متوقع منك ان لاتخبريه من انت بالضبط وقد ادركت ان الطبيب يعرف تفاصيل ما حصل"

فاجأته وهي تضع يدها على صدره لترفع وجهها اليه باغراء واضح قائلة بارتعاش عاطفي " ما دامت قد تحسنت وما دامت لاتريدك.. لماذا .. لا .. نعود لبعضنا .."

رفع يده ليمسك بكفها النائم على صدره .. اعتصره بقوة لكنها لم تظهر اثر لتوجع بينما يقول بقسوة رهيبة " اذن فاحساسك الوليد بالذنب نحوها مات في مهده لتعاودي الظهور بوجهك الحقيقي وتمارسي ما يحلو لك فعله .. الاغراء في المكاتب! "

ردت بحشرجة وهي تتطلع لشفتيه " ذلك اليوم استجبت لي .. اعترف هيثم ... مع اني لم اكن انوي التمادي هكذا حتى اهنتني!"

صرخ بها وهو يدفعها بعيدا عنه " لاتكذبي ! مساعدي اخبرني ان شهرزاد قدمت ذلك اليوم بناء على اتفاق مسبق بينكما لتفاجئآني بدعوة الغداء"

ارتبكت للحظة قبل ان تقول بثقة " كنت اريد احراجك فقط .. الانتقام منك بتواجدنا سوية امامها "

القسوة لم تتخلَ عن ملامحه بينما هي تقترب مرة اخرى لتهمس ببعض التوسل العاطفي

" ردني لعصمتك هيثم .. ردني الآن .. في هذه اللحظة ... تستطيع ان تفعل هذا ببساطة ثم نذهب معا لشقتي .. انت تشعر بالوحدة وانا ايضا ... لااحد مثلك اشعرني بالسعادة بين ذراعيه ، كنا متوائمين لابعد حد ولهذا انجذبنا لبعض بتلك القوة الضارية ليلفنا ذلك الجموح البريّ ... " اختنق صوتها بالرغبة وهي تهمس " هل تذكر هيثم ؟ هل تذكر ما كنت تهمس به في تلك اللحظات النارية بيننا ؟"

فجأة مد يده ليسحب رأسها بعنف اليه ثم اخذ يقبلها بعنف اكبر اطاح بصوابها!

وكما اقترب فجأة ابتعد فجأة ليقول بانفاس هادرة بالغضب " هل هذا ما تريدين ؟؟ ها .. ؟ اجيبي ... عاطفة نارية جامحة ؟!! عن نفسي .. اعترف قد تغريني بمعاشرتك .. الآن تحديدا .. لكن هل هذا يكفيني ؟؟ لا .. لا يكفيني ... ولا يكفيك انت ايضا لو كنت صادقة مع نفسك .. وتكذبين لو قلت خلاف هذا ... فأنت تبغين المزيد .. تريدين ان تأخذي مكانها اليس كذلك نورا ؟! انت تغارين منها ... تغارين لاني لااراك الا رفيقة سرير مميزة بينما هي .."

قاطعته لتهدر بوحشية وانفاس متسارعة " هي ماذا هيثم ؟! قل هي ماذا ؟؟"

رد بلهجة لم تسمعها منه سابقا " هي انظف منك ومني ... هي شيء نادر .. جوهرة مكنونة شاء قدري ان امتلكها دون ان اعرف قيمتها حقا ! ربما كان يجب ان يحصل ما حصل لادرك ما تعنيه لي حقا ... رغم اني في قرارة نفسي كنت ادرك منذ البداية كم هي مهمة لي"

تشتت نظراتها مصدومة ليصدمها اكثر وهو يقول بصلابة " انا طلقتك طلقة بائنة يا نورا وورقتك ستصلك في الغد ، لم يعد شيء يربطني بك ..."

صمت ليستدير موليا اياها ظهره بينما يهمس وكأنه يكلم نفسه " انا مرتبط بها هي .. هي فقط .. ولايكفيني الا هي ... ! "

تنهد من اعماق صدره ليصدر بعدها امره " غادري ... الآن ... يكفي ما حصل لها بسببك .."

عندها قالت بلهجة منتقمة " لاتدّعي البراءة ! انا وانت .. كلانا شريك فيما حصل لشهرزاد ... بل هي ايضا شريكة معنا .. فلو ارضتك لما جئت الي .."

همس من بين اسنانه " لم اضرب امرأة يوما فلا تجعليني ابدأ بك ! "

ضحكت باشمئزاز ثم التفتت لتغادر وعند الباب قالت بجمود " قد... لاتصدقني ... لكني .. احبها حقا ! "

غادرت بينما هو يهمس لنفسه بشرود " كلنا نحبها ... لكننا لم ندرك قيمتها ! " تحرك بخطى ميتة وهو يكمل همسه " انانيتنا جعلتنا لانرى فيها الا ما تعطيه لنا ..." تأوه من اعماقه وهي يغمض جفنيه " آآه شهرزادي .."

تنهدت سمارا وهي تتطلع لوجه شهرزاد النائم ، عقدت حاجبيها وهي تشعر بتقلقل افكارها الليلة بشكل يفوق قدرتها على الاستيعاب ...

تحركت بخطوات هادئة وبدأت تخلع عنها فستانها وهي تضيع بدهاليز افكارها ...

غدا ستذهب للسيد العظيم ولم تخبر شاهين بهذا ولن تخبره ! انه لايدرك الى اي متاهة يدفع مشاعره هذا المجنون ...

شهرزاد حاليا لايفترض ان يقترب منها رجل خاصة رجل كشاهين مفعم بالمشاعر الرائعة والرغبة بالحماية ..

ارتدت منامتها لتاخذها افكارها نحو ... هديل .. ماذا حصل الليلة بالضبط ؟ بل ماذا حصل من اولها وهي تلتقط ذبذبات غير مفهومة بين شاهين وهديل ....

تحركت نحو السرير الذي تتشاركه مع شهرزاد لتندس فيه مولية شهرزاد ظهرها بينما تاخذها افكارها حول ما حصل الليلة بعد عودتها للقاعة ... كانت هديل غريبة جدا بملامحها الثائرة بينما اياد يرسل لها اشارات خفية ان تتركها قليلا لتهدأ ..

لقد التزمت هديل صمتا مطبقا حتى مغادرتهم الحفل وعودتهم للبيت .. وما ان دخلتا الشقة بعد توديع اياد عند الباب حتى توارت هديل خلف باب غرفتها لتكمل صمتها المغيظ !

عبست سمارا بحنق وهي تهمس لنفسها " هديل ثائرة في صمت ... شاهين ثائر في تشتت .. شهرزاد ثائرة في تجاهل لكل شيء حولها ...

وهيثم الجراح .. ثائر ليعيدها !!! ما بالهم جميعا ثائرين هكذا ؟!!!"

وضعت سمارا كفها اسفل خدها في حركة عفوية تفعلها دوما كاسترخاء اخير ما قبل النوم لتهمس وهي تغمض جفنيها " غدا .. غدا سأبدا بحل هذه التشابكات ..."

في اليوم التالي

خرجت سمارا من شركة الجراح وهي اكثر تشتتا من ليلة الامس !!

اوقفت سيارة اجرة لتستقلها وحالما اعطت السائق عنوان شركة شاهين حتى غرقت مرة اخرى فيما قاله السيد العظيم وما طلبه منها...

(هذا حقها الشرعي انسة سمارا .. يفترض ان تفهميها هذا ، ليس لكونها زوجتي بل لانها شريكتي ايضا في هذه الشركة الضخمة)

عبست سمارا وعيناها انتقلتا بالنظر نحو حقيبة يدها حيث وضعت المفاتيح التي اعطاها اياه هيثم ... تذكرت يده التي امتدت اليها ليناولها المفاتيح وهو يقول بهدوئه الغامض " انها شقة حديثة اشتريتها باسمها جاهزة للسكن حالا ومتى ارادت تنقل ملابسها هناك خلال نصف ساعة ،

شقة مجهزة بكل شيء وفي منطقة راقية وآمنة ، المبنى نفسه مؤمن بحرس خاص .."

ليختم كلامه " كل ما تريده مجاب في التو واللحظة ... فقط اريدها مرتاحة ومستقرة لتفكر بهدوء "

همست سمارا لنفسها وحاجبيها ينعقدان في تساؤل حذر " ما الذي تسعى اليه حقا يا هيثم يا ابن الجراح ؟؟!!! "

لم ينم ... يقسم انه لم ينم ولا لدقيقة واحدة ! مرر شاهين يده في شعره يضغط بقوة في عدة اماكن من رأسه في تدليك متعمد علّ الصداع يفارقه ...

ليلة الامس غادر مباشرة بعد حديثه مع سمارا مكتفيا بمكالمتها هاتفيا واخبارها بشكل مقتضب انه يشعر بالصداع ولذلك سيغادر المكان !

لكنه لم يتمالك نفسه ليقول لسمارا بلهجة متصلبة ان تبقي عينيها على هديل وعندما حاولت سمارا الاستفسار عمّا حصل تهرب منها وسارع لانهاء المكالمة ...

جلس على كرسيه في مكتبه وهو يتطلع للساعة الجدارية ...

همس بضيق " لقد تأخرت سمارا رغم تأكيدها انها لن تتاخر ! " مسح على وجهه وهو يقول حانقا " لماذا رفضت اخباري اين ستذهب عندما اتصلت بي صباحا لتوقظني من النوم ؟ "

عقد حاجبيه وهو يقول ساخرا من نفسه " وهل نمت اصلا يا شاهين ؟!! "

صورة هديل بينما يمسكها ذلك الدنيء من مرفقها عادت لتقض مضجعه !

صحيح انه كان قد رآها تتعثر وكانت حركة الدنيء عفوية لكنه لايستطيع التغاضي عن تلك النظرات الخضراء وما تحمله من تعطش !

احساس غريب تسرب لشاهين .. ليلة الامس هديل كانت .... كانت ... لايعرف كيف يصف الامر ولايعرف كيف يتعامل مع عدم معرفته !!

جلبة خارج غرفة مكتبه تلاها دخول غوغائي لباهر وهو يقول بفرح غامر " شاهين ... لقد جاءت شهرزاد ... لقد عادت ..."

ضخ ضخ ضخ ... الدماء تهرول في عروقه حتى طنّت اذناه !!



فتح فمه ليتكلم عندما دخلت هي ... بوجه نحيل جذاب وابتسامة تنافس الرقة في معناها الاصيل لتقول بصوتها الساحر " صباح الخير شاهين .."

ابتلع ريقه بصعوبة ليحاول التماسك وهو يرد تحيتها " صباح الخير " ثم ابتسم ببلاهة مخفيا ارتباكه من ظهورها المفاجئ وخروجها من شقة سمارا لاول مرة ليقول ببشاشة متعمدة " سعيد بعودتك لمكتبنا .."

اقتربت من مكتبه فادرك كم بدت جذابة في هيئة شديدة البساطة لم يعتدها منها ، ترفع شعرها كذيل حصان وتلبس بنطال جينز باهت تعلوه بلوزة قطنية بلون حليبي ..

ارتجفت ابتسامة على شفتيه وقد عجز عن قول المزيد بينما في داخله يستنجد قائلا " اين انت يا سمارا ؟؟ انقذيني ... !! "

كان باهر منقذه وقد بدأ يثرثر معها بينما شاهين يحدق في ملامحها باستغراب طفيف متسائل ! ما الذي تغير فيها بالضبط ؟؟ ليست الهيئة فقط ... هناك شيء مختلف !

التفتت اليه فجأة فسرقت انفاسه وهي تنظر لعينيه مباشرة قائلة بعذوبة " شاهين ... اريد العمل معكم ... " رق صوتها اكثر حتى ذاب قلبه تماما وهي تكمل " احتاج لهذا .. احتاجكم جميعا ..."

ابتلع شاهين ريقه مرة اخرى ليقول بتحشرج " لكن .. انت ... ما زلت ...متعبة ومن الاف..."

فاجأه باهر وهو يقاطعه بلهجة يغلفها التأنيب " ما بالك شاهين ؟!! انها بخير .. انظر اليها عادت مبتسمة وتريد العمل معنا .. هذا افضل ما تفعله .."

ثم التفت باهر نحو شهرزاد ليقول بابتسامة واثقة " سادربك على كل ما تحتاجينه "

عجز شاهين عن قول شيء بينما يواصل باهر هذره اما شهرزاد فالتقت عيناه بعينيها الواسعتين فرآى فيهما ما اطاح بعقله ، همس في سره بذهول " ما هذه الشعلة فيهما ... لماذا تنظر الي هكذا ؟!! لم تنظر الي سابقا بهذه الطريقة ! حتى ... تلك الليلة وهي تدفع نفسها الي لاحتضنها ! "

حرارة اجتاحته وجعلت الرؤية تتضبب امامه .. فتح فمه ليتكلم لكن اخرسته ابتسامتها الناعمة اليه ....

وجاءت منقذته فتنفس شاهين الصعداء بينما سمارا تدخل مكتبه وتبدي دهشتها وهي تقول " شهرزاد ! ما الذي اتى بك ؟ "

ضحكت شهرزاد وهي تغمزها " اتيت اطلب العمل ... فلن اظل عالة عليك الى الابد ..."

سارعت سمارا لتقول بحنق " اياك ان تقولي هذا الكلام مرة اخرى ! "

فردت شهرزاد وهي تسبل اهدابها " يجب ان اقف على قدمي سمارا ، يجب ان اخرج واعمل واعيش بشكل مستقل ، انا احتاج هذا بشدة "

تنحنح باهر ليستأذن مغادرا بينما سمارا تمد يدها تداعب خد شهرزاد وهي تقول بحنو " انا سعيدة جدا بكلامك رغم اني مستغربة لاستعجالك بعض الشيء ، البارحة كنت تقولين انك بحاجة لمزيد من الوقت ! "

رفعت شهرزاد عينيها نحو سمارا لتقول بهدوء غريب " لقد ... غيرت رأيي .. وجدت اني يجب ان اخرج واعمل واندمج بالحياة مرة اخرى ، اريد ان اثبت للجميع اني لم اعد كما كنت ! اريد ان اثبته لنفسي اولا ..."

عقدت سمارا حاجبيها قليلا بينما شاهين يراقب في صمت ... سألت سمارا بحذر " هل حصل شيء بالامس عزيزتي ؟"

ردت شهرزاد بابتسامة غير مألوفة " لاتهتمي .. مجرد اتصال من والدي جعلني اعيد حساباتي او لنقل جعلني اسرع من تنفيذ قرارات سبق واتخذتها ... قرارات كنت بحاجة لبعض الوقت حتى اكون مستعدة لها ..."

عندها سأل شاهين بجدية

" اي قرارات شهرزاد ؟؟"

ردت شهرزاد وهي تلتفت اليه " قرارات تخص حياتي شاهين ، انا جادة في طلبي العمل بل وسابحث عن شقة مناسبة لاسكنها "

عبس شاهين وهو يتساءل بغير رضا

" تسكنين بمفردك ؟؟ "

رفعت شهرزاد ذقنها قليلا لتقول بثبات " اجل بمفردي ... " ثم غامت عيناها بحزن دفين لتضيف " دوما كنت بمفردي .. على الاقل هذه المرة ساواجه الحقيقة بدلا من التخبط في نكرانها ! "

تلاقت نظراتهما مرة اخرى وهو يشعر باتون الغضب تعاود اشتعالها ... كيف يتركونها تعاني كل هذا ؟! مثلها يستحق الدلال .. كل الدلال ... يستحق كل انواع المشاعر ان تهدى اليها على طبق من ذهب ...

قاطعت سمارا افكاره وهي تقول بهدوء " حسنا شهرزاد ... ما دام هذا ما تحتاجينه حقا لتمضي قدما في حياتك "

صمتت سمارا للحظات قبل ان تضيف بتأن " وما دمت قد قررت فعلا وعزمتِ فيجب ان نتحدث بتفاصيل اخرى مهمة "

سألت شهرزاد " اي تفاصيل ؟"

ردت سمارا وهي تنظر للحظة نحو شاهين " تعالي لمكتبي ، هناك امور يجب ان نتحدث بها انا وانت "

قبل ان يعترض شاهين كانت سمارا تسحب شهرزاد من يدها وتغادرا معا مكتبه ..

شعرت سمارا بعدم الارتياح وهي تثرثر بالكلمات على عجل لتلقي ما في جعبتها مرة واحدة بينما شهرزاد تجلس بجانبها على الاريكة الصغيرة تطرق برأسها وتستمع بهدوء غامض ...

قالت سمارا اخيرا وهي تضع يدها على يد شهرزاد " انا لايهمني ما يريده هو ، انا يهمني ان تدركي حقوقك ولاترفضيها ، اولى الخطوات الصحيحة لحل اي مشكلة ان لانتجاهل اسبابها ، المضي قدما يحتاج لنوع من المواجهة ..."

تنهدت سمارا وهي تقول فجأة " البارحة تواجهنا انا واياد "

اخيرا رفعت شهرزاد عينيها نحو سمارا لتقول برقة " اذن لهذا ترتدين خاتم الخطبة الجديد ؟ "

تبسمت سمارا وهي تهز برأسها ايجابا وقالت " لقد قررنا ان نواجه الماضي ونتسامح كلانا مع ما حصل ونبدأ بطريقة صحيحة ، لذلك نحن الآن مخطوبين رسميا "

ظلل الحنان عيني سمارا وهي تكمل " عليك ان تواجهي انت ايضا وتبدأي بطريقة صحيحة لترميم حياتك "

نظرة غامضة أطلت من عيني شهرزاد .. نظرة باردة .. شديدة البرودة ! حتى ان سمارا شعرت برعشة في داخلها ....

قالت شهرزاد اخيرا بنبرة تشابه نظرتها تلك " اعطني لو سمحت مفتاح الشقة واكون ممتنة لو اتصلت به ليرسل ملابسي واغراضي وساحتاج لسيارتي ايضا .."

وقفت على قدميها فجأة بينما سمارا تتطلع اليها بحيرة لتضيف شهرزاد بهدوء " كما قال لك ... هذا حقي فانا .. شريكته .. "

همست سمارا باسمها وهي تقف بجانبها لكن شهرزاد قالت بجمود محير " لن اتنازل عن حقوقي مرة اخرى ...."

يستمع لمساعده الشخصي وعقله يدور في فلك اخر ... عيناه تحيدان كل دقيقة لهاتفه ، ينتظر الرد .. يجزم بقبولها ... حدسه يقول انها سترضى لكنه مع هذا متوجس !

رن هاتفه اخيرا فاشار لمساعده كي يغادر ، اسم سمارا على شاشة هاتفه جعله يشعر بفورة الترقب وكأنه مقدم على اخطر لعبة قمار !

فتح الخط وقال بلهجة هادئة لاتعكس اضطرابه الداخلي " مرحبا انسة سمارا "

ردت سمارا " مرحبا سيد هيثم ..."

سأل دون مراوغة " هل رضيت ؟"

قالت سمارا " نعم ...." شعت ابتسامته وحمل ثقيل انزاح من على صدره ليستمع لتتمة الكلام " انها تريد ملابسها واغراضها كلها كما تريد سيارتها و ....."

تردد سمارا جعله يتوجس بعض الشيء ليسأل " ماذا ايضا ؟ هل تحتاج للمال ؟ لها كل المال وبأي مبلغ تحدده "

تنحنحت سمارا قبل ان تقول " لا .. ليس المال ... اسفة سيد هيثم مضطرة ان اوصل لك رسالتها ... انها ... لاتريدك ان تقترب منها .. اطلاقا ..."

تقبضت يد هيثم وابيضت شفتاه لكنه قال بهدوئه المتقن " اعرف ما تريد .. حاليا .. فلا تقلقي .."

انهى المكالمة واسند ظهره للخلف وهو يهمس لنفسه " حسنا .. مكالمة والدك اخرجتك كما توقعت ... صحيح تمنيت للحظة ان يعيدك الي بطريقته الا ان هذا افضل ... "

غامت عيناه واشتدت زرقتهما وهو يقول " تحتاجين لكثير من الصبر شهرزادي ..وانت تستحقين كل الصبر و.. اكثر ..."

دخلت سمارا مكتب شاهين واغلقت الباب خلفها ثم استندت اليه بظهرها وهي تتكتف بملامح عابسة !

اخذ شاهين ينظر اليها وهو جالس على كرسيه ويبادلها عبوسا كعبوسها !

بادرت هي بالكلام فقالت " اولا ماذا حصل بينك وبين هديل بالامس ؟ ولماذا هي تعتكف في غرفتها لهذه اللحظة رافضة التكلم حتى مع ادعاءات ابي بالمرض وحاجته لجهاز ربو رغم انه لم يعاني في حياته من اي حساسية في الصدر ! "

رفع شاهين حاجبيه بطريقة لامبالية وهو يقول " هل اجيب عن اولا ام انتظر ثانيا ؟!! "

تحركت سمارا باتجاهه وعبوسها يزداد وهي تقول بغضب واضح " اجب عن اولا لاركز في ثانيا ..."

تنهد شاهين وهو يقول " حسنا ... البارحة شعرت بالغضب الشديد لاني وجدتها تقف مع الدنيء في زاوية مظلمة منعزلة وكان يمسك بمرفقها .."

شهقت سمارا قائلة " ماذا ؟!!! " فسارع شاهين ليوضح " لاتقلقي انا رأيتها تتعثر اولا وهو سارع لامساكها .."

زمّت سمارا شفتيها وهي تقول بغيظ " اذا كان كذلك فاين المشكلة ؟؟ "

تطلع شاهين نحو وجه سمارا الغامض وسؤالها يتردد بصداه الواسع في داخله

(اين المشكلة ... اين المشكلة ؟؟!!!)

عقد حاجبيه وهو يهمس " اين المشكلة ؟!! "

تذكر هديل مراهقة بشعر اشعث مضحك وتقويم اسنان يجبرها ان تكتم ضحكاتها او حجبها خلف كفها ... ارتخت ملامحه قليلا وهو يتذكرها كيف كانت تحمر كلما رأته وتتشابك كلماتها فلا يفهم منها شيئا !

كان يعاملها بحنان ورقة مراعاة لفقدانها المبكر لامها لكن عندما اخبرته سمارا بمشاعر هديل نحوه تغير اسلوبه معها ، يعاملها بحنان ... نعم ... لكنه تعمد المبالغة بمنحها الشعور انها صغيرة ومراهقة ... حتى شعر بانسحابها الكامل لفترة حتى دخولها الجامعة ..

بعدها لم تعد منسحبة منه ولكنها تعامله بنوع من التحفظ الذي لايخلو من راحة واضحة لوجوده قريبا منهم ... وهذا اراحه هو شخصيا وجعله مستمتعا بلعب دور الاخ المتفهم معها ..

عاود شاهين عبوسه وهو يفكر " هل اغار عليها غيرة الاخ ؟! هل هذا ما يجعلني نافرا من اياد غير متقبل لفكرة زواجه من هديل ؟! "

استدرك انه صامت منذ فترة ! وان سمارا ايضا لاتتكلم ... نظر اليها فرآها تراقبه بدقة !

هتف بها " لماذا تنظرين الي هكذا ؟! توقفي عن اسلوبك الفضولي هذا ؟"

ردت سمارا بغيظ " احاول ان اجد اجابة لسؤالي الذي لم ترد عليه ..."

زفر شاهين بقوة ليقول وهو يطوي ذراعيه خلف راسه " الاجابة اني ... ربما اغار .. عليها كما يغار الاب او الاخ على بناتهم "

صمتت سمارا للحظات قبل ان تقول " حسنا .. قد اتفهم هذا منك لكن الا تبالغ ؟!! زيد شاب جيد ويحبها جدا .."

تضايق شاهين وهو يقاطعها قائلا " لااحب ان تقولي هذا امامي ... لااحبه ابدا ... ولا احب ذلك الدنيء "

تأففت سمارا وهي تلوح بيدها قائلة " حسنا دعنا من هذا الموضوع ما دامت هديل اصلا رافضة لارتباطها به "

رد شاهين بابتسامة " انها فتاة ذكية .."

كزّت سمارا على اسنانها وهي تقول " لافائدة منك ! "

هزّ كتفيه بلامبالاة بينما اضافت سمارا بتردد " ننتقل لـ... ثانيا ...."

اسبل شاهين اهدابه ليهمس " شهرزاد .."

قالت سمارا بتوجس " اجل شهرزاد ... انظر الي شاهين لو سمحت .."

رفع شاهين عينيه اليها ببطئ ليقول بابتسامة صغيرة " ها قد نظرت اليك فحللي نظراتي كيفما شئت ! "

قالت بحنان " انت تعلم دون ان اقول كم انت مهم بالنسبة لي ، انا لااعلم ماذا كنت سافعل بدونك ، قد لاتصدق ولكني اعتبرك تعويضا من اللّه على فقداني لامي ..."

اكتفى شاهين بالابتسام بينما تغالب سمارا عبرتها لتكمل بصوت أجش من التأثر لذكرى امها " انت اكثر من اخ بالنسبة لي ، واشعر احيانا اني ابنتك واحيانا اخرى اشعر انك طفلي ! "

قال شاهين مغيظا لها " حاليا تشعرين اني طفلك اليس كذلك ؟! ترى ما رأي خطيبك بمشاعرك الامومية نحوي ؟!"

ردت سمارا ببعض الحنق " اترك اياد خارج الموضوع ولا تشتت افكاري حول ما اريد قوله "

ضحك شاهين وهو يقول " انه تطور مذهل ان يشتتك اياد هكذا .."

عنفته قائلة بوجه محمر " شاهين ! لاتبدأ باغاظتي لتتهرب من مواجهتي "

اسبل شاهين اهدابه مرة اخرى والابتسامة عالقة على فمه ليقول اخيرا " حسنا ... انا اعلم ما تريدين قوله ، وانا ساقول لك اختصارا لاي مجهود تبذلينه في استكشافي ان من حقي التعبير عن مشاعري نحوها ... في الوقت المناسب .."

اقتربت سمارا اكثر منه لتقول بجدية " حذاري شاهين .. حذاري ان تجرفك مشاعرك نحوها الان ... انها مجروحة بشدة وقد تبحث فيك عن رد اعتبارها ... قد تصبح انانية دون ان تشعر وهي تحاول استرداد احساسها بانوثتها ، اياك شاهين ... اياك ..."

ارتجفت عضلة في خد شاهين وهو ينظر لتعابير القلق والصدق على وجه سمارا فقال بهدوء " لاتقلقي سمارا ... انا مدرك تماما لكل ما قلته ..."

عندها قالت سمارا " اذن لاتتدخل في حياتها الآن ولاتحاول توجيهها .. عاملها كأخ ..كصديق وساعدها لتتجاوز محنتها "

هز شاهين رأسه بينما تكمل سمارا " ستنتقل اليوم لشقتها الجديدة ويبدو انها قررت العمل هنا "

عبس شاهين قليلا وهو يقول " هل وجدت لها شقة مناسبة بهذه السرعة ؟!! "

ردت سمارا " بل هيثم الجراح من وجدها واشتراها لها "

اتسعت عينا شاهين فرفعت سمارا سبابتها تحركها بتحذير امامه وهي تقول " اياك ان تعترض ، يجب ان تأخذ كل حقوقها منه .. هذه اولى خطواتها لتتعلم ان لاتتنازل عن ما هو حقها "

قررت ان ترد على مكالمته اخيرا فهو لم يتوقف عن الاتصال منذ الصباح الباكر..

فتحت الخط وهي تقول بوهن " مرحبا زيد .."

تنهيدته سبقت كلامه وهو يقول " اخيرا هديل .... لماذا لاتردين علي ؟! هل اصبحت اثقل عليك لهذا الحد ؟! "

دمعة سالت على خدها وهي تقول " لا تقل هذا ... انا كنت مرهقة ... مستنزفة ان صح التعبير ..."

صمت زيد للحظة قبل ان يقول بنبرة غامضة

" هل انت بخير ؟ "

ردت وهي تبتسم بحزن ودموعها تجري بانسيابية على خديها " لاتقلق .. انا متضايقة فحسب "

تنحنح قليلا قبل ان يقول بحذر " انا ... اعتذر اذا تجاوزت .. معك ليلة الامس ... و.. ارجو اني لم اتسبب لك بالمشاكل ... اقصد شاهين كان ..."

قاطعته هديل ببعض الحدة وهي تمسح دموعها بعنف " شاهين ليس له ان يتدخل في حياتي "

تردد قليلا قبل ان يقول " حسنا هديل .. انا اتصلت لاقول لك اني سانتظر منك ان تعاودي التفكري بطلبي ، امنحيني وامنحي نفسك فرصة اخرى .. لن اضغط عليك مرة اخرى لكني سامنحك وقتا لاسبوعين او ثلاثة او حتى شهر لتفكري مليا وتردي علي.."

امتد الصمت بينهما ... هي تفكر .. هو يغمض عينيه في ترقب حتى قالت له اخيرا " شهر واحد زيد وبعدها ساعطيك ردي النهائي وعندها اتمنى ان تتقبله مهما كان .."

بعد عشرة ايام ....

تبسمت شهرزاد بامتنان للحارس الامني الشاب وهو يساعدها في حمل اكياس البقالة ، رافقها للمصعد الكهربائي ليضع لها الاكياس هناك معتذرا انه لايستطيع ترك بوابة المبنى خالية لغياب زميله اليوم ..

شكرته شهرزاد وضغطت على زر رقم خمسة حيث شقتها الفاخرة ..

ابتسمت والمصعد يتحرك بها .. شعور رائع بالامتلاء يغمرها ... انها تشعر بسكينة لم تشعرها طوال حياتها ...

انها تشعر انها حرة .. حرة .. لتفعل كل ما تريد ارضاء لنفسها فقط ...

انها تعمل وتعيش بصحبة اناس تحبهم ويحبونها .. باهر ... سمارا .. شاهين .....

احمرت وجنتاها قليلا وهي تفكر بشاهين .. لم تر في حياتها شخصا دافئا مثله ، مفعم بالرجولة بالعطاء بالحنان ... يجعلها تشعر انها صغيرة مدللة محمية وبنفس الوقت يشعرها انها مهمة ومبهرة وخلاقة ...

لم يؤمن احد بها بهذه الطريقة من قبل ، كلما تذكرت ما فعله معها تشعر بدغدغة رقيقة في اعماقها ...

صوت وصول المصعد اجفلها قليلا فضحكت بطفولية وهي تنحني لتلتقط الاكياس وتغادر المصعد ..

كانت تعاني لامساك اكياسها حتى لاتقع ارضا بينما تحاول اخراج مفتاحها من حقيبتها ، اوشكت الوصول لباب شقتها وهي ما زالت تعاني مع حقيبتها عندما تأهبت حواسها فجأة ...

رائحته .....

رفعت رأسها بقوة لتتطلع لخياله الاسود المستند للحائط ... كان يحدق فيها هو الآخر وزرقة عينيه ...... تشتعل !

الفصل الثاني عشر

فورة مشاعر جارفة اجتاحته ! غليان لايحتمل .. كله كان يغلي .. فقط لرؤيتها هكذا .. مبتسمة لطرفة لايعرفها .. ناعمة كحرير مغزول حرّمتْ عليه لمسه... مبتهجة كطفلة تشاكس قوس قزح باناملها ....ويا ليته هو ذاك ال(قوس قزح) !

راقبها منذ خروجها المنعش من المصعد تحمل اكياسها وتبتسم شفتاها بينما يدها تعبث بحقيبتها ...

عيناه الجائعتان لرؤيتها التهمتا تفاصيلها التهاما .... الشوق حقا ... كافر ! كافر لايعرف للرحمة معنى ....

خصلات شعرها افترشت كتفيها وظهرها بعفوية طبيعية .. تغوي انامله لتعبث بها جسدها المستفز برقته كان يتمايل امامه بثقة انثوية تطفح منها ، ملامحها مسترخية مستمتعة .... همس لنفسه من بين اسنانه وهو يقاوم الاقتراب نحوها " هل يراك شاهين كل يوم هكذا ؟!!! "

على بعد خطوتين .. ثلاث لااكثر رآها كيف تجمدت قبل ان ترفع رأسها بحدة و.. تنظر اليه ..

انكمش قلبه بجمود عينيها المتسعتين ! هل هذه صدمة عدم توقع رؤيته ام رفض تام لوجوده ؟!!

كان يعافر حتى يثبت على هدوئه الظاهري لكن حركة منها اوقعت احد الاكياس من يدها وتدحرجت حبات البرتقال ...

ضغط على اسنانه بقوة وهو يراها تسبل اهدابها فجأة ثم ببساطة انحنت بتجاهل له لتلتقط الحبات المتفرقة هنا وهناك ..

فستانها القطني البسيط انحسر قليلا عن ساقيها الجميلتين ولونه الابيض ابرز جمال وجاذبية بشرتها الخمرية ...

عاود القلب انين الشوق فلم يملك هيثم الا ان يقترب خطوة فينحني ليجلس القرفصاء مثلها يساعدها في التقاط الحبات ووضعها في الكيس ..

كان احساسا غريبا وهو يتشارك معها جمع الحبات والصمت يلقي بظلاله حولهما .. وكأنهما غريبان تماما التقيا صدفة !

لكنه رغم كل شيء كان سعيدا ! سعيدا بشكل مؤلم وهو يستنشق رائحتها المسكية عن هذا القرب الدافئ بعد طول فراق وعيناه تتابعان حركة يدها النحيلة وهي تضع حبات البرتقال في الكيس بسلاسة جذابة ...

كتم تنهيدته ليرفع عينيه نحو وجهها

فابتسم رغما عنه وهو يرى وجهها متوارٍ خلف

ستارة شعرها الناعم ...

همست بصوت بارد دون ان تطلع لوجهه

" ما الذي أتى بك ؟! "

رد وعيناه تغيمان بالمشاعر الدافئة " اردت

الاطمئنان عليك ..."

ساد الصمت مرة اخرى ... ومع اكتمال جمع

الحبات كان منظر جلوسهما معا هكذا مثيرا

للضحك .. لكنه لم يشعر بأي رغبة

بالضحك .. والرغبة الوحيدة التي انتابته ان

يمد ذراعيه نحوها ليأخذها كلها لصدره !

يحتجزها .. يعتصرها ... يفعل بها كل ما يشاء

وهي تهمس له بكلمات العشق !

همس في سره " يا الهي .. يا له من شوق لم

اتذوق مثله في حياتي ! ..."

ارتجفت يده وهي ترتفع دون ارادته لتلامس

خصلات شعرها ولم يكد تدغدغه نعومتها

حتى انتفضت بقوة لتقف على قدميها في

لحظة حاملة بثبات اكياسها في يد بينما

يدها الاخرى تفتح الحقيبة تبحث عن شيء ما

! وقف هو الاخر على قدميه يراقبها بهدوء

ظاهري لتسبقه القول بنبرة جافة قاسية "

اياك ان تلمسني مرة اخرى ... والا اقسم

سأتقيأ ! "

التمعت عيناه بمشاعر الصدمة وتجمدت اطرافه بضربتها الموجعة !

قال بصوت مبحوح غير مصدق " هل تشمئزين مني لهذه الدرجة ؟! "

عندها اخرجت مجموعة مفاتيح من حقيبتها لترفع وجهها نحوه تطالعه بملامح حملت من الاشمئزاز والرفض ما لايقبل محلا للشك !

ثم طعنته اكثر وهي تقول بقساوة ساخرة " كالعادة لاترى الا نفسك ! لم تدرك لحد الان انك لم تعد في الصورة ... معي ... عندما انظر لنفسي .... لا اراك ! "

عجز عن الرد بينما تواصل ضخ كلماتها القاسية " الاشمئزاز من نفسي فقط ! فلمستك تذكرني بما كنت عليه ... اتوسلك الحب بطريقة مثيرة للشفقة فترمي لي فتات عاطفتك بتمنن ! "

تعكرت ملامحها الناعمة بمزيد من الاشمئزاز وهي تضيف " كم كنت غبية ! حقا غبية .. ولو استطاعت الجدران النطق لصرخت بي تنعتني بنفس الكلمة ، جدران ذلك البيت الذي ضمنا معا وشهدت على محاولاتي البائسة الفاشلة لتمنحني قلبك الذي قُدّ من الحجر الصوان البارد ..."

ثم همست اخيرا " كم اكره تلك الجدران ! وكم اكره ذلك البيت البارد ! "

كان مصعوقا من كل ما قالته فلم يلحظ تحركها نحو باب شقتها وبينما تدخل المفتاح بالقفل استعاد بعض سيطرته على نفسه ليقول بنبرة مضطربة " استحق منك كل هذا واكثر ... استحق كل ما اشعر به الآن ... حتى اني لااجرؤ على طلب الغفران ..."

لكنها لم تهتم ولم تلتفت اليه وهي تفتح باب الشقة وتدخل ثم تغلقها خلفها بهدوء شديد !

اقترب من الباب المغلق ليستند عليه بجبينه مغمضا عينيه ثم رفع قبضته باحباط يضرب بخفة عليه وهو يقول بصوت مبحوح " اعلم انك خلف الباب وتسمعيني ...انا ... لااستطيع التعايش مع خسارتك شهرزاد .. لااستطيع ... " صمت للحظة قبل ان يضيف متنهدا " والدك يسأل عنك باستمرار وانا اطمئنه ، لم اعطه رقم هاتفك الجديد رغم معرفتي به لاني اعلم انك لاتريدين "

كانت تستند بظهرها على الباب ترتعش و انفاسها تتسارع ، دموعها تنساب بينما يصلها المزيد منه بنبرة رقيقة " سألتني لماذا اتيت ؟ ورددت اني جئت للاطمئنان عليك ... لكني .. في الواقع مطمئن فلم تغب شؤونك عن متابعتي .. لكن عينيّ ..... اشتاقتا ...

اشتاااااااااقتا شهرزاد ...بل كلّي مشتاق اليك ... فسامحي من يعذبه مر الاشتياق ..."

زفر بقوة ثم ببساطة تحرك مبتعدا و ...غادر ...

ما زالت ترتعش ودموعها تنساب بينما شفتاها تهمسان " لقد .. عاد ... ! "

عاد ليهاجمها بشحمه ولحمه بعد ان فشل بالتسلل لعقلها عبر ذكرياتهما معا طوال الفترة الماضية ..

بانفصال غريب عن الواقع تساءلت كم مضى من الوقت دون ان تراه ؟! اشهر ربما؟!!

لماذا تشعر وكأنّ دهورا مرت ؟! دهورا تعاني من جفاء قاتل بينهما ... حتى لم تعد تستوطنها رعشة العشق المدله التي تغذت على كيانها منذ طفولتها البعيدة ...

ارتعشت اكثر ... ! وكم تتتابنا الرعشات لاحاسيس مختلفة ! رعشتها الآن تعكس اشمئزازا من نفسها لرجل كانت تمنحه العشق الصافي بطيب خاطر فقابل عشقها بجحوده .. بطيب خاطر ايضا!!

مسحت دموعها بقسوة حتى آذت بشرتها ! همست بتحشرج وهي تتحرك بعيدا عن الباب

" لن اسمح لك بالاقتراب ... ولن ... اسامحك ..." ثم اضافت بثبات وهي تضع اكياس البقالة في المطبخ " سأكون سعيدة ... اقسم سأكون سعيدة وسترى ما فقدته وخسرته ليتآكلك الندم .... "

يقود سيارته وكلماتها تتردد بصدى خانق في اعماقه ، كلما تذكر ملامح الاشمئزاز على وجهها اشمئز هو من نفسه !

تقبضت يداه حول مقود السيارة .. لم يشعر يوما بهذا الشعور حيال ذاته ، كان دوما فخورا بما يملك من مقومات ، كان فخورا بحسبه ونسبه .. فخورا وراض في شبع !

وعندما قرر الزواج كان فخورا ان الاختيار وقع على شهرزاد ، لكن ... عليه الاعتراف الآن رغم ان العرض كان من والدها ابتداء الا انه في داخله كان يعتبرها ملك له بطريقة او باخرى ... ليكتسب فخرا جديدا ...

عشقها اللامحدود ... فخر من نوع خاص .. فخر يمنح قيمة ذات مذاق مختلف ...

اسبل اهدابه قليلا وداخله يفور ببطئ وهو يتذكر ليلة زفافهما ...

امتلاكها تلك الليلة كان ... مذهلا ..صاعقا له ..

تصور انها بخجلها وتحفظها الشديد ستتعبه وربما سيضطر للصبر عليها بضعة ايام !
لكنها فاجأته باستسلامها الحار ... عشقها له جعلها لاتفكر بالمخاوف الطبيعية للفتيات ..
عقشها جعلها تثق به لابعد الحدود وتترك له كل شيء ليفعل ما يريد ....

انفاسه تسارعت في لهفة اليها ... انه يريدها ..
يريدها ان تعود له من جديد ... يريدها ان تنتظره عند المساء ووجهها يطفح بسعادة رؤيته ، وعند الصباح يراقبها خلسة وهي تستيقظ بطريقتها الاشبه بالقطط ..
يريدها ان تعتني به كما تفعل عندما يصاب بالصداع او الرشح ! بمجرد ان يراها تقترب من السرير وعلى وجهها تلك النظرة الرقيقة يتبخر نصف اذاه ...

يريدها ضاحكة سعيدة عندما يمنحها ابسط الاشياء لتعطيها هي اعظم القيم لمجرد انها منه ....

همس بغصة " كيف لم اشعر بتفاصيلك شهرزادي ؟! كيف كنت امر بها مرور الكرام دون ان يستوقفني تفردها ؟!!! لماذا بحثت عن سحر كنت سأجده معك بقليل من الجهد ..."

لايعرف لماذا تذكرها وهي تتحدث الفرنسية مع بعض عملائه الفرنسيين فينبهرون بها لتتورد قليلا فتنظر اليه تستعين به ليخفف عنها وطأة تغزلهم بشخصها وثنائهم على رقتها وجمالها الساحر ...

وهو الغبي ماذا كان يفعل ؟!!! يبتسم ساخرا ! ويعتبرها اكثر طفولية من ان تصمد امام الاخرين ... كان يحميها نعم فلن يتجرأ احد على ايذائها لكنه لم يحمها منه هو شخصيا ..

عقد هيثم حاجبيه بقوة وسحق اسنانه ليقول بعدها " كيف ساعيدك ؟! الى متى ساصبر ان يبهت غضبك مني قليلا ؟ تبدين في غضب متزايد وانت تطردينني رويدا رويدا خارج حياتك ! "

تصلبت ملامحه واشرست نظراته ليهمس اخيرا " لا بد من بداية شهرزاد ... وسأجد هذه البداية بيننا ..."

كان قد وصل بوابة البيت فعبرها بسلاسة ليطالعه ذلك المبنى الانيق الذي يعج بالثراء، قال بتماسك " البداية حيث يجب انهاء ما سبق ..! "

صباح اليوم التالي

مكتب شاهين

" صباح الخير شاهين "

غرّد قلبه لتحيتها المحببة بينما يلتفت اليها يبتسم بحرارة وهو يهمس بجذل

" صباح الخير .."

عقد حاجبيه قليلا وابتسامته المفتونة ما زالت على شفتيه بينما ينظر لملامحها الناعمة وهي تنظر اليه وابتسامتها الجميلة تشيع الفرح حولها ...

بدت سعيدة اكثر من المعتاد ، منتعشة في تحفز !

اقتربت كثيرا منه لتقف قبالته ترفع وجهها اليه فتقول بصوت ساحر " انا اشعر بطاقة غريبة هذا الصباح اليس لديك اعمال متأخرة انهيها عنك ؟"

ارتعشت شفتاه وشعر بالبلاهة وهو يتطلع لتلك اللمعة المغوية في عينيها ..

بدت كمن يطلب شيئا مختلفا خلف طلبها المعلن هذا ...

ابتلع ريقه بصعوبة شديدة عاجزا عن تشكيل بضعة كلمات للرد بينما يتمتم في داخله " الى متى ساقاومك ؟! متى تصبحين حرة في كل شيء لاجد فيك ما اتمناه واتحرق شوقا اليه ...."

همست فجأة وهي ما زالت تتطلع لوجهه بنظرة غريبة " شاهين ... هل شكرتك .. سابقا ؟ "

تنحنح وهو يلتفت ليتناول فنجان القهوة الذي كان يعده قبل دخولها المطبخ عليه ثم قال مداريا مشاعره " لا تفعلي الآن ..."

لكنها قالت بصوتها العذب " هذا ليس شكرا للعرفان بجميلك لكل ما فعلته معي منذ اول مرة التقيتك بها ... هذا شكر اكثر اهمية واعمق بكثير "

نظر اليها مرة اخرى ليسألها بصوت أجش

" اي شكر اذن ؟! "

ردت بتأثير رقيق وصدق يخلب الالباب " شكرا لانك موجود في حياتي ..."

ارتجّ فنجان القهوة في يده واتسعت عيناه وهو يحدق فيها بانجذاب لاقبل له بردعه !

" يا الهي ... كم انت فاتنة في كل كلمة وهمسة والتفاتة ..... اي روح جميلة تسكنك ؟! اي قلب من ذهب تملكين ؟!!"

كاد يختنق بهذه الكلمات التي يصارعها لتسجن في جوفه فتكاد تغلبه في الصراع ليلفظها من فمه واوشك ان يفقد تعقله ويفعلها وهو يرى سيماء الانتظار على وجهها

" صباح الخير ..."

مع صوت (منقذته الابدية) تنفس الصعداء وتشاغل بالارتشاف من فنجانه ليهدأ قليلا بينما يرى تراجع شهرزاد والخيبة على وجهها !

تقدمت سمارا عابسة الوجه وهي تحمل اكوام اوراق في يدها لتقول على عجالى موجهة كلامها لشاهين " اتيت لاحضر هذه الاوراق المهمة ، لقد سهرت على اعدادها ولم يبقّ الا توقيعها من قبلك وسيتكفل باهر او حامد بالباقي "

كان سعيدا ان سمارا لم تتنبه لما كان عليه الموقف بينه وبين شهرزاد والا كانت ستقتله ثم ترميه من اعلى برج شاهق !

اخذ شاهين الاوراق منها بينما يراقب بطارف عينه كيف تعد شهرزاد قهوتها الخاصة ، فتساءل بسره في عجب ، لماذا كل شيء حولها مبهر وفيه سحر ...؟!!

اجفل قليلا بينما سمارا تهتف به بحنق " اياك ان تسهو عن توقيعها او ان اجد الاوراق مرمية في احدى ادراجك المنسية ! "

ضحكت شهرزاد بخفوت بينما عبس شاهين وهو يقول بضيق " لاتعنفيني لشيء لم افعله بعد ! "

تضاحكت سمارا بصوت خافت ساخر قبل ان تستدير لتغادر المطبخ وهي تقول " لاوقت لدي لشكواك الطفولية هذه ! علي اللحاق بتلك العنيدة التي اصرت على انتظاري عند بداية السوق العام "

وضع شاهين فنجانه جانبا وهو يلاحق خطوات سمارا موقفا اياها بالقول " انتظري سمارا .. هل تقصدين هديل ؟! "

التفتت اليه عند باب المطبخ لتتخصر وتقول " نعم ... تلك العنيدة الطفولية الاخرى ! هل علي ان العب دور الام المسؤولة معكم جميعا ؟!" لتضيف بعبوس وهي تلوح بيدها " متى ساتفرغ لاعداد بيتي الخاص لالعب هذا الدور بشكل طبيعي مع اطفال حقيقيين !! "

كان شاهين قد وقف امامها مباشرة ليسأل بضيق واضح " كيف تسمحين لشابة صغيرة جميلة ان تقف في السوق العام لوحدها ؟!

سوق يؤمه كل من هبّ ودب ... هل تعلمين كم نذلا الآن تحرش بها ؟! "

تأففت سمارا وهي تلتفت موليۃ شاهين ظهرها لتتركه وتمشي بينما شاهين يلحق بها مرة اخرى وهو يكمل بصوت غاضب " انت لامسؤولۃ على الاطلاق ! "

فترد عليه سمارا تغيظه " وهل انت المسؤول ؟!! ام انك تريد التغاضي عن كونك السبب في امتناعها عن الحضور هنا بسبب تهورك واندفاعك ؟! "

قال شاهين بنفس الغضب " انا اخاف عليها فهل استحق منها هذا الخصام ؟! الا يكفي انها تتجنبني كلما اتيت لبيتكم ؟! الن تغفر لي ؟ ما معنى مقاطعتها الطفوليۃ هذه ؟! تلك الصغيرة المشاكسۃ تعلم اني لااحتمل غضبها مني "

صوت ضحكات سمارا المتباعدة كان اخر ما سمعته شهرزاد وملامح وجهها تنطق بانفعالات لاتعد ولاتحصى !

التشوش .. الارتباك .. المفاجأة ... واخيرا ... الغيرة !

بعد اسبوع

اخذ يتسلق درجات السلم وشعوره بالضيق والهم يثقلان عليه ، يفترض ان يكون سعيدا بدل كل هذا الضيق !.. فالايام الماضية كانت مليئة ... مليئة .. مليئة ؟!!!

عند هذه الكلمة التي ظلت تتردد في داخله عجز شاهين عن التعبير !

عبس وقدماه ما زالتا تقودانه بتسلقهما على السلالم ليهمس لنفسه " مليئة بماذا بالضبط ؟! هل حقا شهرزاد اصبحت تميل الي ؟ نظراتها الي تقول اكثر من مجرد ميل .... فهل لو صارحتها حقا بما يجيش في صدري ستبادلني المشاعر كما اريد ؟؟ ام انني اعيش حلما خارج نطاق الواقع ؟! "

ازداد عبوسه ليتساءل بحيرة " ما هو الشيء الخاطئ الذي يمنعني من الانسياق وراء تحقيق رغبة مجنونة تسيطر علي لاول مرة في حياتي ؟؟ ما هو الشيء الخاطئ شهرزاد ؟!! ام ان الخطأ مني وانا لاادري !! "

وصل لشقة سمارا اخيرا وبعفوية ضغط زر الجرس متأملا رؤية تلك الصهباء او الحمراء كما يحب خطيبها مناداتها ...

للاسف التقى بأصهب شائب بدلا منها !

قال والد سمارا ببشاشة " مرحبا شاهين ... تعال ادخل .. لماذا تتسمر في مكانك هكذا يا فتى ؟!!! "

قال شاهين وهو يدخل " مرحبا عماه ... هل عادت سمارا ام انها ما زالت مع اياد في السوق ؟"

ملامح غيظ طفولي مرت على صفحة وجه الرجل العجوز ليقول متذمرا " ما زالت بالخارج ... واخر مرة اتصلت بها لاطمئن عليها كانت تتشاجر مع اياد لانه غافلها ودفع ثمن شراء غرفة نوم باهظة الثمن ! فاضطررت ان امتنع عن اخبارها بوجع رأسي الشديد خشية ان اخذ نصيبي من غضبها المتفجر ! وها انا اعاني بمفردي ..."

تبسم شاهين وهو يقول ببعض الشرود

" حسنا .. سانتظرها .. اريد مكالمتها قليلا .."

اخذ والد سمارا يسحبه من ذراعه وهو يقول

" اصبحا افضل الآن بمجيئك .. تعالي وجالسني بنيّ ...مضى زمن لم نتحدث فيه "

لايعرف لماذا وجد نفسه يسأل

" اين .. هديل .."

رد والد سمارا وهو يشير برأسه " انها هناك في الشرفة ... انظر اليها .."

نظر شاهين ناحية الشرفة ليراها بوضع جانبي تقف مستندة بجسدها على حافة السور فقال بعبوس " ماذا تفعل ؟!!! الجو حار في الخارج "

قال والد سمارا " ليس شديد الحر ونسمات الهواء تلطفه "

ثم التفت الاب ناحية ابنته الصغرى ليضيف بابتسامة حزينة " انها ... تغني ..."

ارتفع حاجبا شاهين قليلا وهو يردد بتساؤل

" تغني ؟!!! "

ثم ركز شاهين نظراته عليها ليكتشف انها تضع سماعات في اذنيها وتمسك بيدها مشغلا صغيرا للاغاني والموسيقى ..

قال الاب بحنان شديد ..

" اجل ... تغني مع فيروز .. منذ فترة وهي تلح بسماع فيروز فتضع السماعة في اذنيها وتنعزل عنا .."

ليضيف بشجن ونبرة عجز " انها تناجي امها ... تريد منها دعما .."

" تك تك تك يام سليمان .. تك تك تك جوزك وين كان .. تك تك كان بالحقلة .. عم يقطف خوخ و رمان ..يا ستي يا ست بدور .. شوفي القمر كيف بيدور .. و الناطورة بدا شمس ..و الشمس بعقد المرجان "

كان الاب يردد تلك الكلمات بحنين يأسر القلب بينما شاهين ينظر لهديل بعجب لايفسر ..

بدت شابة جدا .. مسيطرة جدا رغم وقفتها الشاعرية .. تسبل اهدابها وشفتاها تتحركان بنفس الكلمات ثم رفعت سبابتها اليمنى تعقفها قليلا وتنقر بها في الهواء ..

تك تك تك ...

لايعلم كيف خرج السؤال من فمه بعفوية

" ما الذي يؤرقها ؟! "

رد الاب بهدوء " قول..... نعم ..."

التفت شاهين نحو الاب ليسأل بحيرة

" نعم لأي شيء ؟! "

رد الاب ببساطة " لشاب يبدو انه واقع في غرامها ومصر على الارتباط بها .."

تصلب شاهين ليسأل بتوجس " زيد ؟! هل تقصد .. زيد ؟!! لكن .. ألم ترفضه ؟!!"

قال الاب بابتسامة لامعنى لها " اجل ... رفضته في البداية لكنه اعطاها مهلة شهر لتعيد التفكير بالموضوع .."

ثم عبس الاب قليلا وهو يسأل " ألم تخبرك سمارا ؟! "

هزّ شاهين رأسه بالنفي وشعور بالغضب يتسلل اليه بينما اكمل والد سمارا كلامه وهو يتنهد بشكل متعمد قائلا

" كنت اتمنى لها شابا اكبر سنا ليدللها ويحتويها فيكتشف شعلتها المبهجة "

التفت شاهين اليه فجأة فاطرق الاب ليقول باستسلام حقيقي

" لكن .. لابأس .. زيد هذا يبدو متيما بها .. سيعتني بها جيدا كما ... اتمنى ..."

عندها قال شاهين بنبرة غريبة " اسمح لي عماه بالتكلم معها ..."

رفع الاب رأسه لشاهين ثم ابتسم ليقول ببساطة " مؤكد اسمح لك بنيّ ... انت الرجل الوحيد الذي اشعر عن يقين ان ابنتي في امان معه ..."

لم تترجل من السيارة رغم توقفها بينما تبدي ملامح الاستسلام وهي تكلم شهرزاد على هاتفها النقال ....

قالت سمارا متنهدة " حسنا .. انا لم اقتنع انك تستمتعين بـ(وحدتك المزعومة) يوم الجمعة في شقة طويلة عريضة تسكنيها بمفردك الا اني احاول صدقيني "

ضحكت شهرزاد على الجانب الآخر وهي تقول " ألايكفيك عدد الاطفال الذين تلاحقينهم هنا وهناك لتضمي طفلة جديدة ؟!"

عبست سمارا وهي غافلة عن تحديق اياد بملامح وجهها باستمتاع لايوصف ، انه يراها امرأة خلابة مليئة بالحنان والحب والاهتمام الحقيقي الذي تغدقه على الجميع .. كتم تنهيدته وهو يصبر نفسه لقرب عرسهما الذي سيمنحه كل الحق ليحصل هو الآخر على النصيب الاكبر من حب هذه الحمراء التي ارهقته لسنوات ...

قالت سمارا بمحاولة اخيرة مع شهرزاد " ستندمين لانك لن تتناولي معنا الافطار الخاص الذي سيحضره اياد ، لقد وعدني بوليمة لاتنتسى... "

فردت شهرزاد برقة " صدقيني اتمنى لو استطيع لكني فعلا احب قضاء يوم الجمعة بمفردي .. في بيتي الخاص .. مملكتي الصغيرة ... ارتب .. انظف بنفسي .. اغسل ملابسي .. افعل كل ما اشاء بحرية شديدة .... اسهر على برنامجي المفضل .. ارقص على الموسيقى .. التهم كتبا جديدة ..

امارس رياضة عنيفة ... باختصار امارس جنوني الخاص ومؤكد لااحتاج لمتفرجين ..."

ضحكت سمارا لتقول بشقاوة " استمتعي اذن يا عنيدة وانت الخاسرة فأنا ام جيدة و ديمقراطية وكنت ساسمح لك بالسهر حتى الساعة العاشرة مساء .."

ضحكت شهرزاد عاليا بينما اجفلت سمارا وهي تشعر بانامل اياد تمتد لتداعب خدها فحدجته بنظرة تأنيب فتبسم لها بشغف بينما تنهي سمارا المكالمة مع شهرزاد قائلة " حسنا اذهبي يا شقية ومعك ارقام هواتف الشرطة والاسعاف والاطفائية في حالة خرج جنونك عن نطاق السيطرة ..!"

ودعتها شهرزاد ضاحكة بينما التفتت سمارا لاياد بملامح مغتاظة وقبل ان تعبر عن استيائها منه همس لها بصوت عاشق ونظرات عينيه تعبر مسبقا عن كلماته " قبلة واحدة يا حمراء ... وبعدها يمكنك معاقبتي وارسالي للنوم منذ الثامنة ودون عشاء ! "

اغلقت الهاتف مع سمارا ثم رمته الى جانبها على الاريكة ورفعت ذراعيها للاعلى تتمطى بتكاسل لتقف بعدها على قدميها وهي تتطلع للساعة الجدارية الدائرية فقالت باستدراك وهي تمد يدها لعقدة شعرها تحلها " سيبدأ البرنامج بعد عشر دقائق لاغير .."

تحركت حافية القدمين مرتاحة بمنامة قطنية بسيطة لتتجه نحو المطبخ حتى تعد كوبا كبيرا من الشيكولاته الساخنة... رفيقها المميز وهي تتابع برنامجها المفضل عن عالم الاقتصاد والمال !

تبسمت وهي تفكر ان والد سمارا في اسبوع واحد جعلها تدمن نفس البرنامج وتتابعه بشغف وتحفز ...

عادت بعد دقائق بكوبها الضخم ذي الالوان الزهرية ترتشف بتلذذ الشيكولاته الحارة عندما مرت قريبا من باب الشقة فجذب اذنيها اصوات من الخارج ..

دُهشت لتلك الجلبة غير المعتادة فهي الساكنة الوحيدة في هذا الطابق الذي لايضم الا شقتين متقابلتين فاخرتين يفصلهما ممر طويل نسبيا ...

عقدت حاجبيها قليلا والجلبة تتزايد نوعا ما دون ان تفهم ماهيتها ...

تقدمت من العين السحرية لباب شقتها تنظر ماذا يحصل بالخارج ، ارتفع حاجباها قليلا وهي ترى عمالا ينقلون بعض الاغراض المنزلية يشرف عليهم الحارس الامني ..

همست ببعض الحسرة الطفولية " هل سيأتي
من يشاركني هدوء المكان وينغص علي
وحدتي ؟"

تنهدت وكانت على وشك الابتعاد عندما
لمحت عينها من خرج من باب الشقة المقابلة
لينضم للجمع في الخارج ...

شهقت بعنف والرجل يستدير بوجهه اليها ..
ينظر مباشرة نحوها وكأنه يراها كما تراه !

ابتسمت العينان الزرقاوان تتبعهما الشفتان ثم
عاد واستدار ببساطة نحو العمال قائلا

" اسرعوا قليلا فلا نريد ازعاج ..... الجيران !"

الفصل الثالث عشر

" انا .. لا .. اصدق ! "

همستها المخنوقة خرجت من بين شفتيها بتعثر كتعثر خطواتها وهي تتراجع للخلف بعيدا عن الباب بينما كوب الشيكولاته يسقط من يدها ارضا لتنسكب محتوياته دون ان ينكسر ....

عادت لتهمس وقلبها لاتهدأ خفقاته

" لا.. اصدق ..."

اشرقت عيناها بدموع لاتعرف تفسيرها بينما استدارت بعنف لتسير بخطوات مجنونة نحو غرفة نومها ..

كانت تلهث ودموعها تسيل على خديها بينما تفتح ابواب خزانتها الكبيرة لتخرج حقيبة سفر كبيرة وتضعها على السرير وتفتحها بيدين مرتجفتين...

شهقات مخنوقة تملأ صدرها بينما تتحرك نحو الخزانة لتخرج ملابسها بحركات عنيفة عشوائية وترميها في الحقيبة المفتوحة ..

تشهق والكلمات تشهق معها ! " انا .. سارحل ... ساترك .. المكان ... لن .. ابقى قريبة منك .. انت ... انت .... انت ....!"

كانت قد وصلت لمرحلة الانهيار واصبحت الرؤيا معدومة من فيض دموعها وهي تعجز عن اخراج ما في يحرق فؤادها ....

عادت للتترنح لتسقط بضعة ملابس من يدها بينما تتوجع بالكلمات " انت .... انت ... خنــ .... خنـــ...تنــ..ي... خنتـــ... ني .... خنتني ... آآآآآآآآآآآآآآآآآآآه .... آآآآآآآآآآآآآآآآآآآه "

الالم يعلو ويعلو وصرخاتها تشق روحها قبل صدرها ... كأن الألم يعاني مخاض خروجه الخاص ويا ليت يولد ميتا !

سقطت باقي الملابس من يدها بينما تنهار جسديا وساقاها تنطويان تحتها لتقع جالسة على الارض تشهق ببكاء وألم " خنتني ... خنتني ... خنتني ... معها .... خنتني معها هـ...يثم ... مع ...نو...نورر.....ا .... آآآآآآآآه ... آآآآآآآآه .. يا الهي .... ما .. هذا .. الألم ! "

اخذت تبكي وتبكي كما لم تبكي في حياتها من قبل ... بكت وكأن روحها تحتظر ... لا ... ليس روحها ... قلبها ...من يحتظر ...

مالت بجذعها حتى توسدت بجانب وجهها الارضية المفروش بالسجاد الفاخر ، و آهات الألم تتباعد لتتحول الى همهمات ناعمة متراخية ..

استكانت شهرزاد على هذا الوضع لوقت لاتعرف كم امتد ... مغمضة العينين وقد انتفخ جفناها واحمر انفها وشفتاها ..

الدموع غسلت وجهها بالكامل لكنها ... شعرت براحة غريبة !

كأن دموعها اطفأت النيران ولو وقتيا ... نيران كانت تتجاهل حممها .. تتجاهل ألم حريقها ... بل كانت ترفض الاعتراف بوجود الألم !

فتحت جفنيها ببطئ وهي تهمس " لا ... ليس الدموع شهرزاد من اطفئ هذه النيران ... انه ... الاعتراف ... الاعتراف بما ... حصل ... بما فعلاه بك ... بما ... فعله ... هو بالذات بك!"

شهقات بكاء جديدة ... مختلفة في معناها وكأنها موسيقى الختام الهادئة لحفل صاخب!

ساد الصمت ... وسكنت ملامحها تماما ... ثم بهدوء رفعت نفسها لتقف على قدميها ، وبنفس الهدوء اخذت تلملم الملابس من على الارض وبدلا من ان تضعها في الحقيبة اعادتها بترتيب مميز لخزانتها !

ثم فعلت المثل بباقي الملابس التي رمتها رميا في الحقيبة وعندما انتهت أعادت للحقيبة واغلقتها ثم اعادتها لمكانها في زاوية الخزانة لتغلق الخزانة اخيرا وهي تقول " لن اغادر هيثم ... قد يفرحك هذا لكن سيفرحني اكثر ان اثبت لنفسي اني اقوى من الهروب منك ...."

تحركت بخطى منهكة نحو حمامها الداخلي فاغتسلت وبعد دقائق غادرت غرفتها متوجه نحو المطبخ بصمت فاحضرت سائل التنظيف وقطعة قماش ثم عادت لتنظف مكان كوب الشيكولاته المنسكب قرب الباب ...!

لم ينتظر الاذن منها وهو يقترب وقبل ان تشهق سمارا باعتراض اوهنه اياد بما سعى اليه ... قبلة !

كانت ترتجف من ملامسته لها وظهرها ملتصق بالباب خلفها بينما كفاها على صدره يفترض ان تؤديا عملا ما كدفعه بعيدا مثلا ؟!

الا انه يبدو ان كفيها قررتا الاستكانة لجنون نبضات قلبه تحتهما ...

لم تعرف ما حصل لها وهي تدرك انها ترتعش بين ذراعيه بينما ابتعد بشفتيه ليستقر خده على خدها وهو يهمس بانفعال عاطفي مكبوت :

" هل .. رأيت ؟؟ بامكاني.. التوقف متى ... اشاء ... رغم اني سأجن قريبا بكل هذا الكبت الذي امارسه على نفسي لاجلك "

كانت ما تزال تغمض عينيها وترتعش لكنها همست بصعوبة " أ ..أياد .. اياد .. ار...جوك "

انفاسه الحارة لفحت بشرتها وهو يتنهد ويهمس " كيف ساصبر ثلاثة اسابيع كاملة ؟! "

ابتلعت ريقها بمعجزة بينما قلبها يتخبط في صدرها وابوابا طال غلقها في وجه مشاعرها تفتح الآن دون اي استئذان منها !

شفتاه لامستا خدها ليهمس باختناق " اذهبي حبيبتي .. لن استطيع النزول والبقاء معك الآن ... "

هزّت رأسها كالبلهاء بينما تستغل ابتعاده لتفتح عتلة الباب بتخبط فغادرت السيارة دون قول كلمة بينما اياد يناظر بعشق خطواتها غير الثابتة ..

ضحك بخفة تملؤه سعادة فيّاضة بينما يهمس وهو يراها تختفي عن ناظريه " انت الحلم ياحمراء ... وما احلى ان اتذوق الحلم ؟!"

" هديل ..."

لم تتنبه له وهي ما زالت على اغماضة عينيها واندماجها الكامل بترديد اغنيتها المفضلة .

تطلع لملامحها بتدقيق لم يتعمده ليكتشف لاول مرة انها لاتشبه سمارا كثيرا !

دوما كان يتصورها كنسخة مصغرة عن سمارا مجرد نسخة متمردة !

الان يعترف ان هديل هي ..هديل ... كيان مستقل ... كيان .... مجهول !

عبس لهذه الفكرة ! كيف يمكن ان تكون هديل كيان مجهول بالنسبة له وقد كبرت امام عينيه وكان يناصرها دوما في تمردها ويدللها احيانا ليغيظها احيانا اخرى ...

كيف يجهل هذه الطفلة الرائعة التي كانت تمنحه شعورا بالفخر كلما وصلته اخبار ثوراتها ضد كل شيء خاطئ يحصل حولها ..

كان فخورا انها استطاعت تحويل ثوراتها الداخلية وروحها الهادرة نحو مناصرة اهداف حقيقية ...

لكن في جانب اخر ظل ينظر اليها كطفلة ! فقط طفلة جديرة بالتميز ومبعثا للفخر ..

ازداد عبوسه وهو يفكر " اذن اين الخطا يا شاهين ؟! هل كنت تريدها ان تظل طفلتك المتمردة فلا تدخل عالم الكبار فتحب وتُحب ؟ ام انك لاتعرف ببساطة كيف تجد الطريق لتنظر اليها كناضجة ؟!!! "

همس شاهين بتذمر " ما هذه السخافات ؟!!!"

" شاهين ! "

صوتها المتفاجئ نبهه لتنبهها لوجوده ، تبسم بشكل عفويّ وهو يقول برقة مشاكسة " بل انا روح شاهين الغاضبة أتت اليك في ظلمة الليل لتلقي عليك لعناتها "

ضحكت رغما عنها لتكتم ضحكتها سريعا وهي تحيد بوجهها بعيدا عنه تلتزم الصمت وهي ترتكز بكفها على حافة السور ..

كانت تحاول ان توحي بالهدوء لكنه ببساطة قرأ اضطرابها الصامت ....

قال بحنان " هل ما زلت غاضبة مني ؟! "

شعر بتشنجها رغم انها لم تبدي اي ردة فعل ليتنهد ويضيف " اعترف اني بالغت كثيرا هذه المرة ... لكن ... كله لاجلك .."

التفتت اليه بحدة لتقول " ليس لاجلي ! انت تفعل هذا لانك تعتقدني مجرد طفلة صغيرة لاتجيد الدفاع عن نفسها "

توتر قليلا لكنه التزم الحيادية وقال بتماسك " ربما لدي شعور حماية مزعج لمن حولي " ليطرق قليلا وهو يضيف بعفوية " ربما لان لدي عقدة اني لم امنح امي حماية تكفيها فلجأت للزواج من رجل اخر بعد وفاة ابي ..."

ساد الصمت واتسعت عينا شاهين مذهولا بما صرّح به للتو ! لقد كان يثرثر مع هديل لااكثر ليمنحها بعض الاسترخاء فكيف خرجت تلك الكلمات العجيبة من فمه ؟! لاول مرة يقولها فهل كانت قابعة في اعماقه دون ان يشعر بوجودها ؟!!!

لتفاجئه هديل بالقول بنبرة هادئة تفيض عذوبة " قد اكون صغيرة في نظرك لكن عندي من الادراك لاعرف ما انت ايضا تعرفه في اعماقك ان والدتك كانت تحتاج لاكثر من حماية رجل ! والا صدقني كانت اكتفت بك ..."

رفع عينيه اليها مصدوما بعض الشيء لتبتسم له باشراق وتضيف " لاتبدي ملامح الصدمة هكذا يجب ان تعتاد اني كبرت حقا واصبحت افهم وادرك ان الزواج يمنح دعما واستقرارا والفة ، سعادة المشاركة وبناء البيت والمستقبل "

لتغيم نظراتها وهي تقول بصوت مرتعش مسه في الصميم " ليت ابي فعل مثل والدتك فربما كان وجد سعادة تعوضه عن السعادة التي فقدها بفقدان امي "

ارتبك ! ... لايعرف مصدر ارتباكه بالضبط !! لكنه وجد نفسه يقول ببعض التشتت " هل لهذا تريدين الزواج من ذلك الذي يدعى زيد ؟! "

تلاشت مشاعر الدفء والتأثر من نظراتها ليكسوها الألم وهي تقول بتحشرج

" زيد يحبني "

طاقة من غضب اعترته ! لكنه قاوم وهو يسأل بنبرة متوترة " وانت ... هل استطيع ان اسألك عنك انت ... هل تحـ .. اقصد تبادلينه ... شعوره ...؟"

حادت براسها جانبا واختارت نسائم الهواء هذا التوقيت تحديدا لتطير خصلات شعرها فتحجب عنه تعابير وجهها بالكامل مما هدّد بانفجار غضبه ليصله صوتها محملا بالمعاني غير الواضحة " هو سيعلمني حبه ... "

تشنجت قبضتا شاهين وهلع غريب سيطر عليه ليقول من بين اسنانه " اذا كنت لاتحبينه فلماذا الاستعجال بموضوع الزواج اصلا ؟؟! انت ما زلت صغيرة جدا ..."

التفتت اليها بقوة تحدجه بقسوة فسارع ليفسر والتوتر يتصاعد في داخله " لاتفهميني خطأ .. انا لااقصد انك صغيرة على فكرة الزواج وانما قصدت انك ما زلت في اوائل العشرينات وما زال امامك الكثير من الوقت لترتبطي بانسان تبادلينه المشاعر حقا "

سكن الغضب في عينيها وحل محله تعبير غريب لتقول بصوت اغرب " لو سمحت شاهين اريد ان اظل بمفردي الآن ... دعني افكر واقرر وصدقني لن اتخذ قرارا متسرعا ابدا ... " لتلمع عيناها وهي تضيف " اذا كان التسرع هو ما يقلقك ! "

لقد اربكته ! هذه الطفلة الصغيرة اربكته بشكل عجيب .... لم يشعر يوما بهذا ...

راقبها كيف اعادت وضع السماعات في اذنيها لتضغط زر التشغيل وتغمض عينيها منعزلة تماما عنه ... وعن كل شيء !

تركها وغادر الشرفة غارقا بافكار كثيرة كلها غير واضحة المعالم وبينما يتحرك سمع صوت الباب ليرى سمارا تدخل ....

خرج هيثم من حمامه الذي يستخدمه لاول مرة في شقته الجديدة يلف منشفة كبيرة حول وسطه بينما يجفف صدره ثم شعره بمنشفة اخرى، شعر بالانتعاش بعد انهاك اليوم وهو ينتقل للشقة الجديدة...

تحرك ناحية الخزانة الكبيرة الممتدة بستة ابواب وبدلا من ان يفتح الباب التي تضم ملابسه فتح الباب التي جعلت عيناه تلتمعان بالمشاعر !

مد يده يلامس برقة ملابسها التي علّقها بنفسه وبعناية شديدة ، همس متنهدا " ما اروع ملامسة اشيائك!"

ثم رفع طرف الثوب يمرغ فيه وجهه ويهمس بعاطفة جيّاشة " اخيرا انا قريب منك مرة اخرى ، كان عذابا ان ابيت تحت سقف لايجمعك معي.."

طبع قبلة حارة على طارف الثوب وهو يقول بابتسامة حارة " صحيح ليس بالقرب المطلوب لكن على الاقل اراك كل يوم واشعر بوجودك دائما واطمئن انك على بعد خطوات لااكثر ... " ليضيف بصوت مبحوح " هذا يمنحني القوة شهرزاد ... القوة لاجعلك تعودين ... تغفرين.."

ترك طارف الثوب ينزلق بنعومة من بين اصابعه وهو يتنهد ثم اغلق باب خزانتها التي خصصها لملابسها ، ملابس تعمد عدم ارسالها لها مع بقية اغراضها ...

ثم تحرك نحو خزانته ليفتحها ويلتقط ملابسه وهو يقول بارهاق " انا بحاجة لنوم عميق ... نوم يعيد الي صفاء ذهني تماما "

بدت سمارا مشتتة قليلا ووجهها محمرا فسأل شاهين دون تركيز " ما بك ؟ لاتبدين بخير "

تنحنحت سمارا قليلا ثم قالت تخفي خجلها " لا .. لاشيء ... متعبة قليلا من .. السوق "

ابتسم شاهين بشرود فنظرت اليه باستغراب بينما عيناها لمحتا من بعيد اختها هديل واقفة في الشرفة ...

عبست قليلا وهي تسأل " هل كنت تتكلم مع هديل ؟"

رد شاهين ببعض التعثر الغريب عن شخصه " نعم ... كنت .. اكلمها عن .. مستقبلها ..."

ازداد عبوس سمارا وهي تقول " انت علمت عن موضوع طلب زيد الذي تعيد التفكير فيه .. صحيح ؟"

نظر شاهين لسمارا ليقول فجأة " احتاج للتكلم معك بموضوع مهم ..."

هزّت رأسها بالموافقة بينما تسأل " اين ابي ؟! "

هزّ شاهين كتفيه بينما يأتيها صوت والدها من غرفته قائلا " انا هنا يا ابنتي ، تكلمي مع شاهين وسالحق بكما حالما انهي قراءة القرآن "

تبسمت سمارا وهي تهز رأسها بينما تهمس لشاهين " عندما يريد يصبح سمعه ثقيلا وبحاجة للذهاب للطبيب وشراء سماعة خاصة! ثم فجأة تعود الذاكرة لاذنيه وتسمع حتى دبيب النمل! "

ضحك شاهين بينما تتحرك سمارا امامه نحو غرفة الضيوف ليلحق بها وهو يشعر انه لم يعد يعرف بمَ سيكلمها فعلا !

حاول ترتيب افكاره ليجفله صوت سمارا وهي تقول " ما بك تقف هكذا ؟!! تعال واجلس انا مرهقة جدا لاجاملك بالوقوف معك ..."

تحرك شاهين ليجلس على كرسي قريب لكنه الصمت فرض نفسه عليه ! او ربما الحاجة لالتقاط الانفاس والتفكير مرة اخرى في غايته من الحضور هنا والتكلم مع سمارا من الاساس ...

قالت سمارا وهي تميل برأسها قليلا " ما بك شاهين ؟؟ هل ازعجتك هديل ؟"

رفع عينيه اليها وقال باستدراك " هديل ؟! لا ... لم تفعل .." ثم صمت للحظة قبل ان يقول " لااعلم ربما ازعجني اصرارها على التفكير بربط نفسها بشاب لاتشعر نحوه بالعاطفة الصحيحة "

شاب الهدوء نظرات سمارا لتقول بصراحة عميقة " وهل انت تشعر بالعاطفة الصحيحة نحوها ؟! "

رد شاهين بانفعال " نعم مؤكد انها هديل الصغيرة التي اخاف عليها دوما واحميها حتى من نفسها ان لزم الامر "

ارتفع حاجبا سمارا قليلا قبل ان تقول بنظرات غريبة " انا لااتكلم عن هديل ! انا اتكلم عن شهرزاد ..."

تجمدت ملامحه وشعر بانقلاب في داخله فعجز عن الرد !

قالت سمارا بلطف " انا حذرتك من الاقتراب منها شاهين ، قلت لك انها في مرحلة حساسة جدا ، شهرزاد لم تتخطَ ما فعله معها زوجها ، لم تتخطَ عشقه الذي سكنها منذ الصغر "

توحشت عينا شاهين ليهب واقفا على قدميه وهو يقول بغضب " لماذا تصرين على قول هذا ؟! لماذا لاتساعديني لانال من تحركت مشاعري نحوها بقوة ؟!"

عندها فاجأته سمارا بالقول " ما نوع مشاعرك نحو شهرزاد يا شاهين ؟؟! "

شعر انه لم يفهم مقصدها فقال بتذمر " ما هذا السؤال يا سمارا ؟!! انت تعرفين كيف اشعر ومنذ اول مرة التقيتها ..."

وقفت سمارا هي الاخرى وقالت " لا ... لاعرف بالضبط توصيفا لشعورك ! انا .. حائرة .. "

اتسعت عينا شاهين في ذهول ليقول بتحشرج " هل تشككين بحبي لها ؟! قد اتفهم تشكك بمشاعرها هي نحوي لكن انا ؟! انا سمارا ؟!! "

ردت سمارا وهي تزم شفتيها " لاتغضب هكذا ، انا احاول مصارحتك لتفكر بشكل اكثر عمقا بمشاعرك ... " ترددت قليلا ثم قالت ببعض التوجس " هناك ما .. يحيرني فيك .. ما لاافهمه ! الامر .. لايتعلق بشهرزاد فقط "

عقد شاهين حاجبيه وهو يتساءل بضيق " ماذا تقصدين ؟ اوضحي معنى ما تقولين ارجوك "

عندها اسبلت سمارا اهدابها وقالت بنبرة غامضة " لااستطيع ! ببساطة لااستطيع "

ثم رفعت نظراتها اليه فجأة لتضيف " استكشف الامر بنفسك ، افهم مشاعرك شاهين ، مشكلتك انك رجل باخلاق فارس ! .."

تشتت شاهين اكثر وهو يسألها برجاء " لاتتوهيني اكثر سمارا ، انا جئت اليك لتساعديني "

تنهدت وهي تقول " اسفة شاهين ... ليتني استطيع ان اصارحك بكل ما في نفسي ! "

عند منتصف الليل وعلى كرسيه الجلدي في مكتبه يتأرجح يمينا ويسارا وتلك التميمة تلمع بيده ...

انارة خفيفة حاوطته بينما افكاره تتلاطم ، اغمض عينيه وتذكر وجهها الرقيق الذي يتوسل رجولته ! منذ اول لقاء ... رآى هذا التوسل الذي لاتتعمد اظهاره بل هو يعلن عن نفسه بجدارة ... ليكون مقدرا له ان يسقط هو في الفخ ! فهل كان له الخيار ؟!!

انحنى برأسه قليلا وابتسم ساخرا من نفسه وهو يلامس التميمة بين اصابعه ، هل كتب عليه ان يكون ممن يلقي عليهم الحب بتعاويذه العشوائية ؟

هل الحب قدر لافكاك منه ؟ ام انه اختبار لقوة الارادة حتى نملك ان نختار ؟!

رجع برأسه للخلف يسنده على اعلى كرسيه ليهمس " حالك لايعجبني يا شاهين ! انت عار على اي رجولة ومؤكد لاتمت للفروسية بصلة ! "

ضحك من قلبه وهو يتذكر كلام سمارا عن كونه باخلاق فارس ثم خفتت ضحكته ليتساءل فجأة " ماذا تخبئين عني يا سمارا ؟ ماذا يمنعك من مصارحتي كعادتك ؟! "

صباح اليوم التالي

كانت هديل تعد الشاي للجميع بينما عيناها تراقبان باستغراب ودهشة حركات اختها الخرقاء وهي تفتح خزانات المطبخ بطريقة عشوائية حتى وجدت الصحون اخيرا ! ثم اخذت تفتح اكياس الطعام الورقية التي احضرها اياد قبل قليل ..

لقد بدت مشوشة نوعا ما ووجنتاها محمرتان بشدة ! ضحكت هديل في سرها وهي تتساءل هل اصبح اياد يثير فيها كل هذا الخجل والارتباك ؟!!

نظرت سمارا لاختها الصغرى لتقول بصوت مبحوح " انا .. ساضع الطعام على المائدة .. انت احضري الشاي و ... انا ... ساناادي ابي و .. اياد "

رفعت هديل حاجبيها عاليا وهي تنظر لملامح اختها التي تنطق بخجل فظيع ! لم ترها يوما هكذا !

تهربت سمارا من تفحص اختها الصغرى وسارعت لحمل الصحون لتغادر المطبخ وهي تكاد تتعثر في خطواتها !

همست في سرها بغيظ شديد " يا الهي .. لاافهم كيف تسلل الي اياد في حلمي هو وقبلته المجتاحة لاصحو على صوت الجرس فاجده مبتسما بفخر امامي وعيناه تذكراني بما حصل ليلة الامس ! "

كزّت على اسنانها وهي تشعر بوجهها يحترق خجلا لتعبس بشدة وهي تتحرك نحو غرفة الضيوف حيث اصر والدها على مجالسة اياد هناك ..

ما ان وصلت هناك حتى تبخر غيظها وحلّ الارتعاش الرقيق لتنظر في عينيه اللتين رفعهما اليها حالما دخلت عبر الباب ..

عيناه ليستا خضراوين تماما ، تبدوان بالوان متعددة والآن وهو ينظر اليها هكذا تبدوان بلون غامق لاتعرف له توصيفا محددا ...

تنحنحت وهي تقول " الافطار ... جاهز .."

كان الافطار محنة لها وهي تتجنب النظر اليه وقد اختار الجلوس امامها مباشرة ، همست في سرها بغيظ من نفسها " مراهقة سخيفة انت يا سمارا ! كيف ستتزوجين بالرجل بعد ثلاثة اسابيع ؟!! "

شهقت بينما تشعر بقدمه تضرب ساقها بخفة فرفعت عينيها اليه لتجده يبتسم بمشاكسة ويعتذرا قائلا " آسف .. "

كزّت على اسنانها بقوة وهي تعود لحديث النفس " تسخر مني يا اياد ؟! حسنا ... سترى ..."

بحركات شبه حادة غادرت كرسيها وهي تحمل الصحون الفارغة متوجهة نحو المطبخ ، سمعت اصوات تحركاتهم جميعا وصوت والدها الذي كان يشكر اياد على الافطار الرائع وهمهمات لم تفهمها لاختها هديل ..

اصرت على غسل الصحون بنفسها وطردت هديل خارج المطبخ ، لقد كانت غاضبة وتريد الانفراد بنفسها !

لاتعرف حقا هل هي غاضبة ام ان الغيظ يتغذى على مزاجها الناري !

كانت تنشف الصحون وهي تفكر بهديل ، عقدت سمارا حاجبيها وافكارها حول اختها الصغرى تحيطها الحيرة والقلق " انها هادئة اكثر من المعتاد ، والبارحة كانت تتكلم ببرود شديد عن شاهين وحوارهما معاً "

همست لتفسها بحيرة اكبر " ما الذي يجمع بينكما حقا ؟! لقد اصبحت متيقنة ان هديل ما زالت تكن مشاعر لشاهين بل ان مشاعرها نضجت بنضوجها لكن .. المشكلة في شاهين نفسه ! لااستطيع ان ابرر غيرته على هديل واعطيها سمة الاخوة ، انه لايحتمل فكرة اقتراب اي شخص منها ! لم يكن يخاف عليها سابقا بهذه الطريقة كان دوما يثق انها قادرة على حماية نفسها لكن ... "

عبست وهي تكمل بيقين راسخ " لقد كان يثق بطفوليتها كما يثق بقوتها ! انه يصر على النظر اليها كطفلة قوية ويرفض رفضا قاطعا في داخله رؤيتها كشابة ! "

تنهدت وهي ترمي المنشفة الصغيرة جانبا ليجفلها صوت و ... لمسة ..

" ماالذي يزعج مالكة قلبي ؟!"

يده على خصرها وهي تلتفت بقوة اليه لتواجهه ففاجأها باقترابه اكثر حتى اصطدمت بصدره !

تشتت الكلمات منها وهي تضع يديها على صدره تحاول دفعه بعيدا وتهمس بتحشرج " ابتعد اياد .. ستدخل هديل او حتى ابي ! "

رفع يده يلامس خصلات شعرها وابتسامته الجذلى تداعب شفتيه ليهمس " هل انت قلقة على هديل يا حمراء ؟!"

ردت بارتعاش وهي تحاول التركيز " انا .. نعم .. انها تبدو مشتتة رغم سكونها الخارجي و قد.... توقف اياد .. ارجوك "

كان قد اخذ يلامس عنقها بانامله مما جعلها تفقد تسلسل افكارها عن هديل ، ضحك بخفة وهو يميل قليلا ليهمس " احاول ان اجعلك تسترخين لتتكلمي عمّا يقلقك "

ردت بغيظ " انت لاتجعلني استرخي هكذا بل تشتتني !"

قال بصوت مبحوح " هل التشتت يجعل خديك ناضجين كالتفاح الاحمر هكذا ؟! "

ثم مال دون اسئذان ليطبع قبلة خفيفة على خدها الايمن فشهقت بنعومة ثم همست بتوسل " توقف .. ارجوك .. "

قال برقة " انا اعلم ان هديل تحمل مشاعرا لشاهين ..."

هذه المرة كانت شهقة سمارا مختلفة تماما ، تعبر عن تفاجؤها والاكثر .. تعبر عن احساسها بالحرج لاختها وقد اكتشف اياد مشاعر هديل نحو شاهين ...

اضاف اياد بحنو وهو يلامس خدها " لاترتبكي هكذا سمارا ، انا اعتبرها اختي ايضا ومقدر تماما لشعورها ، كما اني افهم شاهين ايضا "

عبست سمارا وهي تتساءل بحيرة " انا لااستطيع ان افهمه بشكل كامل ! انه يعترف بمشاعره القوية نحو شهرزاد وامنيته ان يرتبط بها في يوم ما لكن ..."

قاطعها اياد قائلا بهدوء " لكنه متشوش المشاعر نحو هديل اليس كذلك ؟! "

هزّت رأسها ايجابا فاضاف اياد بلطف " شاهين شخصية رائعة ، رغم ان لديه طريقة بوهيمية في تسيير امور حياته وانت بطريقة ما شجعته على هذا !"

اعترضت سمارا بقوة " انا ؟! انا شجعته ؟! انا الومه طوال الوقت ..."

رد اياد " تلومينه كأم لاتجيد التعامل مع اطفالها ! تحنق عليهم اذا لم يرتبوا اغراضهم لكنها هي من تعيد التنظيم بدلا منهم في النهاية "

صمتت سمارا تستوعب مغزى كلامه ليكمل " شاهين معتمد على وجودك في الكثير سمارا ، اعترف اني اغار من هذه العلاقة بينكما لكني مدرك لاهميتها لك "

همست " اياد ... لاداعي لان تغار منه ! انه ... فقط ... شاهين ! "

ابتسم وهو يسبل اهدابه قليلا ليقول " اعلم ... اعلم انه شاهين ! " ليتنهد ويكمل " هذه المرة هو محتاج لمواجهة مع نفسه ، ان يقرر بين امرين ، اولهما هل هو عاشق لشهرزاد كأمرأة ام مفتون بما تمثله من صورة لانثى متكاملة ! وثانيهما هل ينظر لهديل كاخت صغرى حقا ام انه ببساطة يتشبث بهذه الصورة عنها حتى لايشعر انه .. خائن ! "

رمشت سمارا وهي تتساءل " خائن ؟! "

رد اياد وهو يهز رأسه " نعم ... خائن لرجولته التي يقيمها هو على اساس حمايته لمن حوله ، يحميهم حتى من نفسه ،

لايريد ان يعترف انه قد حمل مشاعر غير اخوية لها لانه يعتبرها مشاعر خطأ نحوها "

قالت سمارا بتفكير عميق " هل تقصد انه يشعر في داخله بشيء نحو هديل فعلا ويرفض الاعتراف به لان يشعر ان هذا ضد مبادئه ؟! "

هزّ اياد كتفيه قائلا " كل هذه تكهنات من خلال مراقبتي له ، انه شخصية معقدة رغم بساطتها ! اراه لايعرف حتى كيف يعبر عما يختلجه من مشاعر ، لايعرف حتى يفسرها لنفسه "

شردت سمارا بينما اياد يبتسم بفرح وهو يراقب عن هذا القرب ملامحها الحبيبة كيف تعبر عن انفعالاتها العاطفية ..

يده تحركت على خصرها تلامسه بينما يده الاخرى تلامس شعرها ليهمس بصوت مبحوح " هل علمت الآن كم انت محظوظة بي يا حمراء ؟ انا علمت انك نصفي الآخر منذ رأيتك .. خجولة .. نارية .. عاطفية .. امومة متدفقة ... "

اتسعت عيناها وهي تنظر اليه وقد اخرسها تغزله فابتلع ريقه بوضوح وهمس بصوت مبحوح " البارحة كنت معي .. في كل احلامي .. بل هو حلم واحد اخذ يتكرر .. انت .. بين ذراعي .. في ظلمة السيارة ... و ..."

" سمارا يا ابنتي ... احضري خطيبك مع القهوة ..."

ضحكت سمارا وهي تداري وجهها المحمر بينما اياد يتمتم بغيظ " توقيت رائع ! "

قالت بعذوبة وهي ترفع اليه عينين تلتمعان في سعادة " انا ممتنة لانك تكلمت معي بخصوص شاهين وهديل ..."

ابتسم وقال برقة " انا دوما في الخدمة ياحمراء "

تلهث من كل التمارين الرياضية المجهدة التي تمارسها منذ الصباح الباكر ! لكنها تشعر بالراحة .. الطاقات السلبية تتبخر والذهن يتخلله صفاء مميز ...

مسحت العرق عن جبينها ونظرت نحو الساعة لتجدها تشير للعاشرة !

قالت شهرزاد لنفسها " حسنا ... يكفي هذا ... حمام طويل مميز ثم التفرغ لامور البيت "

تحركت شهرزاد بخطى ثابتة لتدخل غرفتها ومنها نحو حمامها ، خلعت عنها ملابس الرياضة المكونة من بلوزة ضيقة بلا اكمام وبنطال قصير يصل لمنتصف فخذيها

كانت تشعر بهدوء مريح وكأن انهيارها بالامس لم يكن !

ملئت حوض الاستحمام بالماء واختارات احدى قناني الاملاح المعطرة التي لاتستغني عنها واضافت منها للماء الدافئ ثم ادخلت نفسها فيه لتشعر بمزيد من الاسترخاء فتبسمت في رضا .....

تمطى هيثم ليرخي عضلاته المتشنجة ، منذ ساعتين وهو يعكف على هذه الاوراق التي احضرها له مساعده منذ الساعة الثامنة صباحا ...

ابتسم هيثم وهو يتذكر وجه مساعده الذي لم يستطع اخفاء شعور الصدمة من الظهور على تعابير وجهه ! لم يستوعب معنى انتقال رئيسه لهذه الشقة .. والافدح عرض بيته الفخم للبيع !

تراجع هيثم بظهره للخلف في كرسيه الجلدي ، تطلع حوله للمكتب المصغر الذي اعده في شقته الجديدة ، انيق .. عملي .. مجهز بكل شيء قد يحتاجه ...

ابتسم وهو يتطلع عبر الباب المفتوح للغرفة
ليمتد بصره الى باب ابعد ... باب شقته الذي
يفصله بممر طويل عن .. باب شقتها ...

معشوقته التي تجافيه ....

اتسعت ابتسامته وهو يفكر انه لم يكن
يعتقد انه النوم العميق سيعود له لمجرد انه
يسكن قريبا منها هكذا ...

لقد جافاه النوم كجفائها له مما جعله متوترا
خلال الاسابيع الاربعة الماضية ...

الآن سيرتب اموره كلها ليتفرغ لها اكثر ،
يبدأ الخطوة التالية من (البداية) التي
اختارها بنفسه ....

سكنت تعابيره وهو ينظر لباب الشقة مرة
اخرى وهمس " لم أخش يوما خطواتي نحو امر
ما كما اخشى الآن خطواتي نحوك ! انك
الاهم شهرزاد ... وهنا مكمن خوفي ..."

صباح جديد اخر ...

خرجت من شقتها واغلقت بابها خلفها ،
تجاهلت النظر لباب الشقة المقابلة رغم
توجهها بنفس اتجاهها حتى تصل المصعد
الذي يتوسط المسافة بينهما ..

لم يتاخر المصعد بالوصول ودخلت وهي تتنفس الصعداء لكن ما ان انغلقت باب المصعد حتى عاود الانفتاح لتهب رائحته الصباحية التي تعرفها ...

عطره الذي يستخدمه بعد الحلاقة مخلوطة برائحة قهوته التركية ...

لم تتطلع لهيئته وقد اتخذت وضع الجمود وما ان انغلق الباب مرة اخرى حتى قال بصوته الرجولي " صباح الخير ..."

لم ترد عليه ولمفاجأتها هو لم يضف شيئا لكنها تكاد تقسم انها سمعت صوت ضحكة خافتة جدا منه ...

عندما فتح باب المصعد مد ذراعه في دعوة صامتة لتسبقه الخروج وهي دون تردد قبلتها ..

وهذه المرة ضحكته الخافتة كانت اكثر وضوحا لتصل اذنيها ...

تحركت نحو الباب المؤدي للمرآب العائد للمبنى بينما تلقي التحية الصباحية على الحارس الامني وحالما وصلت سيارتها شعرت بالسيطرة تعود اليها وثقتها بنفسها تزداد ..

قالت وهي تشغل سيارتها " تجاهله هو الافضل ، انه غير موجود ... "

وبناء عليه قررت انها لن تخبر احدا بمجيئه للسكن في نفس المبنى ، حتى سمارا لن تخبرها ... يكفي انشغال سمارا بالتحضير لعرسها فلا داعي لتشغلها بامورها اكثر من ذلك ...

لكن ما ان وصلت لمكتب شاهين ورأته شخصيا هناك حتى شعرت بالذنب لانها لن تخبره ! ومع ذلك ابتسمت له باجمل ابتسامة لديها وهي تحييه " صباح الخير شاهين .."

للحظة وذبلت ابتسامتها وهي تتطلع لملامحه المرهقة ... ليس الارهاق فحسب بل كان ينظر اليها وكأن الحيرة تأكله !

لكنه رد عليها وهو يسبل اهدابه

" صباح الخير ..."

ثم تركها ودخل مكتبه !

مر اسبوع ....

شعرت شهرزاد بالانهاك وهي تدخل بسيارتها لمرآب المبنى ... لقد كان اسبوعا ثقيلا جدا ..

واصلت تجاهلها لهيثم وهو يعتمد معها اسلوبه الهادئ هذا ، يكتفي بالقاء تحية لاترد عليها لكنه لايهتم ويصر على القائها كلما رآها صباحا او حتى مساء عند عودتها احيانا والاغلب رؤيتها له عند الصباح لانهما يخرجان بنفس التوقيت ...

لكنه بطريقة ما يبدو صبورا ويعطيها الوقت للاعتراف بوجوده وهذا ازعجها ! انها تعرفه جيدا وتعرف انه يخطط وينفذ ...

ما زاد الموضوع سوءا هو تعامل شاهين معها ! انها تفتقده .. تفتقد تلك النظرة الدافئة التي يخصها بها ، تفتقد اهتمامه الرجولي الذي يحاوطها به دائما ، تفتقد ابتسامته التي تتكلم عن صاحبها ...

لماذا يتباعد ؟؟ لماذا ؟!! عقدت حاجبيها وهي تفكر هل لهديل علاقة بالموضوع ؟ لقد علمت من سمارا ان اختها ما زالت تفكر بالارتباط بزميل لها فهل يقلق شاهين هذا الموضوع وهو لديه مشاعر خاصة لتلك الشابة ؟؟

شعور بالغيرة تمكن منها ، لاتعرف لماذا تشعر انها تستحق اهتمام شاهين لها وحدها .. لا هديل ولا غيرها ... انها تحتاجه ... تحتاجه بكل ذرة من كيانها ...

عقدة حاجبيها تزايدت وهي ترى مكانها في المرآب قد اخذته سيارة حمراء صغيرة !

تضايقت جدا وشعرت بالحنق فاخرجت هاتفها واتصلت بحارس الامن وحالما رد قالت له " ماذا يحصل توفيق ؟ من صاحب هذه السيارة الحمراء التي تقف مكان سيارتي ؟ "

رد توفيق معتذرا " آسف سيدتي كنت اريد الاتصال بك لانبهك لكني انشغلت ببعض الامور "

قالت شهرزاد بصبر " لابأس توفيق .. هلا اخبرتني بما يحدث ؟"

رد الشاب " صاحبة السيارة ساكنة جديدة وقد اعطيناها مكانك ونقلناك لمكان آخر افضل بناء على تعليمات السيد "

تجمدت ملامح شهرزاد لتسأل بصوت لاحياة فيه " اي .. سيد ؟! "

بدا الحارس قد ارتبك من نبرة صوتها فقال بتوجس " السيد هيثم الجراح ، قال ان المكان ضيق لسيارتك وانت تعانين في اخراجها وادخالها لان سيارتك كبيرة نسبيا "

تشنجت قبضة شهرزاد وهي تتذكر نظرة هيثم غير الراضية ولاكثر من مرة وهو يراها بالحال الذي وصفه للحارس عندما يلتقيان صدفة في المرآب ، لكنها لم تشعر بأي عرفان للجميل له !

وجدت نفسها تقول بغضب مكتوم " اسمعني توفيق .. اريد مكاني ان يعود لي حالا ..."

هنا ارتباك الحارس كان اكثر وضوحا وهو يقول " سيدتي .. لكن السيد .. هيثم كان شديد الضيق وهو يأمرنا بتغيير المكان لك لانه لايناسبك ابدا وحذرنا من عدم تنفيذ أمره "

ليضيف بقلق واضح " ارجوك سيدتي فقط لاتجعليني في مشكلة مع السيد هيثم لانه صديق شخصي مع صاحب المبنى ... فقط اعلميه برغبتك ليخبرني بنفسه ان لامانع لديه "

رغم ان غضبها يتفاقم الا انها اشفقت على توفيق واشفاقها هذا جعل غضبها يستعر اكثر واكثر ... كيف يستغل مكانته من صاحب المبنى لارعاب هذا الشاب بتلك الطريقة ؟!

كتمت ما يعتمل في داخلها وقالت " اين مكاني الجديد توفيق ؟! "

رنين الجرس لم يتوقف وبطريقة ما كان يتنبأ بقدومها او ... يتمناه ....

حالما فتح الباب ودون حتى ان ينظر من العين السحرية رآها ترغي وتزبد امامه ...

خطفت انفاسه ... بدت فاتنة بهذا المزيج من الرقة والاشتعال ....

لم تنتظر وهي تصرخ به " من الذي سمح لك بتغيير مكان ركن سيارتي في المرآب "

ابتسم برقة وقال وكأنه يكلم طفلة صغيرة غاضبة " المكان الجديد افضل لك فمكانك القديم ضيق وانت لاتجيدين الركن "

رفعت قبضته الصغيرة المستفزة في وجهه لتقول بتشنج " هذا ليس من شأنك ... اتصل الآن بتوفيق واخبره ان يعيد لي مكاني القديم لانه يرفض خوفا من توابع عدم تنفيذ اوامرك المتشددة "

ظل يتطلع اليها مستمتعا بداخله انه استفزها لتكلمه اخيرا .. احب هذا الاصرار في عينيها وتلك الملامح الناعمة التي تحفظها شفتاه بدت اكثر انوثة ...

ابتسامته الناعمة لم تتغير وهو يمد يده للحاكي المعلق بجانب الباب ليرفع السماعة مكلما الحارس وهو يقول بنبرته السلطوية الهادئة :

" توفيق ... اعد للسيدة شهرزاد مكان سيارتها القديم "

ثم اغلق السماعة وتكتف قائلا بمرح ناعم مشاكس " هل رضيتِ الآن ؟!"

تطلعت اليه للحظات طويلة وكأنها لاتخشاه حقا ! لكنها في اعماقها تخشاه !

قالت وهي تشد على فكيها " توقف عن اسلوبك معي والضغط علي "

رفع حاجبيه قليلا ليقول ببراءة " انا اضغط عليك ؟!! بالكاد اكلمك رغم اننا جيران " ثم اضاف بلهجة مؤنبة " وهذا لايصح في الحقيقة "

زفرت بعمق وهي تغمض اجفانها للحظة وتعاود فتحهما لتقول بنبرة مرهقة

" هيثم انا لاامزح ..."

اشتعلت عيناه واسبل ذراعيه جانبا وهو يقول بصوت أجش " اخيرا عدت لنطق اسمي ...."

لم تبال بمعنى ما يقصده لتركز على نفسها وهي تقول بصدق مؤثر " دعني اعيش هيثم ... بل دعني اتعلم كيف اعيش بشكل طبيعي كما يعيش باقي البشر ، اختار واجرب .. اخطأ واصيب ... هذا حقي وسلب مني ... لماذا تصرون على سلبه مني ؟!! "

فاجأته صراحتها بعد هذا الانقطاع الطويل

لتفاجئه اكثر وهي تقول بصوت حزين ساحر

بينما يدها تشير لصدرها " هنا ... في صدري

.... طائر خائف مخنوق ... حبيس في قفص

منذ ولادته ... يريد فقط ان يتحرر ! هل

تدرك معنى واهمية ما اقول ؟! "

خنقتها العبرة في اخر كلمة لتدير جسدها

وتبتعد بخطواتها ...

بعيدا عنه ... نحو شقتها بينما هو يراقبها

بذهول وقلبه ينعصر لاجلها ...

عند الصباح الباكر ...

فتحت باب الشقة فارتفع حاجباها وشهقت

بعجب وهي ترى امامها قفص ابيض بزخارف

رائعة يسكنه عصفور ابي الحناء الذي جذبها

بصوته وجعلها تستكشف وجوده خلف الباب

...

انحنت وهي تمد يدها لتحمل القفص عاليا

وهي تبتسم للعصفور الذي التزم الصمت وبدا

لها خائفا !

ذابت ملامحها رقة وهي تهمس للعصفور

" لاتخف يا صغيري لن اؤذيك ابدا "

كان العصفور يحرك رأسه بطريقته
المضحكة يمينا وشمالا وكأنه يستكشفها !

ضحكت شهرزاد بفرح عندما تنبهت لوجود
ورقة بيضاء ملصقة على جانب القفص !

عقدت حاجبيها قليلا وهي تقترب بعينيها من
الورقة لتقرأ ما كتب عليها ..

كان قلبها يخفق رغما عنها وهي تتكهن
بمرسل هذا العصفور ، لكن ما لم تتكهن به
ما كتبه (المرسل) !

قرأت الكلمات بهمس مسموع وصدرها يختنق
بالمشاعر المضطربة

" اطلقيه شهرزادي و ... غرّدي معه ..."

الفصل الرابع عشر

تقف منذ ربع ساعة في شرفتها الصغيرة ، تمسك بيدين مرتجفتين ذلك القفص .. تناظر العصفور الفضولي المتوجس بعينين تلتمعان بالدموع وشفتاها ترتعشان بابتسامة طفولية تفيض رقة ...

همست بعبرة تاثر " اطلقيه ... وغردي معه !"

باضطراب لاتستطيع تفسيره مدت يدها لتفتح باب القفص الصغير ثم همست للعصفور بمشاعر مختلطة " اخرج يا صغيري .. انطلق "

لكن العصفور بدا غير واثق ! فذابت نظراتها حنانا وتفهما لتدير القفص بين يديها حتى توجه بابه الصغير ناحية الفضاء الممتد امامها ...

رفعت القفص عاليا وهي تقول بحماسة اسالت الدموع من عينيها " انطلق ... هيا ... كن حرا ... ابحث عن سعادتك .. اخرج وكن سعيدا ...."

ومع اخر كلمة كان العصفور يغادر مغردا ليحلّق بعيدا يتلاعب بالهواء بجناحيه والهواء يتلاعب بجسده الصغير ....

تركت شهرزاد القفص يسقط من يديها ارضا محدثا بعض الجلبة لتشهق هي ببكاء ناعم وابتسامتها تتسع اكثر واكثر وكأنها شمس تشرق على روحها التي عاشت في الظلام منذ وعت وجودها في الحياة ....

" صباح الخير ..."

لم ترد تحيته كالعادة لكن ...

هل بدا صوته مختلفا ؟! هل بحته عكست حزنا او شجنا من نوع ما ؟! ام ان اطلاق العصفور جعلها تتوهم النبرات وتفسيرها ..

هل تتوهم انه يتعمد ان يوليها ظهره وهو يقف اقرب لباب المصعد وكأنه لايطيق صبرا ليغادره !

في داخلها احساس يدفعها لتقول له (شكرا) لينازعه احساس آخر .. احساس قاس ويحمل رغبة بالتشفي .. بالانتقام ...! هذا الاحساس يقتل رقتها التي اعتادت عليها ويجعلها تأبى ان تقدم ولو كلمة شكر يتيمة لما منحه لها هيثم من شعور رائع صباح اليوم وهي تطلق العصفور ...

وصل المصعد للطابق الارضي ليفاجئها بخروجه قبلها فلم يدعُها كعادته لتسبقه ..

تنهدت رغما عنها وهي تغادر المصعد خلفه عيناها تراقبان خطواته القوية الثابتة وهو يبتعد عنها ...

همست لنفسها وهي تتهادى ببطئ " هذا افضل .. فربما ايقن اخيرا اني لن اعود اليه مهما فعل"

لمجرد ان مرت تلك الخاطرة في عقلها انقبض قلبها بشدة وشعرت .. ولو للحظات ... بالاختناق ...

تقف ببعض التململ وهي تنتظر استلام اوراق تخرجها ، تنهدت وهي تنظر لساعة يدها التي تشير الى الثامنة صباحا فقالت في سرها " ارجو ان لايؤخروني اكثر لالحق بموعدي الآخر مع القناة الفضائية "

ثم اخذت ترفع شعرها عاليا وتربطه كذيل حصان وهي تفكر " اين انت يا زيد ؟ ارجو ان لاتؤخرني انت ايضا ، اريد انهاء كل اموري اليوم .. "

تكتفت وهي تتطلع للوحة الاعلانات فابتسمت قليلا وهي تقرأ اعلانات قديمة منها لحفل التخرج واخرى لتسليم المتعلقات الخاصة بالخريجين واخرى اكثر قدما مجرد دعوة للاعتصام كانت هي احدى مثيريها !

ضحكت برقة وهي تهمس لنفسها " حقا سافتقد كل هذا ..."

" ادام الله ضحكتك ..."

التفتت هديل للخلف لتجد زيد يقف على بعد خطوة منها ...

امسكت بابتسامتها قبل ان تتطاير بفعل احساسها بالذنب نحوه !

ثم تماسكت اكثر وهي تحدث نفسها " انت لم تخطئي معه بشيء يا هديل ولم تخدعيه .."

الفكرة جعلتها اكثر صلابة لتقول له بلطف وهدوء نفس " صباح الخير زيد .."

اقترب وهو يهمس بصوت مبحوح

" صباح الخير "

اسبلت جفنيها قليلا وهي تقول " اسفة اذا جعلتك تنهض باكرا "

رد بنبرة مؤنبة رقيقة " بل انت تأخرت كثيرا باتصالك .."

رفعت نظراتها اليه وارتاحت اكثر انها حقا لاتشعر نحوه بشيء غير صداقة تقبّلها واخوة رفضها !

قالت باسلوب مباشر " اسفة اذن اذا تأخرت عليك لكن انت من منحني الوقت ..."

فقال بسخرية مريرة " كنت مغفلا ! "

قاومت احساسها بالولاء لصداقته التي اعتزت بها لعامين كاملين وها هي ستنهيها الى الابد ..

قالت بصوت ثابت لالبس في فهم جديته " انت لست مغفلا ابدا يا زيد ، لقد كنت تعرفني حقا لتدرك احتياجي للوقت ، وهذا الوقت افادني جدا لاتدبر في كل شيء واضع الامور في نصابها الصحيح "

صمتت للحظة وهو لم يقل شيئا ...

اكملت وهي تتطلع لعينيه مباشرة " في قرارة نفسك تدرك خطأ اي ارتباط من اي نوع بيننا لانك تدرك ان مشاعري ليست تحت تصرفي لاطاوعها كيفما اشاء "

تصلبت ملامحه قبل ان يقول بهمس متحشرج " اذن هو الرفض ..."

قالت " الرفض كلمة شنيعة وانت تقولها بهذه الطريقة ، لاني لاارفضك لانك انت ولكني ارفض ان ..."

قاطعها بحدة قائلا " ترفضين ان تمنحي قلبك لغيره اليس كذلك ؟"

خفق قلبها بشدة واحمرت وجنتاها من تلك الصراحة التي صفعها بها !

قال وعيناه تشتعلان بالغضب والغيرة " اياك ان تنكري هديل ، شاهين بالنسبة لك هو الحبيب الذي تبكين على اطلاله ...! "

هذه المرة عيناها من اشتعلتا بالغضب لتقول " لاتهدم كل شيء بغضبك هذا زيد ، دع الذكرى الجميلة اخر ما يبقى بيننا ، ساتغاضى عمّا قلته وكأنك لم تقله ! وتذكر امرا واحدا من يطلب شيء عليه توقع ال(نعم) وال(لا) بنفس الارجحية !"

" انسة هديل هذه اوراقك .."

التفتت هديل ناحية الموظفة الضئيلة الجسم لتبتسم اليها شاكرة وهي تأخذ الاوراق منها بينما الموظفة تتمنى لها الموفقية ..

حالما ابتعدت الموظفة جاء صوت زيد نادما وهو يقول " انا آسف .. ارجوك سامحيني .. انا .."

لكن هديل قاطعته وهي تركز عينيها على الاوراق في يدها لتقول " لاتأسف زيد .. اتمنى لك الموفقية وان تجد سعادتك مع من تستحقك ... وداعا .."

ودون ان تمنحه الفرصة تحركت مبتعدة ...
اما هو فقد تحرك خطوة .. مجرد خطوة
ليقف بعدها ينظر اليها بألم وهو يهمس " أنا
آسف لفقدانك هديل ... حقا آسف .."

رآها تدخل المكتب ، بدت مختلفة مرة اخرى
وبطريقة اخرى !

لماذا يشعر بهذا الانفصال عنها ؟! لماذا
يعتريه شعور بالانعزال حتى عن نفسه ؟!

تنهد شاهين ثم أخذ يتأرجح بضجر يمينا
ويسارا في كرسيه الجلدي الدوار ..

عيناه استقرتا على نقطة وهمية في الحائط
ووجد نفسه يفكر فجأة بهذا الحائط الابيض
.. الفارغ !

ترى ماذا لو رسم عليه رسما ما ... رسما مبتكرا
ربما ... رسم لوجه مثلا ؟! بشرة بيضاء صافية
كصفاء الروح ... عينان واسعتان بلون نرجسي
يلمع فيهما الذكاء والتوقد ، انف مميز
يعكس الشموخ .. الثقة ...الكبرياء ، فم ...
باسنان ناصعة البياض وشفتين مكتنزتين
تعبران عن دفء صاحبتهما !

اتسعت عيناه في صدمة ثم اخذ يهز رأسه وهو يهمس لنفسه معنفا " انت جننت حتما يا شاهين ! جننت ومكانك الصحيح في حجر صحي لمن تراوده افكار منحرفة ! "

زفر بقوة وهو يستند بكوعيه على حافة مكتبه ويدفن وجهه بين كفيه الكبيرين ..

قال وهو غارق في ظلمة كفيه " لماذا يحصل لي هذا ؟! انا ابسط من ان اتعامل مع تعقيدات سخيفة كهذه ! ماذا الآن شاهين ؟! هل تكتشف انك كنت مغفلا ولاتحمل مشاعر كنت تظنها عشقا مدلها ؟! اذن هل انت غبي لتفتن كمراهق بأمرأة جميلة ؟! "

صوت اغلاق باب مكتبه بعنف اجفله بشدة فهتف غاضبا وهو يبعد كفيه عن وجهه " الا يمكنك اغلاق الباب بعنف اقل ؟! "

ردت سمارا وهي تكز على اسنانها " وانت الا يمكنك السيطرة على ثرثرتك السخيفة مع نفسك وتلك المصارحات العاطفية المسموعة ؟! "

عبس شاهين وهو يتساءل بملامح بلهاء " هل كان صوتي مسموعا فعلا ؟! "

ردت وهي تتخصر " مؤكد مسموعة ايها المراهق ! "

تنهد وهي يتراجع بظهره للخلف لينظر لسمارا قائلا بصوت أجش " لماذا لاتساعديني ؟! هل بخلت عليك يوما بأي مساعدة ؟"

تخلل الضعف ملامح سمارا وشعرت بقلبها يئن لاجله فرمت عرض الحائط كل الوعود التي وعدتها لاياد بعدم التدخل لتتقدم من شاهين وتجلس على كرسي امام مكتبه ثم تنهدت قليلا قبل ان تقول بعاطفة حانية

" انا اسفة شاهين ، انت لاتستحق مني ان اتركك تتخبط هكذا .. لكني اردت اعطاءك فرصة لتجمع افكارك وتركز في مشاعرك "

قال وهو يحني رأسه قليلا " منذ اكثر من اسبوع وانا افكر ، اشعر اني احمق سمارا ! احمق فعلا لاني لاافهم نفسي وانا بهذا السن ! "

ابتسمت له سمارا مشجعة " انت لست عجوزا ! وبامكان الانسان الشعور بالتخبط في اي سن "

حاد بوجهه جانبا فطالعه الحائط الابيض بالوجه الوهمي الذي رسمه قبل قليل فشعر بالحرج ليلتفت بحدة وهو يقول بغيظ من بين اسنانه " انا مجنون سمارا ! مجنون كليا لتعتريني مشاعر غريبة متضاربة ومتناقضة "

نظرت اليه بتمعن ثم قالت بسلاسة " هل يمكننا البدأ من جديد ؟ كيف كنت تشعر ناحية شهرزاد سابقا وكيف تشعر حاليا ؟"

قال بابتسامة تحمل شجنا " المرة الاولى اثارت فضولي بتميمتها لكن عندما رأيتها للمرة الثانية في ذلك الحفل بثوبها الابيض وهيامها الذي سكن روحها ليعكسه محياها الفاتن الحزين شعرت بانجذاب رهيب نحوها ... شعرت كأنها غريقة تتشبث بي .. غريقة من نوع خاص قادرة على اغراق امهر السباحين ! "

رغم شعور سمارا بالتوتر لكنها صمتت ، فهذه المرة الاولى التي يتحدث فيها شاهين عن مشاعره بكل هذه الصراحة امامها ، شعور بالوجع امسك تلابيب قلبها وهي تفكر باختها الصغرى هديل التي عجزت عن جعلها تتكلم معها طوال الايام السابقة ... لكن .. ربما شاهين ... فقط ..ربما !

اكمل شاهين وقد بدا شعور ببعض الاسترخاء يتسرب اليه " معرفتي انها متزوجة حاك حاجزا بخيوط صلدة حول مشاعري وكان مجيئها لاخذ دورات هنا قد منحني شعورا غريبا ! عذابا ممتعا ان صح التعبير .. ان اقاوم كل هذه الفتنة والرقة والانوثة والضعف التي كانت تناديني وتوقظ فيّ مشاعر لم اشعرها ناحية اية امرأة على الاطلاق ! "

سألته بتوجس " اية مشاعر شاهين ؟ هل هو العشق حقا ؟! "

عبس قليلا ليكمل وكأنه لم يسمعها " عندما وجدناها عند المشعوذ شعرت بطاقات الغضب تستعر بداخي ! ليس للحدث نفسه فحسب ولكن .. هناك غضب من نوع ثانٍ .. ان امرأة كشهرزاد تستحق رجلا يرفعها فوق كل شيء بدلا من ان يجعلها اخر اهتماماته ..."

ردت سمارا بصراحة متعمدة " لكن هيثم يحبها حقا شاهين ، يحبها لكنه لم يحسن التصرف معها "

ضرب شاهين على سطح مكتبه وهو يقول بغضب " اي حب هذا سمارا ؟!! لقد كادت ان تضحي بنفسها لاجله وهو ماذا فعل خانها مع ابنة عمها بكل صفاقة وخسة نذالة "

قالت سمارا " كلامك صحيح وانا لااحاول تبرير فعلته وانما اضع امامك الحقائق "

زمّ شفتيه ليقول ساخرا " حقائق ؟! "

ردت بثبات وهي تنظرفي عينيه مباشرة " اجل حقائق شاهين فليس كل الرجال يحبون على طريقتك انت ! وليس كل الرجال يجيدون التعامل مع النساء وفهم ضعفهن والاهم .. تفهمه ! "

الجمته كلمات سمارا بينما تضيف المزيد "
هناك رجال يحتاجون المكر من نسائهن
شاهين ، ليس ذلك المكر الغبي وهن يظننّ
انهن يسيطرن على ازواجهن كدمى خشبية
ولكنه مكر من نوع آخر بأن تدرك طبيعة
زوجها المتقلبة وتلاعبه بالطريقة التي
تجذبه اليها ..."

رفع شاهين حاجبيه قليلا ليقول متعجبا "
لااصدق انك تقولين هذا ! "

هزّت سمارا كتفيها وهي ترد " انا لااقول اني
استطيع التعامل مع شخصية كهيثم لو كان
زوجا لي لاني بطبيعتي احب الوضوح في
التعامل وان اكون عفوية دون تخطيط "

ثم اضافت بتركيز على كل كلمة " لكن
شهرزاد عشقته وهو بهذه الشخصية ولاتحاول
اقناعي انها لم تنجذب اليه لكل هذا الغموض
والتعقيد ، مشكلتها انها لم تفهمه كما لم
يفهمها ولكن العدل والانصاف يقول ان الخطأ
يقع عليه اكثر فالرجل عادة اكثر خبرة من
المرأة وكان يفترض ان يرشدها بدلا من ان
يبحث عما ينقصه في غيرها ..."

فجأة قالت سمارا " الا تعتقد اننا نناقش
موضوع شهرزاد وهيثم بموضوعية لاتناسب ما
يفترض من مشاعرك نحوها ؟!! "

حدّق شاهين في سمارا ليكتشف فعلا انه
يفتقد احساسا مفترضا بالغيرة لايشعره !

تساءل شاهين بصوت أجش " ما الذي تغير سمارا لاشعر هكذا ؟! عندما انفصلت عن زوجها اقسم انشطرت نصفين نصف يتألم لألمها ونصف مبتهج لحريتها ! لكن .. لااعرف ما حصل ... هي تغيرت .. ام انا تغيرت ؟! ام ان المشاعر بهتت او ربما بهت الضباب حولها فأصبحت واضحة المعالم بشكل لايصدق لاستوعبه ! سواء بالنسبة لي او لها ..."

عندها وقفت سمارا على قدميها لتقول بغموض " ما تحتاجه ان تستوعب حقيقة مشاعرك بالكامل شاهين ... مشاعرك نحو ... الجميع ..."

ثم تركته لتتحرك نحو الباب فتحته وغادرت بينما شاهين (يستوعب) بعضا مما قالته !

بعد بضعة ايام ....

يوم الجمعة ..

تأففت شهرزاد وهي تسحب كيس القمامة لتخرجه من باب شقتها وتستمر بجره حتى غرفة إلقاء الازبال .. كم تكره هذا الجزء من العمل المنزلي !

فتحت باب غرفة القمامة الضيقة واستندت عليها بجسدها حتى لاتعاود الانغلاق ثم بصعوبة كانت تفتح العتلة الضخمة للفتحة الكبيرة المخصصة لالقاء القمامات فيها فتنزل في انبوب عريض حتى مكان مخصص للتجميع في الطابق الارضي ..

كل مرة تعاني نفس المعاناة السيطرة من جهة على الباب الذي يعاود الانغلاق آليا ان لم تتمسك به وفتح العتلة الكريهة ثم رفع كيس القمامة لرميه خلال الفوهة العميقة !

اغتاظت وهي تردد " الا يوجد آلية افضل هذه رحمة بضعاف البنية مثلي ؟!! "

في لحظة غمرها خياله واختفي ضغط الباب على جسدها وهو يدفعه بيده ليختفي معه في لحظة ثقل حملها وهو يرفع عنها كيس القمامة ويلقيه في الفوهة هامسا بابتسامة مشاكسة مرحة " ضعاف البنية يحتاجون للتدليل بمنعهم اصلا من حمل الازبال هكذا "

كانت قد خنقت شهقتها وهو يقترب منها بجسده هكذا محاصرا اياها لتكتم انفاسها حتى لاتلامسه ..

ابتعد قليلا وهو يطرق قليلا براسه ليقول بفكاهة دون ان ينظر اليها " هلا ابتعدتِ لو سمحت لارمي ازبالي انا الآخر ؟!"

هزّت رأسها ببلاهة ثم ابتعدت بحركات خرقاء لتغادر سريعا متوجهة نحو شقتها وهي تنظر لملابسها السخيفة ، بلوزة قديمة وبنطال يصل لركبتيها لم ترتده منذ كانت مراهقة !

تنهد بحسرة لم يتذوق طعما مرّا كمرّها وهو يراقب تراجعها السريع بعيدا عنه وكأنه وباء!

تحرك هيثم ببطئ ليعود لشقته هو الآخر وافكاره تتخذ منحنا اخر ...

منذ ايام وهو في حالة صمت مع نفسه ! يسترجع ذكريات عجيبة عن شهرزاد ووالدها ... لماذا لم يفكر يوما بيتمها وحرمانها من الامومة ؟! شهرزاد تلك الفتاة الرقيقة كيف عاشت محرومة تحت جنح اب جاف لايجيد التعامل معها ...

وها هو هيثم يصل بافكاره لمنحناه الجديد ...

ماذا فعل هو ؟! استلم الفتاة من والدها وكأنها هدية مغلفة بورق من ذهب ! ثم ادخرها في بيته ينهل من عاطفتها الشجية ويغرف من عشقها الفياض حتى .... نفذ !

لم يدرك ان هذا النبع الصافي يحتاج هو الآخر لما يجدده ويجعله يفيض بكل ما هو ساحر عميق وثمين ...

لقد استهلكها بكل انانية وجحود ليردمها اخيرا بتراب الخيانة ...

والان ... شهرزاد تريد التحليق ... تريد ان تطلق ذاتها المسجونة ، ذاتها المكلومة بالحرمان ...

دخل شقته فاغلق بابها ليستند بظهره على تلك الباب وهو يهمس بصوت اجش وعينين براقتين " انا احبك معشوقتي .. وساحلق معك اينما تحلقين ... مهما طال الوقت .. ساظل محلقا قربك اتحمل منك هذا النفور الذي يقتلني كل يوم ... وكل ساعة..."

صباح اليوم التالي

خرج هيثم متوترا من شقته حتى لم يتنبه لخروج شهرزاد امامه حتى التقيا عند المصعد وللحظة اجفل من خيالها !

عفويا قالت " آسفة اجفلتك ..."

نظر اليها للحظات طويلة حتى ان باب المصعد انغلق مرة اخرى دون ان يتنبها لها هما الاثنان !

همس بصوت أجش وهو يتملى من جمال عينيها " سوزان فقدت الطفل ! "

شهقت شهرزاد وهي تضع يدها فوق فمها لتترقرق الدموع في عينيها وهي تهمس بألم " يا الهي ! بعد كل هذا الصبر والعناء ؟! "

ابتلع ريقه ليتنحنح وهو يقول " للاسف .. كان كل شيء سائرا باتجاه صحيح وقد وصلت للشهر السابع لكن .. الطفل ميت مرة اخرى ! "

اخذت دموعها تنساب بل حتى تشهق بنعومة وهي تسأل " كيف هي الآن ؟! "

ارتعش كله لاجلها ثم تمالك نفسه وعذاب عدم الاقتراب يمزقه ليقول متهربا من النظر اليها " امي تقول انها بخير .. تبكي لكنها بخير وزوجها لايتركها ابدا .."

لايعرف ما يفترض ان يفعل الآن ؟!! انها تبكي بطريقتها الناعمة هذه التي تدمره وهو واقف بعجز امامها وبدلا من شعوره المتوتر الذي خرج به بعد وصول خبر طفل اخته سوزان ها هو يجد نفسه متوترا ليبتعد عنها ....

ورحمة بنفسه ضغط زر المصعد مرة اخرى وحالما فتح الباب دعاها للدخول بحركة من ذراعه وما إن انغلقت باب المصعد لتضمهما جدرانه المضيئة حتى سمعها تقول بنبرة تشنجت لها حواسه كلها " انا آسفة هيثم .. آسفة لاجلها .. اتمنى فقط لو استطيع مكالمتها ! انا اسفة .. لكن ... لا.. استطيع "

رد بغضب مكتوم دون ان يلتفت اليها " اعلم ... اعلم انك لاتريدين الاتصال بكل ما يتعلق بي ! "

قالت تدافع عن نفسها " ليس هذا السبب ! لماذا تظلمني دائما ؟! انا اشعر ان اتصالي سيحرج الجميع .."

هذه المرة التفت اليها ليغمرها بنظراته الزرقاء وقال " امي واختي حانقتان علي لا عليك ! وارادتا مكالمتك لكني منعتهما التدخل والضغط عليك بل حتى ان امي ارادت السفر والمجيء اليك بنفسها لولا حالة سوزان الحرجة .."

ادارت شهرزاد رأسها جانبا وبحركة حادة بينما اخذت تمسح بقسوة اثار دمعاتها التي نزلت تعاطفا مع فقدان اخته لطفلها ...

جمود عاد لمحياها فشتم هيثم بصوت مسموع بينما يغادر المصعد بخطوات غاضبة كالبركان ....

وجدت نفسها ذلك النهار تتباعد عن شاهين اكثر واكثر .. تنعزل عنه وشعور بالغربة يحيطها من كل جانب ...

هل هو خبر فقدان طفل سوزان ما جعلها تشعر بهذه الوحشة ؟!!

طفل ..... طفل .... ذابت عيناها شعورا بالشوق لتلك الكلمة التي حرمها منها هيثم وهي رضيت بطيب خاطر بل بغباء !

حتى انها لم تسأله .. لم تناقشه ... فقط ارضاء ارضاء ... ارضاء ....

حاوطت نفسها بذراعيها تغمض عينيها وتهمس " يوما ما سانجب اطفالا كثيرين ... اجل ...
اجل كثيرين.. اربعة .. بل خمسة ...
ساجعلهم سعداء ... دافئين ... فخورين اني امهم التي تذوب حبا بهم ..."

سكنت فجأة ! ليغادرها الدفء وهي تفتح عينيها وتترقرق الدموع فيهما وتهمس بألم " ها انت تبنين نفسك يا شهرزاد كخطوة اولى لبناء حياتك ، فهل سيأتي يوم وتكونين مستعدة لمشاركة رجل دافئ محب في حياته ؟ تشاركينه في انجاب اطفالكما معا ؟!
فيغدق عليك وعليهم مشاعره دون اي بخل .. دون اي حرمان ...."

عند هذه اللحظة بالذات مر شاهين من امامها وكعادته التي دأب عليها خلال الفترة الماضية القى تحية دون ان يتوقف حتى ليلقي نظرة نحوها ...

شعرت بالبؤس اكثر وهي تفكر " هل كنت اظنك ذلك الرجل يا شاهين ام انك مجرد حلم اردت فرضه على واقع لايتلائم معه ؟!!"

تحركت نحو حقيبتها التي تضعها عادة في احدى الارفف لتخرج هاتفها النقّال تبحث عن رقم والدة هيثم بعزم ...

لم ترها منذ اكثر من عام كامل.. امرأة انيقة لطيفة لكنها لم تتدخل في حياة ابنها البكر وزوجته ، وفضلت بعد فترة وحدة عاشتها بوفاة زوجها ان تذهب لتعيش مع ابنتها في امريكا خصوصا مع مشكلة سوزان في الانجاب واحتياجها للدعم ...

اخذت نفسا عميقا وهي تضغط على زر اتصال بينما تحدث نفسها " هذا واجب يا شهرزاد ، امه كانت لطيفة معك واخته ايضا ..."

وحالما جاءها صوت المرأة الرخيم حتى قالت ببعض الارتباك " مرحبا خالتي ..."

فكان الرد الرقيق بلسما خفف عن شهرزاد توترها لتقول " شهرزاد ؟!أ هذا انت حبيبتي شهرزاد ..؟ "

كانت شهرزاد ما تزال متوترة وهي ترد " اجل خالتي انها انا .." فقالت ام هيثم " مرحبا يا ابنتي ... اشتقنا لك "

ثم اضافت بانفعال وتأثر " ما هذا الذي حصل بينك وبين هيثم ؟!! لقد جئنا انا وسوزان عندما علمنا بالخبر ، كنت اريد مكالمتك ... لكن هيثم رفض اعطائي رقمك الجديد ، لكن انا متأكدة كل شيء سيعود لوضعه الصحيح ، هو يحبك بل يعشقك انا اعرفه ذلك الغبي المجنون الذي لايفصح عن مشاعره كما يفترض بالرجل العاشق ان يفعل ! وانت تحبينه ايضا صغيرتي ... اليس كذلك .. رغم ما فعله ابني الغبي المغرور من غلطة شنيعة بحقك وبحق نفسه انت ما زلت تحبينه .... "

لاتعرف شهرزاد كيف انها وجدت نفسها تختنق وتهمس بصعوبة " انا ... آسفة ... آسفة لاجل سوزان ... لكن .. أنا ... لااستطيع .. مسامحته ... يجب... ان اغلق الآن .. وداعا خالتي ..."

وبارتعاش شديد اغلقت الخط وهي تهمس لاهثة " لماذا اتصلت بوالدته ؟ لماذا ؟!! يا الهي .. لماذا فعلت هذا ؟! "

لم تتنبه شهرزاد لوقوف شاهين على بعد خطوتين خلفها ولا تنبهت لانسحابه حتى ...

اما شاهين فقد اكتسب خلال الاسابيع الماضية قناعات جديدة لتضاف قناعة اخرى اليه الآن .... شهرزاد قد لاتسامح هيثم ... لكنها ما زالت تعشقه .....!

هل الحب يدفع الانسان لدرجة تجعله يغفر الخيانة ؟ ام ان حب شهرزاد لزوجها هو حب خاص ويسري في دمها منذ الطفولة ؟!

جلس على كرسيه وهو يشعر بالانهاك ..

خواء غريب يتملكه ، شعور بانه منسي تماما ... زواج سمارا الوشيك يعلن عن بدأ وحدة من نوع آخر ... لن يستطيع التواصل معها كما السابق فسمارا ستتواصل مع رجلها الذي يعشقها وتعشقه ....

عيناه تركزتا على نفس الحائط لتعذباه بنفس الصورة الوهمية !

شعر بالحنق من نفسه ليتمتم بغضب " تلك الصغيرة اصبحت خطرا علي ! "

وللحظة تبسم في شجن وهو يفكر انه اشتاق لرؤيتها حقا .... قد تجيد التهرب من رؤيته لكنها لن تستطيع فعل هذا في عرس سمارا الوشيك ...

عرس سمارا واياد

خرجت العروس من غرفتها التي تودعها الليلة لتسكن غرفة اخرى وتبدأ حياة جديدة ...

تطلع الاب لابنته الكبرى فخنقته غصة البكاء وهو يراها بثوب العرس الابيض ترفع شعرها للاعلى بكعكعة مدورة انيقة نثرت عليها حبات لؤلؤ وتعلقت بها طرحتها لتنسدل الطرحة الطويلة الى جانبيها حتى نهاية فستانها الرائع ..

ارتجفت شفتا سمارا وهي تتطلع لابيها ببدلته السوداء الانيقة وقد بدا لها رغم وسامته ضعيفا ومرتبكا !

اقتربت منه بلهفة وقد كادت ان تتعثر بفستانها الطويل لولا امساك هديل بذراعها لكن سمارا القت بنفسها في حضن ابيها وهي تكاد تجهش بالبكاء " لاتقلق يا حبيبي انا لن اتركك ابدا ... اتفقت مع اياد ان نأتي لنبيت هنا كل يومين .. فلن اترك الساحة خالية لتلك الصغيرة تستأثر بك وحدها وحالما تتزوج ونتلخص منها سأعود مع زوجي للسكن معك "

رفع الاب وجه ابنته اليه وقال بصوت متحشرج من العاطفة " انا سعيدجدا لاجلك يا حبيبة والدك ودرّة قلبه ، سعيد الى درجة اريد البكاء الان كالاطفال ... اياك ان تظني .. اني حزين ... ابدا ... يكفي ما ..."

وضعت سمارا يدها على فمه تمنعه الكلام بينما تعبس بغضب مفتعل رقّته دمعة سالت على خدها " لااريد سماع كلمة حزن الليلة ، انه عرسي يا مشاكس .."

تنحنحت هديل من الخلف وقالت بمرح " الصغيرة لم تتخلصا منها بعد ! فهلا منحتني الفرصة لارى رأي ابي بفستاني ؟! "

انبهرت عينا الاب وهو ينظر لابنته بفستان مذهل ! تدرج بين لوني الفضي والذهبي الباهتين دون ان يفقدا التوهج ...

بدت مذهلة وهي ترفع شعرها لاول مرة بهذه الطريقة التي تشبه تسريحة اختها العروس لكن للاسف دون طرحة العروس التي كان يتمناها لها مع اختها ليطمئن اخيرا عليهما معا ....

قال وهو يسحب صغيرته يكتم غيظه من شاهين الذي حرمه اتمام فرحته " يا جميلة الجميلات ... تبدين عروس كأختك .."

كان شعورا رائعا لهديل ان يكون والدها هكذا في افضل حالاته محبا دافئا ينظر اليها والى سمارا وكأنهما كنزاه الحقيقيان في هذه الحياة ...

" ها قد حضرنا ...."

صوت شاهين علا فجأة بمرح سابقا دخوله بينما ارتفعت الزغاريد من بعض نسوة الجيران والاقارب ليدخل اياد وقد بدا وسيما لدرجة سرق انفاس سمارا وهي تتطلع اليه بوجه مرتبك محمر !

اقترب منها بابتسامة لاتصدق ودون ان يحرجه شيء مال ليطبع قبلة حارة على خدها المتوهج بينما يهمس قرب اذنها بصوت مبحوح " الليلة ... انها الليلة .... لهف قلبي عليك الليلة ..."

ارتفع حاجبا سمارا بانشداه مضحك بينما يتأبط اياد ذراعها ويتحرك بها وسط الزغاريد ...

هديل تأبطت ذراع والدها وهي ترفع طارف فستانها بحذر متجنبة النظر نحو شاهين ..

قال الاب مشاكسا شاهين " ما بك تقف كالاهبل هكذا ... تقدمنا يا فتى فنحن قادمان معك ايضا ..."

لم يرد شاهين بينما يحاول استيعاب هذه المخلوقة المذهلة التي تأبى النظر اليه وقد واصلت احتجابها عنه منذ تلك الليلة على الشرفة !

لكنه لم يقاوم وهو يقول بمشاكسة ايضا " عفوا عماه لكني كنت اتساءل من هي تلك الصغيرة التي معك ؟! "

عندها فقط رفعت هديل عينيها اليه لتشمخ بانفها المتفرد بكبريائه وقالت " انها الصغيرة التي ستقودكما للحفل بدلا من ان تتوها معا ! "

انفجر الاب ضاحكا بينما شاهين ينظر اليها وقلبه ... اجل قلبه تحديدا يخفق كغبي مجنون ليرتطم هنا وهناك بين جنبات صدره ....

" اهدأي هديل .. اياك واظهار ارتجافك ... يا الهي لماذا لايكف عن النظر نحوي هكذا؟!"

انها تعاني .. تعاني بشدة وهي تحاول اظهار مرحها المعتاد بينما شاهين لايفلتها من محيط نظراته ولا حتى لدقيقة واحدة !

نظراته غامضة لاتفهمها مع لمعة تسبب الرجفة لقلبها ، رجفة تسعدها ولكن عقلها يحاول صد هذه السعادة الجوفاء !

ابتلعت ريقها وهي تراه يقترب منها ، رددت في سرها تدعو " ارجوك يا الهي .. امنحني القوة .. فإما ان افوز به او اقتلعه من قلبي لارتاح "

بدا كتفاه عريضان جدا ببدلته الكحلية التي رسمت تفاصيل جسده الضخم .. دوما كان ضخما وكبيرا في عينيها ... دوما بدا يتسع للملمة احساسيها المبعثرة بين ضعف وجموح ...

اقترب ... اقترب جدا وهو يقف امامها بهيئته التي تحتويها كلها دون ان يلمسها حتى !

انحنى مقتربا بفمه من اذنها ورغم يقينها انه يفعل ذلك لتسمعه وسط ضوضاء المدعوين والموسيقى في العرس الا انها لم تستطع الا الفرح بكل كيانها .. وكيف لاتفرح وهو ينظر اليها هكذا ؟!! فقط لو تعلم ما يعنيه بهذه النظرات ...

" هل ترقصين معي يا جميلة الملامح ؟ "

اتسعت عيناها بصدمة وتوقف الكون من حولها لتتركز كل حواسها نحو ذبذبات همسه ...

ضحكته الخافتة داعبت اذنها وهو يضيف بمشاكسة

" رقصة واحدة فلا تهلعي هكذا ! انا مطلوب جدا الليلة والفتيات لايطقن صبرا للرقص معي"

(تشجعي يا فتاة ... تشجعي ... مهما كان ما يحدث الآن انها فرصتك ... فرصتك ..)

الشجاعة خانتها لتنطق لكنها لم تخنها لتعبر بهزة موافقة من رأسها ...

بعد هذا لم تعد تعلم هل كانت تلمس ذراعه ام كفه ام ربما لم تلمسه قط بينما تتحرك برقص خفيف يواكب النغمات ...

هل لمحت ابتسامة رضا على وجه والدها ؟ ام نظرة ترقب وقلق على وجه اختها العروس ام انزعاجا على ملامح المرأة المزعجة التي حاولت محاصرة شاهين ببناتها الثلاث عسى ان ينتقي عروسا منهن .. ام غيظا لذلك الشاب الذي كان يغمزها بعينيه منذ اول الحفل !

وذلك ....وتلك .... واختلطت الوجوه وتمازجت التعابير ليبقى وجهه هو وحده بنظراته التي لم تفارق وجهها !

فجأة فرض وجه فاتن وجوده ليبرز من بين الوجوه المختلطة ! ضاعت الفرحة وبهتت الهالة التي لفتها مع شاهين لترتسم حروف اسم على شفتيها " شهرزاد ..."

للحظة رأته يحدق بشفتيها ولكنه كمن لم يفهم ما نطقت به ! بدا مستغرقا في التفكير ليقول بملامح غريبة مبهورة " ماذا قلت ؟! "

ابتلعت ريقها وهي تشعر ان هناك امر ما لم تفهمه لتردد كببغاء لايفقه ما يقول

" قلت .. شهرزاد حضرت .."

رفع عينيه لعينيها فاشارت له ناحية شهرزاد فالتفت بوجهه لينظر بينما هديل تراقبه بجزع وللحظة اسبلت اهدابها تخفي دموعا توشك على الافلات لتسمعه يقول " سنسلم عليها فيما بعد ، باهر وحامد معها الآن "

تجمدت ! بينما شاهين ينظر اليها بطريقته العجيبة تلك .....

كل ثرثرات باهر لم تجعلها تشعر بالتحسن ! لقد بدا باهر نفسه على غير طبيعته حتى اشفقت عليه وهي تكتشف نظراته نحو هديل وشاهين ...

هديل وشاهين ... ثنائي لم تحسب يوما انها ستراهما معا بهذه الطريقة !

تلك الفتاة المتوهجة تبدو بوضوح ذائبة بحبه .. وهو ... هو شاهين ينظر اليها وكأنه اكتشف وجودها للتو ...

غصة خنقت شهرزاد .. اذن .. هذا هو ما كان يبعده عنها طوال الاسابيع الماضية ...

ها هو شاهين يكتشف نفسه في اخت سمارا الصغرى ...

جزعت وهي تحيد بنظراتها نحو العروس لتراها تبتسم وتحمر لهمسة من عريسها المفتون ...

قالت في سرها " وانت يا شهرزاد تقفين ها هنا تراقبين منذ ساعات وتتحسرين حالك كحال المسكين باهر ! "

لكنها واجهت نفسها ... ليس شاهين السبب ولا اكتشافه لهديل السبب .. وليس عرس سمارا السبب ولا همسات عريسها لها السبب ...

السبب في ألمها الذي لايحتمل وهي تعترف اخيرا انها غير قادرة على نسيانه ! هو ... من منحته كل شيء ليجعلها تكره كل شيء ... هيثم ... من عشقت طوال حياتها لتكتشف الان انها اضعف من ان تكرهه هو شخصيا بعد خيانته لها ...

" هل انت بخير شهرزاد ؟! يا الهي لماذا تسيل دموعك ؟!! "

اشرقت بالبكاء وهي تستدير قائلة بتوسل "

ارجوك ساخرج بمفردي واعود بعد قليل "

وتركها باهر بتردد بينما يراقبها باشفاق !

اخذت تبكي وتبكي في متوارية بظلمة الاشجار حولها ، لاتعرف كم طال الوقت وهي تبكي بحرقة هكذا !

همست بألم من بين شهقاتها " لماذا لااستطيع كرهك هيثم ... لماذا ؟! يا الهي ... هل سأظل اتعذب بهذا العشق وانا عاجزة عن الغفران لك ؟! "

" شهرزاد ..."

صوت شاهين الرقيق ميزته فمسحت وجهها على عجالى وقبل ان تجيب نداءه قال بصوته الدافئ " لماذا تبكين عزيزتي ؟ "

قالت بحرج دون ان تستدير اليه " انا بخير شاهين كنت فقط متضايقة والآن ارتحت "

قال وهي تشعر به خلفها " شهرزاد ... انت ... ما زلت تحبينه ..."

كان اقرار واقع مرير جعلها تنهار في البكاء مرة اخرى لتستدير اليه قائلة بألم " لااريد هذا .. لااريد ... كل ما اردته ان اكون حبيبة لرجل مثلك ... مثلك انت شاهين ..

يراني ... يقدرني ... يحن علي ... لايخونني ابدا .... لماذا لم التقي بك انت ؟! لماذا كان هو محور حياتي منذ طفولتي ؟!! هل كتب علي ان اعيش سجينة مشاعري نحوه حتى نهاية حياتي ... ؟!! انا اريد ان اعيش بسعادة مع شخص يقدرني فهل هذا كثير ؟! "

نظر اليها شاهين وابتسم بحنان ليقول " عزيزتي كل له اقداره ، ومن يدري ربما ما كنت لتمنحيني قلبك لو التقيت بي قبله .."

اخذت تبكي بحرقة بينما شاهين يهمس اليها بكلمات رقيقة لتهدأ دون ان يدري ان هديل تراقبه من بعيد وقلبها يتفتت ألما ....

عندما هدأت شعرت بالخجل من شاهين فقالت بضيق " انا .. اسفة .. يبدو انك قدري لتكون قربي في اكثر لحظات حياتي ضعفا "

صمت للحظة قبل ان يقول " اذهبي واغسلي وجهك فالحفل يوشك على الانتهاء وسنزف العروسين ..."

هزّت رأسها توافقه وما ان تحركت خطوة حتى توقفت لتهمس " هديل فتاة رائعة شاهين ، رائعة و... محظوظة بك ..."

تركته على وقفته ينظر اليها وابتسامة مرتعشة على فمه ليهمس حالما اصبح بمفرده " جميلة الملامح ... انا المحظوظ بها .."

خرجت من المصعد وهي تشعر بارهاق رهيب ،
يدها ترتعش وهي تفتح حقيبة يدها
الليلكية التي وائمت فستانها المميز ..

اخرجت مفتاحها وهي تتجه لشقتها عندما
سمعت صوت باب الشقة المقابلة تفتح خلفها
...

تملكها غضب مجنون واوشكت ان تستدير
لتصرخ به دون مقدمات لكنه سبقها بخطواته
نحوها ليمسك ساعدها يلف جسدها نحوه
وهو يقول بغضب " لماذا تأخرت كل هذا ؟!
انها الواحدة بعد منتصف الليل ! "

نظرت لعينيه الزرقاوين وهما تشتعلان بالغضب
و.. القلق ... اجل هذا القلق الذي لم تره في
عينيه ابدا جعل غضبها يتحول لرغبة حارقة
بالانتقام .. انتقام من كل ما تعانيه بسببه
وبسبب عشقه الذي دمرها يوما وما زال يدمر اي
فرصة لها بعيدا عنه ..

قالت ببرود جليدي وهي تنزع ذراعها من
قبضته " لاتتدخل بشؤوني .. انا حرة "

ثم توجهت نحو الباب متجاهلة نظرة الصدمة
في عينيه لكنه لم يستسلم ... كما كانت
تتمنى !

اقترب خلفها ليهدر " ما معنى انت حرة ؟! كيف تعودين بمفردك بعد منتصف الليل بهذا ... بهذا الفستان ! "

التفتت اليه براسها فقط لتكتشف نظرته الرجولية لتفاصيلها التي اظهرها الفستان ..

كانت تعلم انه يحب ارتداءها لفستان كهذا ، يحبها انثوية ومغوية في نفس الوقت ...

سخرت منه ممعنة في اذلاله " كنت احضر حفل عرس فماذا تريدينى ان ارتدي ؟! منامتي القطنية ؟! "

شد على فكيه وهو ينظر لوجهها بملامحه المتمردة الغريبة عن طبعها فقال من بين اسنانه بما يستطيعه من هدوء اعصاب " لم اقل هذا وانا اعرف ان عرس سمارا الليلة لكن كان يفترض عودتك بوقت ابكر من هذا "

اظهرت نفورا منه لتقول ببرود " انا حرة ... الا تفهم ؟! سبق وقلتها لك وساكررها كلما رأيت وجهك ... انا حرة .."

احتدت نظراته وهو يقول " ماذا يحصل معك الليلة ؟! وما حكاية انت حرة هذه التي لاتكفين عن ترديدها ؟! "

وضعت المفتاح في الباب لتتجاهله مرة اخرى عن تعمد واستفزاز فهدر عندها " انا اكلمك شهرزاد ! وانت مخطئة ... انت لست حرة لتعودي متى ما شئت هكذا ... ثم انا مسؤول عنك لان لااحد لك غيري هنا ..."

عندها شعرت براحة غريبة مذاقها بارد تمنح سعادة من نوع لم تجربه .. سعادة تذوق لذة الانتقام الوشيك !

التفتت اليه بينما تفتح تدير المفتاح لتقول بابتسامة ساخرة " انت لست مسؤولا عني ..." ثم اضافت وهي تفتح عتلة الباب " وعموما لاتقلق ... سأكون (مسؤولة) من رجل حقيقي قريبا "

دخلت وهي تشعر برضا لايوصف وكانت مستعدة لغلق الباب في وجهه لكنها ما ان استدارت حتى شعرت به يدفعها للخلف ليدخل هو الآخر ويغلق باب الشقة خلفه ...

نظراته الشرسة زادت من اثارة شعورها بالرضا فرفعت ذقنها بكبرياء قائلة " غادر هيثم فمكانك ليس هنا ..."

اقترب منها حتى غدا على بعد بضعة سنتيمرات يتواجهان بالنظرات المشتعلة ليقول بنبرة لو ادركتها لتراجعت عن تحديه " ماذا تقصدين بـ(سأكون مسؤولة من رجل حقيقي قريبا) ؟؟"

ردت ببساطة وهي ترفع حاجبيها " المعنى واضح ... ساتزوج ..."

شهقت متألمة عندما امسكها بعنف من ساعديها وهو يصرخ " أو تجرؤين على قولها في وجهي شهرزاد ؟! تريدين الزواج من ذلك الحقير شاهين ؟! "

رغم اصابعه التي تنغرز بقسوة في لحمها الا انها شعرت بانفلات امواج الغضب منها فقالت بشراسة تعادل شراسته " شاهين ليس حقيرا وانت تعرف ذلك جيدا ... و اجل... سأتزوجه فانا احبه وهو يحبني ..."

بشفتين انسحب الدم منهما حتى ابيضتا همس

" ماذا تقولين ؟! "

ردت وهي تتمعن بقهره دون رادع عقل يوقفها

" اقول انا .. احب ... شاهين "

اخذ يهزها بعنف حتى انحل شعرها الناعم في فوضى حول وجهها وهو يصرخ فيها كالمجنون

" اياك ان تعيديها مرة اخرى .. اياك ...."

لكنها رفعت وجهها اليه لتنظر في عينيه وتردد بعينين تلمعان بالتحدي

" احبه احبه .. بل واكثر من هذا ... اننا لانطيق صبرا لتكتمل فترة العدة حتى نتزوج "

عندها هدأ هيثم تماما ليسأل بصوت بارد " اذن تنتظران فترة العدة ... ها ؟"

ردت بانتصار احمق " اجل .. ولم يبقَ الا القليل .. لااعتقد اكثر من شهر .."

عندها ابتسم ! ابتسامة عبرت عن معنى القسوة ! ليهمس وهو يقترب بوجهه من وجهها

" حسنا يا شهرزادي .. بما ان اليوم عرس سمارا فدعينا نحتفل معها ..."

وقبل ان تهبط شفتاه لشفتيها همس بحرارة

" انا ... اردك ... لعصمتي ...! "

الفصل الخامس عشر

الشوق والغضب خلطة متفجرة ! وهيثم شعر بالانفجار وهو يعتصرها بين ذراعيه بوحشية افلتت منه !

لم يكن يعي حتى ردة فعلها وقد فقد السيطرة على ادراكه ! ولولا حاجته للتنفس لما افلت شفتيها ليلهث بجنون ... كلهاثها هي!

همس بتحشرج " يا الهي ... انا مجنون بك ! " لكن ما انحنى نحوها مرة اخرى حتى فأجاته بأن اخذت تضربه بعشوائية عنيفة !

كانت تصرخ بهستيرية " خائن .. كاذب منافق ... اناني ... اكرهك ... اكرهك .. اكرهك من كل قلبي ..."

صراخها بالكره وهستيريتها وهي تضربه بعنفها الرقيق المميز هذا جعله يستكين في وجل !

بحث عن وجهها الذي غرق بين ثنايا شعرها الحريري ليهمس بتصلب " انظري الي شهرزادي ... انظري الي ...."

لكنها كانت ما تزال تفلت بوجهها من كفيه ليعاود هو امساكه وتثبيته ...

همسه بدا متوسلا وهو يطلقه نحوها " لاتقولي انك تكرهيني .. لاتقوليها .. انت تحبينني انا شهرزاد ... انا فقط اليس كذلك ؟! انا حبيبك وزوجك وكل شيء شهرزاد ... كل شيء ..."

رفعت عينيها اليه ليرى نظراتها النارية من بين خصلات شعرها المتناثرة فقالت في قسوة " لم اعد احبك ! الا تفهم ؟! انا لم اعد احبك ..."

تشوهت ملامحه بالغضب ليقول من بين اسنانه " ولن تحبي احدا غيري ! تريدين الانتقام مني ؟ حسنا ... افعليها وانت زوجتي ... زوجتي ... زوجتي التي لن يفرقها عني الا الموت ! "

للحظة تاهت نظراتها وكأنها تعيش صدمة متأخرة ! ساد الصمت للحظات وهو يتطلع اليها بنظراته الساخرة التي تخفي ألما مبرحاً لايحتمل !

ليضيف بهمس وحشي " وشاهين هذا سأدمره .. سأدمره ..."

كانت في حالة لم تستوعب جملته الأخيرة عن شاهين لتنتفض وهي تفلت منه وتتراجع للخلف قائلة بتساؤل مجنون " ما.... معنى .. زوجتك ؟! ما معنى .. اردك لعصمتي ؟! انت لست زوجي ... انت ...طلقتني ....! "

ضحك عاليا بقساوة ظاهرة ليقول بثقة رسمها بغل على محياه " الا تعرفين يا (زوجتي) اني استطيع ردك متى ما ا شاء لعصمتي ؟! حتى دون موافقتك ... "

ليضيف بعينين ناريتين " ما دامت شهور العدة سارية المفعول ..."

اخذت تهز رأسها يمينا وشمالا وملامحها تنطق بعدم التصديق لتهمس بحشرجة " لا ... لايمكن ... انت كاذب ... لايمكنك اعادتي اليك ببساطة هكذا ! لايمكنك اعادتي رغما عني ... لا ... لا ..."

كل حرف نطقته كان كسكين ثلمة تغور بامعان فيه لتمزق احشاءه بالألم ...

لم يحتمل ادعاء الثقة والسيطرة اكثر من ذلك وبحركة شديدة العنف تحرك نحو باب الشقة وفي طريقة لم يجد الا مجموعة تحف على منضدة جانبية ليفرغ غضبه الجنوني فيها وهو يضربها بعنف لتسقط الكريستالات والتحف ارضا وتتهشم !

اجفلت شهرزاد مرتعدة لتستيقظ من صدمتها فرفعت رأسها لتطالعها هيئة هيثم المغادرة فيصفق الباب خلفه ويتركها وحيدة مهشّمة الارادة حالها كحال القطع المهشمة حولها ...

هل ما قاله هو الذي هشّمها هكذا ؟ ام حقيقة استسلامها المجنون لقبلاته الوحشية التي ارعبتها بتأثيرها عليها ...

لم يعاملها يوما بهذا الجموح الخشن ! وهل هذا سببا للاستسلام له حتى ولو للحظات ؟!!

ثم فجأة شهقت وهي تضع يدها على فمها المتورم لتهمس " هل صحيح ما قاله ؟! هل عدت زوجته ؟!! ام انه يرعبني لينتقم مني ؟!"

ثم اتسعت عيناها برعب مضاعف وهي تتذكر ما قاله عن نيته بتدمير شاهين ! وعندها خرت الى الارض مع هطول دموعها لتقول بجزع وانهيار " ماذا فعلتِ يا حمقاء ؟!! ماذا فعلتِ ؟؟" لتضيف برعب " لقد دفعته ليؤذي شاهين ! "

دخل شقته والغضب يزأر في داخله ... اغلق باب شقته بعنف حتى ارتجت اركانها ...

للحظات ظل مسمرا مكانه يغمض عينيه وقبضتاه تتشنجان برغبة مجنونة لتنهال على وجه ذلك الحقير (شاهين) ....

(انا احبه احبه احبه ... اكرهك اكرهك اكرهك ...)

صرخ بزمجرة مجنونة لتنهال قبضته على الحائط بجانبه في لكمة لاتعرف الرحمة فلم يشعر الا بالألم يسري في مفاصله ..

انفاسه تهدر بينما يسب ويشتم وعيناه تتطلعان ليده التي آذاها بتلك الحركة الرعناء !

خطواته كانت تقوده ليتحرك هنا وهناك في ارجاء الشقة كأسد مجروح مسجون ...

كلماته كانت تخرج من فمه بلا ترابط وقد فقد قدرته على التركيز ...

" تحبينه ؟! وتكرهينني ! ... هكذا شهرزاد ... جعلتني مجنونا تماما ... لااطيق هذا ... كل هذا الصبر ... كل هذا العشق ... جعلتني اقدم على ... على ... ردك بهذه الطريقة ! خسرتك وانا اعيدك ... وخسرت روحي .. بخسارتك ... ماذا افعل ... لاول مرة اعجز هكذا ... لااستطيع تركك ... لااستطيع فعل هذا حتى لاجلك انت ... اللعنة اللعنة اللعنة ... لقد دفعتني لاقصى حد ... لم ترحمي قدرتي على الاحتمال بعد كل الصور التي رافقتني طوال المساء وانا اتخيلك هناك ... معه .... منعت نفسي عشرات المرات لاذهب اليك هناك .... قتلتني قلقا عليك ثم تعودين ببساطة متمردة فاتنة قاسية وانت تعلنين حبك له ...!

وانا ؟؟ ماذا كنت تتوقعين مني ؟ مجرد لمسك بعد طول حرمان حطمني وحطم ارادتي ... "

خفق قلبه بقوة افزعته وهو يتذكر جنونه ليضمها بين ذراعيه حتى كاد ان يحطم عظامها الرقيقة !

شعرها مازالت اثاره الوهمية الناعمة على وجهه ... شفتاها ... همس بحرقة وهو يغمض عينيه "اه منهما ومن لوعتي لنيلهما ..."

ألم يده اخذ يعلو ليجبره على الاستيقاظ من سكرة الذكرى ...

اخذ نفسا عميقا وقست ملامحه وهو يتوجه نحو الصيدلية الصغيرة في المطبخ ليقول بجمود " الألم احيانا ضروري لنفيق ! "

ارتعشت ابتسامته وهو يراها غارقة بين طيات ثوب العرس تجلس بتوتر على حافة السرير ..

اراد خلع سترته لكنه خاف ان ترتعب من مجرد حركة عفوية بريئة ! مع ان نواياه في هذه اللحظات نحوها لاتمت للبراءة بصلة !

همس في سره " فقط المزيد من الصبر يا اياد .. القليل منه .."

وقف امامها وهي تنكس رأسها للاسفل تتهرب من النظر نحوه ... منذ دخولهما الجناح الفندقي وهي تلتزم هذا الصمت لكن جسدها كان يرتعش بوضوح ...

انحنى بجسده وببساطة جلس امامها على الارض ، اجفلت قليلا لتنظر اليه بجزع فتبسم وقال وهو يرفع وجهه اليها " هل ما زلت حانقة علي لاني حجزت هذا الجناح الفندقي ؟! "

ردت بتلعثم " نعم ... اقصد لا ..."

اتسعت ابتسامته وهو يواصل حديثه بنعومة " والدك بدا متأثرا جدا رغم محاولاته لاخفاء دموعه .."

تنهدت لتقول بحزن " يؤلمني جدا تركه ، لقد تعود على وجودي وهو من النوع الذي يصعب عليه التغيير خصوصا في سنه هذا .."

بينما كانت تتكلم هو تجرأ ليرفع يده ويضم يدها المستقرة في حجرها ، لم تتنبه له وهي تسترسل بشجن " انه يحاول جهده ان يكون اب مثالي ، يحاول ان يعوض اي تقصير من جانبه ، ما زال يشعر بالذنب نحوي وحتى نحو هديل ..."

رفع كفها ليلثم باطنه ويتكلم بصوت مبحوح " اذن امنحيه ما يريد حبيبتي ، دعيه يراك سعيدة فعندها سيشعر انه هو سبب سعادتك بدفعك للقبول بي من جديد .."

اخذت تعض شفتها السفلى وهي تقاوم ارتعاشها لملامسته الرقيقة لتهمس بصدق " انه لم يدفعني اياد ... انا التي .... "

رفع عينيه اليها لتبرقان بشدة وهو يسأل بشوق لايخفيه " انت ماذا يا حمراء ؟! هل تحبينني كما احبك ؟ طوال تلك السنوات هل كنت تفكرين بي يوميا كما كنت افعل ؟؟ هل شعرت برجفة تعتريكِ عندما رأيتني يوم عودتي ذلك المساء ؟!! "

همست بتلعثم خجول وهو يقبل يدها بهيام

" ايا..د .."

فرفع جسده اليها جالسا على ركبتيه ليقابل وجهه وجهها تماما وهو يستند بكفيه الى جانبيها على حافة السرير ثم قال بمشاعر ملتهبة " اقسم اني شعرت وكأن مسّا كهربائيا اصابني لمجرد رؤيتك تلك الليلة ، انه عشقك الذي لايموت ... لايموت سمارا ... "

كان صدرها يعلو ويهبط وتنظر اليه بملئ عينيها تدرك بغريزتها كم يحاول الصمود حتى لايتهور ويرعبها وبنفس الوقت تدرك انه بحاجة مميتة لسماع كلمة واحدة لم تقلها له صراحة ابدا !

رفعت كفيها بارتجاف لوجهه تلامس خديه ليرتعش بينما تهمسها له " انا ... ايضا .. اياد .. احببتك وما زلت ... طوال تلك السنوات .. " لتترقق نبرتها وتهمس بألم " انا .... اسفة .. اني خذلتك .. في السابق ... دفعتك بعيدا وانا .... لم اكن اريد .... اقسم ... لم اكن ... اريد ايلامك ... انا احبك اياد .. احبك جدا اقسم لك "

" يا اللّه ...."

لم يقل الا هذه الكلمة وقد فقد السيطرة تماما ليأخذها بين ذراعيها .. اخيرا ... وبعد طول صبر وانتظار ...

يتمدد بكسل على سريره يتطلع بسقف غرفته الرمادي والذي بدا مظلما بالظلمة المحيطة به ...

(انت ... غبي !)

ضحك شاهين بخفوت وعيناه تلمعان بالاثارة وهو يتذكر غضب تلك الصغيرة المبهرة منه!

لايصدق انها نعتته بالغبي ! ولايصدق كل تلك الغيرة التي طفحت من ملامحها ...
جميلة الملامح تغار عليه ! لم يرها تغار عليه بذلك الوضوح سابقا ...

عندما اراد العودة للحفل بعد مواساته لشهرزاد وجد هديل في منتصف طريقه لهناك ! بدت بعينين غاضبتين ودموعا لاحت فيهما بينما تزم شفتيها المغريتين كطفلة عنيدة مشاكسة ...

كان غبيا فعلا لانه لم يدرك ان تلك الصغيرة تجيد التلصص !

ضحك شاهين عاليا وهو يطوي ذراعه ليتوسده تحت رأسه بينما يهمس برقة " كم انت ممتعة يا جميلة الملامح ... وكم هو ممتع وعذب الاستسلام لمشاعري نحوك ..."

لم تمهله ليتساءل حتى وهي تقول له بغضب ناري (انت ... غبي !)

يتصور ملامحه المصدومة التي جعلتها تقترب منه لتقول منفجرة بشراسة " اجل .. لاتنظر الي هكذا ... من يلاحق امرأة غارقة في حب رجل آخر فهو حتما غبي ! لم اتصورك من النوع الذي يأبى الاعتراف بالحقيقة هكذا !"

لايعلم حقيقة لماذا ابتسم في تلك اللحظة؟! ربما لانها اصابت الهدف بطريقة غير مباشرة ! لانه كان فعلا يأبى الاعتراف بالحقيقة ... لكن ليس ذات الحقيقة التي تقصدها هي ... !

تلك المتهورة ... لم تكن تعلم ان الحقيقة تكمن فيها شخصها هي وليس في شهرزاد ...

يعترف انه بالغ باغاظتها وهو يتكتف بحركة توحي بالضيق بينما يرسم ملامح عدم الفهم ثم قال " هلا افهمتني بكلمات واضحة ماذا تقصدين بهذا الهجوم الكاسح ؟! لاني وببساطة شديدة .. لم افهم شيئا ! "

كادت تضربه ! يقسم انه رأى رغبتها بضربه تتجلى في نظراتها ...

لكن ما حصل انها اوجعته ! اوجعته بطريقة انثوية بحته وهي تشهق فجأة بالبكاء !

لعن نفسه وهو يرخي ذراعيه ليهتف قلبه قبل لسانه باسمها " هديل ... "

رفع كفه ليلامس كتفها فابعدته بحركة عنيفة من جسدها ..

عندها لم يحتمل وهو يقول بعاطفة تذوب رقة وحنانا " يا جميلة الملامح لماذا تجعلين طباعك النارية تسيطر عليك احيانا ؟! ماذا رايت وسمعت لتغضبي مني كل هذا الغضب لتنعتيني بالغباء لاول مرة في حياتك ؟!"

كانت تطرق براسها وتشهق وتقول " انا .. آسفة .. آسفة .. لم اقصد .. "

ثم تحركت تريد الرحيل لكنه امسكها من مرفقها باحكام ليقربها منه ويقول بصوت مبحوح " لااعرف بالضبط ما رأيت وسمعت ، لكني استطيع .. انت تقصدين شهرزاد اليس كذلك ؟ حسنا ... انت واهمة اذا تصورت اني اقدم لها شيئا غير المواساة .. "

رفعت وجهها اليه لتقول بعنف ووجهها غارقا بالدموع " لا ... لاتكذب علي شاهين .. لقد رأيتك كيف تقترب منها تبتسم لها وتذوب رقة لاجلها ! "

رفع سبابته ليضعها على فمها يحاول جاهدا السيطرة على رعشته بينما يقول بصوت أجش " انا ... لااكذب عليك .. "

تراجعت للخلف وهي تحمر لتدير وجهها جانبا وهي ترتعش وتقول " انا اسفة .. انا ... تجاوزت كل حدودي معك ... "

بدت محببة بشكل لايصدق ، محببة لدرجة ارادها في حضن قلبه مستقرة هناك لاتتزحزح ...

فلم يفكر وهو يقول بهمس " هل ما زالت تلك المراهقة موجودة بمشاعرها نحوي في مكان ما من روحك الشابة ؟! "

شهقت وعيناها تتسعان برعب وهي تتطلع اليه بينما خطواتها تتراجع للخلف ...

ومع كل خطوة تراجع كانت قدماه تتقدمان نحوها وقد شعر بفورة من حاجة ملحة ليتيقن .. فقط ليتيقن .... همس " هل اطمع ان هذه المراهقة هي من اجبرت الشابة على رفض مشاعر شاب كزيد ؟! "

كانت تهز رأسها وكأنها لاتستوعب مايقول ينما نظراتها تزداد رعبا من هذه المكاشفة التي فاجأتها كما فاجأته هو في توقيتها ...

واصل همسه اللحوح " انا اعرف انك رفضته .. والدك اخبرني انك رفضته للمرة الثانية فاخبريني يا جميلة الملامح ... هل انا السبب؟"

هذه المرة استدارت بعنف لتركض في الطريق المتعرج بين الاشجار حتى بعيدا عن اتجاه قاعة العرس ولم تدرك انه كان خلفها مباشرة وحالما اصبحت في مرمى ذراعها مدها اليها ليمسكها ويجرها اليه حتى ارتطمت بصدره فاخذت غريزيا تدفعه وهي تهمس بصوت مبحوح مرتعد " اتركني .. ابتعد "

لكنه لم يبتعد وهو يميل قريبا من خدها ويقول بمشاكسة عاطفية " ساعتبر انني السبب حتى لو لم أكن كذلك ... !

لكن عليك وبطريقة ما جعلي كل اسبابك لتخيبي آمال كل دنيْ او غير دنيء حلم يوما في الاقتراب منك ... قدرك انك لي يا صغيرة "

ابتلع شاهين ريقه وهو يتذكر ارتجافها بين ذراعيه وهذه المرة تركها تنسل بعيدا لتتحرك بصمت عائدة باتجاه القاعة هذه المرة .. كانت تترنح في خطواتها امامه بينما هو يعاني من ترنح لذيذ في مشاعره ..

رحلة العودة بعد زفاف سمارا التزمت الصمت وهي تجلس خلفه بالسيارة ، لم يتوقف عن التطلع اليها عبر المرآة فاوشك ان يتهور ويحرجها ليطلبها من والدها الذي يجلس شبه نائم على الكرسي بجواره ...

لكنه صبر ... وها هو في سريره صابر ... ينظر للسقف الرمادي ويحلم بطلائه قريبا باللون الابيض فيرى ملامحها مشعة فيه ....

دموعها لم تكن تساعد وهي تتطلع بارتجاف لشاشة حاسوبها المحمول لتقرأ ما مابحثت عنه عبر صفحات مواقع الفتوى الاسلامية ،

لاتصدق انها لاول مرة تعرف ان الطلاق بنوعين رجعي وبائن ! وان طلاقها لم يكن الا رجعيا وكان بامكانه طوال الشهرين الماضيين اعادتها لعصمته متى ما شاء ودون اخذ رأيها حتى !

كل ما كانت تعرفه ان هناك فترة عدة تعقب الطلاق من اجل اعطاء فرصة للتصالح ان امكن ومن اجل التأكد من عدم وجود حمل !

لم يخطر في بالها ان تسأل عن اي تفاصيل حتى انها لم تفكر بتحصيل اي ورقة تثبت وقوع الطلاق .....

غمرت وجهها في كفيها تبكي حالها الذي أوصلت نفسها اليه بغبائها ! كيف جنت هكذا لتستفزه ؟!!! ماذا كانت تنتظر ؟؟ ان ترى ألمه وحسرته ؟؟ ام انها .....

رفعت وجهها بقوة لتواجه نفسها بالقول " ام انني كنت اريده في قرارة نفسي ان يظهر غيرة وتمسكا بي ! "

رفعت كلتي كفيها لرأسها تمرر اناملها في شعرها وهي تهمس بألم " يا الهي ... ماذا فعلت ؟! ماذا فعلت ؟؟ لم اكن اعرف ... لم اكن في وعيي حتى لادرك مغبة ما قلت ؟ لم افكر بشاهين الذي قد يؤذيه هيثم دون اي ذنب ارتكبه !! ماذا افعل الآن ؟

لااجرؤ على الاتصال بشاهين لاحذره .. وماذا اقول له ؟!! انه حتى لايعرف بوجود هيثم قريبا مني ساكنا في الشقة المقابلة لشقتي ؟!! "

حركت عينيها نحو الساعة المنضدية لتشير بالوانها المتوهجة في الظلمة الى الرابعة والثلث فجرا ... يا الهي هل مر كل هذا الوقت منذ مغادرة هيثم ؟! انها لم تفعل اكثر من اخذ حمام حار لتتمالك اعصابها ثم جلست على سريرها لتفتح حاسوبها تبحث عن اجابات وتفسيرات لامور اكتشفت جهلها التام بها ...

وها هي تجد ان كل ما قاله هيثم كان صحيحا ، وانها الآن شرعا وقانونا عادت ... زوجة له ...

صباح اليوم التالي

كان يرتشف من قهوته يبحث في مر طعمها ما يدحر مرارة روحه ، ألم حاد في رأسه وآخر مماثل في كفه المربوط بضماد .. وها هو مع بزوغ الشمس يعاني من ألم اشد ... في قلبه تماما ..

اخذ رشفة اخرى وعقله يعيد تنظيم نفسه ليجد حلولا لكل هذه الفوضى التي غرق فيها واغرق معه شهرزاد ..

رن جرس الباب ...

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يدير وجهه قِبَل الباب ، لايعقل ان تكون هي امام بابه ! ... ام .. هل يعقل !!

وضع قهوته على منضدة جانبية قريبة وتحرك من وقفته التي طالت عند شباك غرفة الجلوس وتوجه ناحية الباب بينما يستجيب بشكل عفوي لايعازات عقله التي تعيده لتماسكه البارد المعتاد ...

هل يعقل ؟!!! نعم يعقل ! فها هي شهرزاد بشعر مربوط للخلف وملامح مرهقة ...

طال وقوفها الصامت امامه وهي تسبل اهدابها وتتكتف بحركة دفاعية واضحة ...

انسابت نظراته عليها ... بنطال جينز وبلوزة فضفاضة طويلة وكأنها تعمدت ارتداءها لتخفي مفاتنها عنه ! كم هو مستفز انها تعتقد بملابسها السخيفة هذه تقلل من انجذابه الرجولي نحوها ...

يستطيع ان يغمض عينيه حتى ويشعر بالانجذاب لما سبق وكان له وملك يمينه ..

(احبه احبه احبه) كلمة عاودت دويها الحارق في عقله فشعر بالاشتعال !

رفع ذقنه ليقول ببرود " هل ستقولين ما جئت من اجله ام ستقفين كثيرا هكذا ؟!! "

لاحظ ارتباكها وهي تعيد خلف اذنها خصلة حريرية منفلتة من ربطة شعرها فاوجعته ذكريات لاتعد ولا تحصى معها ... ايام شهر العسل ... عسل شهرزاد الخاص وهي تضحك ببشاشة ووجهها يطفح بالسعادة لمجرد النظر اليه ثم تلجأ لصدره تختبأ فيه وتتنهد برضا وهو يضحك من سذاجتها الطفولية !

اغمض عينيه قليلا ثم قال بصوت ساخر مستفز " هل شهرزادي .... تشتاق ؟!! "

كان يعلم انه يتجاوز حدود الاستفزاز لكنه لا قدرة له للسيطرة على نفسه وهي تقف امامه كطفلة بريئة بينما يتلظى هو بكل انواع المشاعر السلبية ..

رفعت وجهها بحدة اليه وواجهت نظراته الساخرة بنظرات مشتعلة غضبا لتقول بصوت منفعل " اياك ان تقولها لي مرة اخرى ؟! "

ابتسامة جانبية ثم تكتف وهو يقول ببحة مثيرة " لماذا لااقولها ؟!أ لأنها تذكرك بأي وحش حقير كنت تعشقين وتشتاقين ؟؟ "

انطفأ الغضب في عينيها لترتجف يدها وهي ترفعها مشيرة له " فقط لاداعي لنتكلم في الماضي ، على الاقل الآن ... انا ... " اخذت نفسا قبل ان تقول بتوتر شديد " انا .. جئت الآن تحديدا لاقول .. اني ... كذ... بت .. عليك .."

تنبهت حواس هيثم كلها فسأل بتحشرج " ماذا تقصدين ؟! "

ردت وهي ترفع نفس اليد لجبينها تدلكه " كل .. ما قلته لك عن .. شاهين ... كان ..كذبا ومحض افتراء ! "

للحظة ... للحظة فقط غمرته موجة سعادة ثم عادت وانحسرت ليزمّ شفتيه قائلا " أ لهذه الدرجة ؟!! تخافين عليه مني يا شهرزاد ؟!!"

نظرت اليه شفتاها ترتعشان وهي تقول بعينين لمع فيهما الصدق وظللهما الحزن " اقسم باللّه كل ما قلته كان كذبا ! انا لااحبه ولا هو يحبني .. ولم يحصل اي كلام بيننا لا عن زواج ولا اي ارتباط ... كما انه يبدو مغرما بأخت سمارا الصغيرة وقد يتزوجها قريبا " ارتعش صوتها اكثر وهي تضيف بحشرجة متألمة " البارحة تصرفت ... بحمق ...اردت فقط ايذاءك وتحديك ... "

كان يقاوم مد الموجة مرة اخرى ليسأل ببعض التشكك " لو كان هذا صحيحا لماذا اخترت شاهين دون غيره ؟! "

نظرت اليه بعمق لتقول بنفس الصدق " ربما ... لاني اتمنى لو استطيع جعل قلبي يحب انسانا رائعا مثله .. " ادمعت عيناها وهي تهمس " انا حقا اغبط هديل! ..."

يا الهي تهديه قطعة حلوى صغيرة لتسقيه بحرا من المر العلقم ....

امسكها من ساعديها بعنف واخذ يهزّها قائلا بحرقة " الى متى حقدك علي سيستمر ؟!! الى متى شهرزاد ؟؟ انظري اين وصلنا ؟؟ لم اكن اريد فعل ما فعلت بالامس ... لم اكن اريد ارجاعك الي بهذه الطريقة ... اشعر بفقدان السيطرة على كل شيء حولي ... "

فجأة جذبها اليه ضمها لصدره بقوة وجهها الباكي المستسلم مغمورا في صدره ليهمس بألم " ماذا افعل ... ماذا افعل لتغفري ؟! لتنسي ما فعلت ؟! لتمحي من ذاكرتك ما رأيت في ذلك اليوم اللعين ؟!! "

انتفضت لتبتعد عنه بقوة تبكي بحرقة وتقول بصوت ملتاع " لن انسى .. لن انسى ... وشيء واحد لم اكذب به بالامس .. انا اكرهك هيثم .. اكرهك لانك خائن منافق ... وحتى لو اعدتني زوجة لك شرعا

فلن اكون لك حقيقة ابدا ... ابدا ياهيثم ... ولا اريد ان اكون لغيرك حتى لذلك لايهمني انك ربطتني اليك كزوجة بالاسم فقط ... فافرح بانجازك الرجولي الرائع ! "

ثم ركضت منهارة عائدة لشقتها وهيثم يرفس باب الشقة بعنف مجنون ....

في مكتب شاهين ....

بحاجبين مرفوعين وعينين متسعتين نظر شاهين لشهرزاد مذهولا من كل ما سمعه منها للتو !!

كانت قد دخلت مكتبه مباشرة حال وصولها لتقول دون مقدمات " شاهين ... انا بحاجة لمساعدتك ! "

بدت مرهقة جدا .. جدا ! وتعيسة لابعد حد ... لايعرف ما يجب فعلا ان يقول لها فموقفها اصبح اكثر تعقيدا .. وربما ... العكس !

قال اخيرا بهدوء " لن اعاتبك لانك اخترت اخفاء الامر عنّا وسأكون عمليا لايجاد حل للوضع الجديد الذي وجدتِ نفسك فيه ..."

أشار باتجاه الكرسي المقابل لمكتبه وقال " اجلسي شهرزاد فأنت توتريني بوقفتك المنهارة هذه ! "

جلست شهرزاد بإنهاك على الكرسي ليفعل شاهين المثل وهو يفكر ان سمارا كانت ستنفعها اكثر منه ...

لاول مرة لم يشعر شاهين بالغضب من هيثم ! شهرزاد تجاوزت حدود سيطرة اي رجل على نفسه وهي تكذب عليه بالقول انها تحب رجلا آخر وستتزوجه حال انتهاء فترة العدة ...

انتابه احساس شديد الرقة نحوها كطفلة تشعر بالذنب لانها اخطأت في عمل ما !

امرأة عجيبة ! لديها القدرة على استجلاب مشاعر الحماية لدى اي رجل ورغبة لارضائها وتطمينها ...

تطلع لوجهها بملامحها التي تحمل حيرة وتشتتا .. انها تفتقد التوجيه بشكل موجع !

حثّ نفسه في سره " عليك ان تكون حازما معها يا شاهين ، سمارا كانت ستفعل هذا معها فافعله انت ... على الاقل قل لها احساسك كرجل "

قال اخيرا وبهدوء شديد " اسمعيني شهرزاد ، قد لااقدر احساسك كأنثى بتاثير الخيانة ولكني اراك امرأة فريدة بشفافيتها ، هذه الشفافية تجعلك تختارين الصحيح في النهاية فلاداعي لخوفك وحيرتك ..."

نظرت اليه بجزع وهي تقول " كنت بحال ممتاز شاهين قبل ان يأتي ليقتحم عالمي الجديد الذي كنت اريد بناءه بنفسي ، كنت سعيدة .. "

رد بتمهل " البناء لن يضيع شهرزاد ، حتى لو سامحتِ هيثم يوما وقررتِ العودة اليه لن يتلاشى كل هذا الانجاز الذي حققته "

صمت للحظة قبل ان يقول ببعض التردد " لاتسمحي لاحد .. ايّا كان ان يسلبك اي نجاح تفتخرين بتحقيقه ، كوني انت .. لانك رائعة كما انت وبنفس الوقت .. لاتنسي من حولك وحاولي ..تفهمهم ..."

تألمت ملامحها وهي تهمس له بعتب " هل تحاول اعطاء هيثم الاعذار يا شاهين ؟!! هل ستقول الآن اني اخطأت معه ؟!! "

رد وهو يهز رأسه نفيا " انا لااحاول اعطاءه اعذارا ولكني احاول مساعدتك لتفهمي زوجك ..."

ارتعشت شفتاها وهي تقول بقنوط " ها قد عاد زوجي رغما عني ! "

تنهد وهو يقول " شهرزاد واجهي الواقع انت استفززته لابعد حد ! كنت تعلمين عن يقين لماذا اتى ليسكن قريبا منك هكذا ،

تجاهلك لوجوده لايعني انك لاتعلمين غرضه الواضح لفعل اي شيء حتى يعيدك اليه ..."

احنى رأسه قليلا وهو يقول ببعض الحرج " مرة .. كنت اتناقش .. مع سمارا حولك ... حول الزواج عامة بالاحرى ... اعترف اني كنت مُدينا بشكل قطعي لما فعله هيثم والمفارقة ان سمارا كانت تتفهمه !! مع انه يفترض العكس اي ان اتفهمه انا كرجل وسمارا تؤازر موقفك كانثى ... لكنها لفتت نظري لشيء انثوي مهم.. اتعرفين ما هو ؟؟"

نظرت اليه شهرزاد بحيرة وهي تهمس " لا ! "

قال بابتسامة متسامحة " قالت انك احببته بكل ما فيه .. جذبك بشخصيته باسلوبه بطباعه ... لكنك تحتاجين فقط لتكتشفي طريقك الصحيح للتعامل معه "

ثم ضحك بخفة وهو يقول بممازحة " ليس كل الرجال لطيفين مثلي انا ! احيانا يحتاجون لنوع من التعامل الملتوي "

وضعت يدها على جبينها وهي تقول بضعف " انت تتكلم وكأن عودتي اليه باتت حتمية ! وكل ما علي اجبار نفسي على مسامحته ثم ايجاد طريقة حتى لايخونني مرة اخرى !! "

عندها قال شاهين بجدية " انا اتكلم على اساس الخيارات المتوفرة لديك شهرزاد لاتنكري ان خيار العودة متوفر وبقوة ايضا وهذا ما يرعبك وينهك قواك ! احساسك الذي ترفضيه .. انا احاول ان اطمئنك انك لو... و أضع ثلاث خطوط تحت كلمة (لو) ..

لو قررتِ الغفران والعودة تأكدي انك تستطيعين تغيير حياتك معه ، لن تكوني نفس المرأة وهيثم واعٍ لهذا وهذا واضح من اسلوبه الجديد معك ..."

ارتعشت يدها وهي تنزل من جبينها لفمها لتقول بتشوش " انا مرتبكة شاهين ، مرتبكة ... لا .. لست مرتبكة ... انا خائفة .. خائفة جدا من ان اضعف واعود اليه .. ليس فقط الغفران ما يشغل بالي .. انا خائفة منه .. خائفة ان يعاود خيانتي ! شيء ما في داخلي انكسر .. لااعلم ما هو .. هل ثقتي بنفسي كأمرأة انكسرت ام ثقتي به ام الاثنان معا !"

عندها قال شاهين وبثبات مطمئن " خذي كل الوقت لتقرري شهرزاد وتأكدي اني لن اتخلى عنك ابدا وسأدعمك ، اعتبريني سندا دائما لك ولن اخذلك ..."

" شاهين ؟؟ ماذا تفعل هنا ؟!! "

ابتسم شاهين بشقاوة وهو يتحرك من وقفته الكسولة المستندة للحائط ليقول وهو يقترب منها " جئت ارى صغيرتي الشقيّة وهي في عملها الجديد "

رغم احمرارها المبهج عبست هديل وهي تقول بحنق " اولا هي مجرد فترة تجريبية وانا اعتبرها تدريبية ..بمعنى ليس عملا حقيقيا "

عيناه تشاكسانها قبل كلماته وهو يقول بصوت رقيق " وثانيا ؟!! "

تنحنحت وهي تعيد شعرها خلف اذنيها لتقول " انا .. اردت شكرك لانك .. توسطت لي هنا .. "

ثم سارعت لتضيف وهي ترفع سبابتها المستفزة في وجهه " مع اني ارفض الوسائط لكني قبلت لان سمارا اكدت لي انهم لن يعطوني راتبا حتى اثبت جدارتي "

ظل يتطلع اليها لفترة طويلة وهي انخرس لسانها وعجزت عن فعل شيء .. اي شيء ..

قال شاهين بنبرة دغدغت مشاعرها

" لم نكمل كلامنا السابق ..."

احمرت وجنتاها اكثر واكثر لتهمس بعينين براقتين " شاهين ... انا لم أنم ... منذ يومين "

قال بابتسامة متسلية " كان بامكانك الاتصال بي فنسلي بعضنا لاني لم أنم أنا الآخر ..."

زفرت بعمق وهي تقول بارتعاش " انا لاعرف حقا ما الذي يحصل ؟! "

رد برقة " فقط أكدي لي امرا واحدا وأنا سأنهي حيرتك ؟ "

سألت ببلاهة " ايّ امر ؟! "

قال بابتسامة ناعمة " ان قدرك معي يا صغيرة ..."

كان مفتونا بشجاعتها وهي تواجهه بتلك الملامح الواثقة ، تواجه خجلها الانثوي قبل ان تواجهه هو ....

قالت وهي تتطلع لعينيه " وهل قدرك انت معي يا شاهين ؟!! هل تؤمن بهذا حقا بعد كل هذه السنوات التي قضيتها لاتنظر الي الا كصغيرة ! "

اتسعت ابتسامته ثم اسبل اهدابه وهو يقول بعذوبة " لا احد يبقى صغيرا يا صغيرة ، و.. نعم ... قدري معك انت ... "

همست بعينين تدمعان " دوما كنت اعرف هذا ! في قرارة نفسي كنت اوقنه ! "

مد يده ليمسح دمعة سالت على خدها فابعدت وجهها في حياء وهي تضج بالخجل ليهمس لها بطفولية " ما زلت لاتؤكدين الامر يا صغيرة!"

عندها رفعت رأسها بشموخ انثوي وقالت بابتسامة مشعة " ساؤكده عند عودة اختي من اسبوع العسل ! "

ثم استدارت وتركته واقفا مكانه يعبس وهو يناديها " هديل ... هذا ليس عدلا منك .."

لكنها اكتفت بضحكاتها الرنانة ليهمس لنفسه بوعد مشاكس " حسنا ... انت لاتعلمين اني اعشق اللعب مع الصغار ..."

بعد خمسة ايام

بارهاق شديد دخلت شقتها ، اغلقت بابها وخلعت حذائيها لترميهما جانبا باهمال ..

حلّت شعرها من عقدته وتحركت نحو المطبخ تعد طعاما خفيفا كوجبة عشاء مبكر .

تحتاج للنوم بشدة ولديها الامل ان تنام الليلة بعمق بعد ليال قضتها مسهدة ....

التفكير بكل شيء يزاحم عقلها ولايتركه ليهدأ ابدا ...

اغلقت براد الطعام فحادت عيناها لصورة تجمعها بسمارا معلقة بمغناطيس ملون على الواجهة ، ابتسمت بحنان وهي تهمس " اشتقت لك يا فتاة ! اشتقت لك جدا والمكتب بدونك لامذاق له ! "

تنهدت وهي تستدير لتضع الطعام على الطاولة الخشبية الصغيرة لتجلس على كرسي صغير وتبدأ بالاكل بشهية معدومة !

لولا حاجتها للطعام حتى لاتنهار جسديا لما اكلت اصلا ...

هيثم تباعد عنها تماما وهذا اراحها و ارهقها في آن واحد ..

اصبحت لاتلتقيه الا نادرا وكأنه يتجنب حتى لقاءاتهما المعتادة عند المصعد واذا حصل والتقاها لاينظر نحوها ولايلقي حتى تحية وكأنها غير موجودة..

لم تشعر انها تعيسة ووحيدة كما شعرت في هذه الايام ... الكل في المكتب يحاول ان يجعلها تخرج من مزاجها الكئيب لكنها تدرك انها تحتاج لقرار ... قرار يحدد ماذا ستفعل كخطوة مصيرية قادمة وبطريقة ما تشعر ان صمت هيثم ونأيه عنها ما هو الا انتظار منه لتلك الخطوة ...

رنين الجرس جعلها تجفل وهي غارقة بتأملاتها ... تحركت من كرسيها بضجر وهي تتوقع حارس الامن يحضر لها اوراق التوقيع على الصيانة كما ابلغها سالفا ...

خاطر او ربما حدس جعلها تنظر عبر العين السحرية قبل ان تفتح الباب ... و... رأته ... لم يكن الحارس ....

اطلقت تنهيدة عميقة وهي ترا ه امامها هكذا ... ثم جذبها بملامحه التي بدت قاتمة ! ترى ماذا يريد منها بعد ؟؟

فتحت الباب وهي متماسكة تماما ولو ظاهريا لتسأله ببرود " ماذا تريد هيثم ؟! "

لم يكن ينظر نحوها وعبست قليلا وهو تتنبه لتوتر جسده ، لاتعرف لِمَ شعرت بالانقباض والتوجس وعجزت عن سؤاله وهي تقف بانتظار رد منه ...

حرّك رأسه لينظر اليها ببطئ فلمحت في تلك الزرقة المثيرة حنانا و ... شيئا آخر اقرب للتعاطف .. الحزن ... الارتباك !!

شعرت بجفاف في فمها لتنطق اخيرا

" ماذا حصل ؟! "

اقترب منها وهي في حالة ذهول ليرفع يده

يلامس جانب وجهها برقة مست اعماقها

ولاستغرابها لم تتمنع عليه وقد ادركت

بغريزتها ان القادم يحتاج لهذه اللمسة الحانية

الفريدة منه ...

يده الاخرى التفت حول خصرها لترتفع خلف

ظهرها في دعم رجولي ثم قال بصوت يفيض

حنانا " حبيبتي .. لاتجزعي واثبتي .. يؤلمني

ان انقل لك هذا الخبر ..لكني أعلموني منذ

نصف ساعة فقط .. والدك ... توفي صباح

اليوم ! "

الفصل السادس عشر

تمزق فؤاده وهو يرى تلك النظرة المكلومة في عينيها بينما تتطلع اليه بملامح عدم الاستيعاب ثم تلك الهمهمات التي تسربت الى شفتيها

" أبي؟!........ ابي ؟ .... مات ؟!!!! ...."

بدت مثالا حيّا لليتم ! لم يحتمل اكثر وهو يضم رأسها الصغير لصدره وذراعه التي التفت حول ظهرها كانت تضمها اليه اكثر واكثر يهمس لها بطاقة حنان تفجرت فيه وكأنه كان يختزنها طوال حياته لتتدفق هكذا لاجلها هي !

يقبل رأسها بعاطفة عميقة وهو يهمس بوعود لاتنتهي " حبيبتي .. انا معك .. سأظل معك دائما .. مهما حصل .."

كانت تنشج بقوة وجسدها الرقيق يرتعش كعصفور بين ذراعيه فيحطمه شعورها بكل هذا الألم ..

حملها بين ذراعيه ودخل بها شقتها ليجلس على احدى الارائك ويجلسها على حضنه وهو ما يزال يضمها لصدره يهدهدها وهي تبكي وتهمس بكلمات غير مفهومة ...

همس قرب اذنها " ششششششش انا معك ... ابكي قدر ما تشائين حزنا عليه لكن لااريدك ان تخافي من شيء .. ابدا ... "

مر وقت طويل قبل ان تهدأ شهرزاد ويرتخي جسدها تماما ليكتشف هيثم انها ... نامت اخيرا ! دوما هذه طريقتها الخاصة عندما تحزن ... تبكي ... ثم تنام وكأنها لم تعد تتحمل ثقل مشاعرها فيستسلم جسدها طواعية لفسحة النوم ...

حملها كطفلة هذه المرة ليذهب باحثا عن غرفة نومها بين الغرف الثلاث في الشقة فوجدها في ثاني خيار له وقد عرفها مباشرة حال دخوله اليها من الرائحة المسكية التي تفوح منها كصاحبتها ...

وضعها على سريرها بحذر شديدحتى لاتستيقظ ثم غطاها وهو ينظر لوجهها المبلل بالدموع ... تنهد وهو يتحرك مغادرا غرفتها مخرجا هاتفه وهو يهمس محدثا نفسه " آسف سمارا ... فشهرزاد ليس لديها شخص مقرب غيرك ليكون معها ..."

بعد رنات طويلة جاءه صوت سمارا القلق " مرحبا سيد هيثم .." رد هيثم بارهاق معنوي " مرحبا .. انا اسف للاتصال الآن.. اعلم انك ما زلت في شهر العسل لكن .. الموضوع مهم جدا ... شهرزاد بحاجة اليك "

يوم العزاء الاول

كانت تجلس بجمود وسمارا تنظر اليها بقلق !
اخذت هديل تقدم القهوة للنساء وقد عم
صمت مخادع بينما الثرثرات (الانيقة) لتلك
السيدات الموصوفات بسيدات المجتمع
المخملي يحجبها صوت قراءة القرآن المنبعثة
من مشغل الاقراص المدمجة...

خيال جديد متشح بثياب الحداد اطل بتردد
من عند باب الشقة المفتوح .. بضع همهات
علت استرعت اهتمام سمارا وبينما تلتفت
للقادمة الجديدة ، اخترق اذنها همسة شهرزاد
الحادة " نورا .."

ارتبكت سمارا للحظة لكن ولّى الارتباك
عندما هبّت شهرزاد تقف على قدميها
وتتحرك نحو تلك الـ(نورا) ... لم تتوانَ
سمارا عن اللحاق بشهرزاد فلاحظت بوضوح
انكماش نورا وهي تتطلع لشهرزاد مدّعية
التماسك...

قالت نورا وشهرزاد بملامحها الجامدة تكاد
تصل اليها

" اسفة لخسارة عمي شهرزاد ، البقاء ...
ااااااااااااااه !! "

ثانية واحدة سبقت سمارا بتوقعها لتلك الصفعة التي اعطتها شهرزاد لنورا !

وضعت نورا يدها على خدها الذي صُفِع للتو وهي تنظر لشهرزاد بعينين مشعتين ذهولا هامسة اسمها بصدمة " شهرزاد ! "

الصمت عمّ تماما بانطفاء همهمات النساء المتحذلقات منهن وقد تسللت احداهن بخبث لاطفاء صوت القرآن !

امسكت سمارا بذراع شهرزاد كمؤازرة بينما تستشعر تشنج جسدها بالكامل لتقول شهرزاد بقسوة " اياك ان تأسفي على اي شيء ! فوضيعة مثلك لاتعرف معنى الأسف !"

عبست هديل وهي تتنبه للموقف وتلك المرأة السخيفة التي تسللت لتطفئ الجهاز حتى يتتبعوا آخر الفضائح التي سيتداولونها الايام المقبلة...

تحركت هديل نحو الجهاز ونظرت لتلك المرأة الاربعينيه نظرة باردة قبل ان تمد يدها للجهاز وتعاود تشغيله فصدحت كلمات المولى عز وجل مرة اخرى في الاجواء...

قالت نورا وهي تشمخ بذقنها رغم عدم سيطرتها على ارتعاشها " ربما اخطأت بالمجيء لانك لن تغفري لي ابدا لكني اردت ان اعمل الواجب ! فيبقى هو عمي .."

ملامح شهرزاد بدت غريبة لنورا ! لم ترها يوما الا رقيقة مبتسمة حالمة ، الآن تراها ... مسيطرة بشكل مؤلم !

قالت شهرزاد بنبرة لاحياة فيها " غادري نورا ، لااريد ان اراك ابدا .. ويكفيكِ ما فعلته معي فربما الآن سترتاحين قليلا وقد اخذت مني اغلى ما املك .. صفاء روحي .."

تعكرت ملامح نورا فبدت اكبر من سنها وهي تتطلع لشهرزاد بألم لم تستطع اخفاءه ثم همست وهي تستدير مغادرة " اسفة لأي ألم تسببته لك .. لكن روحك ستظل مميزة دوما يا شهرزاد ... وداعا يا ابنة عمي الرقيقة .."

للحظة ترنحت شهرزاد فشددت سمارا من امساك جسدها وهي تهمس لها " هل انت بخير عزيزتي ؟!!"

هزّت شهرزاد رأسها وهي تقول " نعم .. سأكون بخير .. فقط احتاج لبعض الراحة في سريري لم اعد اطيق الوقوف .."

بتجاهل تام لتلك النسوة الفضوليات اخذتها سمارا لغرفتها وساعدتها لتضطجع في سريرها ثم غطتها جيدا وتركتها في ظلمة الغرفة كما طلبت لتغادر سمارا الغرفة وهي تعلم ان الانهاك النفسي استبد بشهرزاد وتحتاج للخلوة والهدوء ...

منذ نصف ساعة ينظر اليها ! جالسا على الاريكة الصغيرة المقابلة لسريرها ، لقد تقلبت اربع مرات وهي لاتتقلب عادة هكذا!

دوما النوم جنبها مريح ، هادئة تماما تستلقي على ظهرها وتغرق بنومها الناعم ولاتستيقظ حتى الصباح لتتمطى برقة شديدة قبل ان تتيقظ فعلا...

تقدم بجذعه ليستند بمرفقيه على ركبتيه بينما استند ذقنه على كفيه المتشابكين..

همس وهو يناظر وجهها النائم " لاتقلقي حبيبتي ، كل شيء سيكون بخير .. اقسم لن اجعلك تعانين .. سافعل اي شيء لترتاحي .."

تنهد بضيق وهو يتذكر مكالمة سمارا له لتخبره ان نورا حضرت عزاء النساء وكيف ان شهرزاد صفعتها !

فكّر هيثم بموضوع آخر يقلقه ، عليه التحضر باختراع قصة ما فيما لو ارادت شهرزاد سؤاله عن تفاصيل وفاة والدها واسبابه ....

حانت منه نظرة نحوها وهو يحدث نفسه " ماذا يمكنني ان اخبرها ؟! بأن والدك اصابته نوبة قلبية لانه اخذ تلك الحبوب الزرقاء ليعاشر فتاة في الخامسة والعشرين ؟ !!"

تأفف هيثم وهو يعود بظهره للخلف ليسند رأسه باسترخاء على ظهر الاريكة محدقا بسقف الغرفة وهو يفكر " ذلك العجوز قضى على حياته من اجل لاشيء ! والاولى به كان الاعتناء بابنته .. وحيدته.."

رفع يده وادار معصمه لينظر لساعته فوجدها تشير للواحدة والربع بعد منتصف الليل ... حسنا ... حان الوقت .. يكفيه تلكؤا...

هاجمه فجأة خاطر فج ! " هل يا ترى كنت ساسير على نفس خطا والد شهرزاد فاصل الى مرحلة التشبث برجولة عاجزة فأموت ميتة مخزية كهذه بين ذراعي عاهرة ؟!! "

اصابه الاختناق من تلك الصورة البشعة ووجد نفسه يهمس دون تفكير " اريد ان اموت بين ذراعي شهرزادي فحسب ! ان يكون وجهها الجميل الباسم آخر شيء اراه في هذه الدنيا"

ارتعش داخله وارتجّ حاجةً لها وللتواصل معها باي طريقة ...

تطلع اليها مرة اخرى يتوسلها بنظراته ان تغفر ... متى ستغفر ؟!! بل ... هل ستغفر ؟!!!!

على مضض وقف على قدميه ليغادر قبل ان تستيقظ وتعلم بوجوده ..

لايريد ان يرى نظرة الاشمئزاز التي يتوقعها في عينيها ، رؤيتها لنورا مؤكد اعادت لمخيلتها نفس المشهد في مكتبه و بقوة وكأنه حدث للتو ..

اقترب منها على مهل وانحنى ليطبع قبلة كالريش على خدها وانفاسه تتهدج تأثرا بها .. متى سيخبرها عن هذا الذي يحرق فؤاده ؟ عن هذا الحب الذي كان دائما موجود .. حب لها وحدها ..

ابتعد وهو يهمس " اجل شهرزاد .. لك وحدك .. رغم الخيانة ...! لكنه سيبقى لك وحدك ..."

غادر شقتها وهو يضع المفتاح الاحتياطي للباب في جيبه ، لقد سمح لنفسه بهذا وقد وعد نفسه قبل ان يعد سمارا انه سيعتني بها حتى ولو رغما عنها سيكون معها ما دامت تحتاجه ....

دخل شقته وهو يغالب ارهاقه ، توجه نحو اريكته الجلدية ورمى جسده عليها....

اطلق نفسا عميقا بينما يفكر كيف سيتصرف معها في القادم ..

مجيء نورا اليوم جعل ابتعاده عن مرآى شهرزاد حتميا ، على الاقل خلال الايام القادمة

وهذا يعني اعتماده كليا على سمارا في النهار وحتى اخر الليل بينما هو سيعتني بها دون ان تشعر به .. من بعيد ... قريب وبعيد ...

هاجمته غيرة من نوع مختلف وهو يتذكر والد سمارا بوجهه الرقيق وعينيه الدامعتين وهو يستأذنه في مجلس عزاء الرجال بأن يزور شهرزاد ويعزيها ... من كلمات ذلك العجوز التقط نوعا من الألفة العميقة تربطه بشهرزاد ، نوع من المحبة والاهتمام الحقيقيين ودفق من المشاعر الدافئة ... انه بطريقة ما يشبه شهرزاد ! هذه هي الفتاة التي عشقها ...

شاهين ......

هذا الرجل قصة اخرى ! كان باردا معه وهو يصافحه معزيا واستأذنه ايضا بزيارة شهرزاد مع والد سمارا ..

شعر بالغربة والاثنان يستأذنانه بما لااذن له فيه !! فهما احترما ظاهريا انه زوجها لكنه شعر انها تنتمي اليهما اكثر منه !

قتله هذا الشعور ... قتله !

هما عرفاها بطريقة لم يعرفها هو ، لم يَغُص في انسانيتها كما فعل هذان الرجلان ...

لقد شبّت فيه الغيرة العمياءِ وعاودته وساوسه
نحو حدسه القديم لوجود مشاعر من جانب
شاهين على الاقل فأوشك ان يرفض بصبيانية
رؤيته لشهرزاد لكن رنين هاتف شاهين اوقفه
ثم تلك النظرة اللامعة في عينيه تبعتها
ابتسامة صغيرة ليستأذن وهو يفتح الخط
ويقول بصوت يحمل مشاعر واضحة

" مرحبا هديل ..."

عرف عندها ان شهرزاد كانت صادقة حقا ،
كعهدها دوما ... صادقة معه .. حتى عندما
كذبت عادت سريعا لتعترف بكذبتها ...

همس وهو يرخي اهدابه " كم اتمنى ان
تعترفي انك كذبت ايضا بحقيقة كرهك
لي ! "

غفا بعدها على الاريكة بملابسه التي لم
يغيرها حتى منذ الصباح ، لاول مرة في حياته
لايهتم حقا بهذه التفاصيل !!

لايهتم بأن يلاحق الاهتمام بهذه التفاصيل
التي تخصه مباشرة .. ربما لانه فكريا مشغول
بملاحقة تفاصيل اخرى اكتشف كم كان
غبيا وهو ساهٍ عنها ! عن غفلة .. او عن تغافل !

في كل الاحوال ... النتيجة واحدة .. لقد
ارتكب غلطة عمره .....

بعد ثلاثة ايام

مساء ....

تطلع شاهين عبر المرآة الامامية لعيني هديل اللتين كانتا تتجنبانه لكنه عاندها بطفولية وهو يواصل سؤالها عن اي شيء فقط لتنظر اليه عبر المرآة فيبتسم لها بحرارة ومشاكسة !

ويبدو ان والد سمارا الذي يجلس بجانبه قد تحالف معه دون اتفاق مسبق بينهما ليفتح مواضيع تلهم شاهين مشاكستها اكثر !

قال شاهين بصوت يجمع بحة خاصة ممزوجة بالمرح " هل تريدين مني ايصالك للعمل غدا صباحا يا صغيرة ؟!! "

ردت هديل بغيظ " توقف عن مناداتي بالصغيرة ! لااطيق ممازحتك المستفزة لي ! "

ضحك الاب عاليا وقد بدا مستمتعا بينما شاهين يدّعي البراءة قائلة " انا لااستفزك ! فقط احاول تدليلك يا صغيرة ..."

اطلقت هديل صوتا مغتاظا وعيناها تطلقان الشرار عبر المرآة فيبتسم لها مرة اخرى وهو يشعر بتحفز منعش في كل خلاياه ...

قالت هديل ببرود متعمد " انا لااحتاج لتدليلك شاهين ، وساذهب غدا لعملي كما المعتاد بواسطة الحافلة ... "

عندها لمعت عينا شاهين ليقول بصوت مبحوح " الا يفترض ان يوصل الخطيب خطيبته ؟! "

شهقة الاب علت على شهقة هديل ليسارع الاب بالقول بلهفة تثير الضحك

" من خطيب هديل ؟!! "

رد شاهين بثبات متحديا نظرة هديل المحذرة

" يبدو اني مضطر للعب هذا الدور عماه ما دام هناك الكثير يطمع بأخذه مني باكرا جدا!"

وضع الاب كفه على ذراع شاهين ليقول بتوجس " هل انت جاد بنيّ ؟! ام انك تشاكسها كعادتك ؟! "

كانت هديل تهزّ رأسها علامة الرفض وعيناها تتوسلانه الانتظار لكنه غمزها ليرد وهو يربت بيده الاخرى على ظاهر يد الرجل العجوز " نعم عماه ... انا جاد جدا .. فهذه الصغيرة لن تكون الا لي ..بعد رضاك طبعا "

ضحك الاب عاليا وهو يقول بفرح غامر " اخيرا تكلمت يا رجل ؟!! لقد يئست منك ! "

همست هديل بوجه يتخضب حمرة قانية

" ابي !! ارجوك !! "

فالتفت اليها الاب ليغمزها هو الآخر ويقول " اذن هذا ما كان يشغلك الايام السابقة يا صغيرة ! وانا كنت متحيرا في السبب "

عضت هديل شفتيها حرجا وشعرت بالغضب يفور في داخلها فاختارات ان تواجه ذلك المتلاعب المشاكس وهي تقول من بين اسنانها " ومن قال اني ارضى بالزواج منه ؟!! انا لااريد (أبا) يناديني (صغيرة) .. اريد شابا يعتبرني ...."

قاطعها الاب ليقول بحنان " كل شيء ... يعتبرك كل شيء صغيرتي ... اسمعي كلام والدك واحمدي الله على نعمته ..."

تراخت ملامح هديل قبل ان يتراخى جسدها وهي تنظر لوالدها بعطف ، تلألأت عيناها بالدموع وهي تنظر لملامحه التي كستها فرحة ورضا وراحة لاتضاهى ...

قال شاهين فجأة وهو يوقف سيارته " لقد وصلنا عماه .. هلا منحتني بعض الوقت معها ؟"

فتحت هديل فمها لترد بالرفض عندما سبقها والدها قائلا وهو يفتح بابه " لك كل الوقت بنيّ .. انها خطيبتك ما دخلي انا ؟!! "

ثم اغاظها والدها اكثر وهو يبتسم ملوحا لها وكأنها مجرد طفلة يحاول تطمينها في يومها الدراسي الاول !

تكتفت هديل وهي تدير وجهها جانبا بينما شاهين مستدير بكامل جسده للخلف ويناظرها بابتسامة مشاغبة كسولة ..

قال برقة " الا يمكنك ان تاتي وتجلسي بجانبي ؟! "

ردت بصوت قاطع " لا ...."

ادّعى التنهد بحسرة وهو يقول " خسارة ! "

نفثت انفاسا غاضبة لتنظر اليه وتقول بغضب " لماذا تفعل هذا ؟! لقد اتفقنا ان .. ان ..."

قاطعها بعينين شقيتين " حمرة خديك لذيذة بشكل خاص يا جميلة الملامح ..."

اسبلت اهدابها وهي تقول بصوت مبحوح " انت تصر على مناداتي بتسمية سمارا لي .."

رد بتفكه " انا وسمارا نتفق في الاذواق دوما يا صغيرة .."

نظرت اليه وقالت بحيرة تحاول اخفاءها " انت تتعجل الامور كثيرا وانا .. لااستطيع حتى مجاراتك ..."

ذابت عيناه رقة وقال بتوسل طفولي محبب " تعالي واجلسي بجانبي وسنتحدث ، اشعر ببداية تشنج عضلي في رقبتي ! "

تأففت وهي تفتح بابها لتغادر السيارة وتتقدم ناحية باب المقعد المجاور له حيث كان والدها يشغله قبل لحظات ...

ما ان جلست واغلقت الباب حتى قالت بتذمر

" هل ارتحت الآن ؟! "

فاجأها بكلامه قبل اقترابه وهو يقول " ما الذي يقلقك ؟؟ هناك ما يدفعك لوضع مسافة بيننا ..."

رفعت عينيها اليه وصمدت امام هذا القرب الذي لم تعتده منه لتقول ببعض الارتعاش " حاول ان تفهمني شاهين ، اشعر احيانا ان ما يحصل مجرد حلم ... حلم طالما ..حلمت به .."

عضت شفتها خجلا لكنها تقاوم بينما هو لايساعد بنظراته التي تطوف بوجهها

اكملت " كما اعتدت ان هذا مجرد حلم .. اعتدتك مختلفا معي في الواقع ... تنظر الي بطريقة مختلفة عن هذه النظرات التي ترمقني بها الآن .. منذ زواج سمارا وانا .. احاول ان اكون قوية وعملية في استيعاب و تقبل مشاعرك الجديدة نحوي ... "

عبس قليلا وهو يهمس بابتسامة حانية " مشاعري ليست جديدة ، لقد كانت دوما موجودة دون ان اشعر بها "

هزّت راسها وهي تقول " بالنسبة لي جديدة وانا احتاج للوقت .. احتاج ربما لاتكلم مع سمارا اولا ..."

سأل برقة " ألم تخبريها ؟؟"

ردت نفيا " لا ... لقد انشغلنا بوفاة والد شهرزاد .. لم يكن الوقت مناسبا ..."

عندها قال شاهين بنبرة دغدغتها " اذن كلميها غدا وقد انتهى العزاء اليوم ، كلميها عني وهي قد تستطيع افهامك من انا فيبدو ان فاشل في شرح نفسي حتى لنفسي ...! "

تطلعت اليه والحيرة تعصف بها فقال بصوت أجش " كل ما اعرف قوله ان ينابيع من اللهفة المدهشة تفجرت داخلي ، وكأني رميت فجأة في جدول ماء بارد عذب لاستمتع بكل لحظة وانا اسبح فيه ... ! شعور لايوصف يا صغيرة .. فلا تلوميني واغفري قلة صبري وتهوري وانا اعيش شعورا فريدا كهذا فاسعى دون هوادة لمنبعه .."

اقترب جدا منها حتى خالطت انفاسه انفاسها هامسا برقة مشاكسة " همممم ؟؟ ماذا قلت يا منبعي ؟! "

يدها تخبطت على الباب حتى وجدت عتلته لتفتحه على عجالي وتنسل بعيدا عنه وهي تكاد تلهث من سرعة نبضات قلبها وجسدها يرتعش من قمة راسها حتى اخمص قدميها ...

تنهد شاهين باستمتاع وهو يعيد ظهره ليسترخي على مقعده ثم همس وهو يراقب بجذل خطواتها الهاربة

" اين ستهربين مني ؟!! "

اتسعت ابتسامته وهو يقول " ما اجمل اللعب معك يا صغيرة ! وكأني اكتشف لاول مرة اني لم اعش عمري كما يجب ! "

لم يكن ينظر اليها وهو يتكلم مادّا كفه نحوها بالظرف الاسمر المختوم " هذه وصلتني من محامي والدك ، تُسلم لك شخصيا وان تري محتواها بمفردك تماما .."

يا الهي كم اشتاق للنظر لعينيها لكنه لايريد ! يخشى من نفور لايحتمله منها ..

بصمت مدت يدها النحيلة لتأخذ الظرف الكبير منه فتنحنح هيثم وهو يتراجع قليلا ويقول بتحشرج " اذا .. احتجت اي .. شيء .. انا موجود في شقتي ... لن اخرج الليلة ... "

رأته كيف استدار بغموضه المعهود ليتحرك مبتعدا ناحية شقته حتى دخلها واغلق بابها خلفه ، هل بدت مشيته اقل كبرياء مما تعرفه فيه ؟ ام انه ببساطة منهك من الايام السابقة التي حمل فيها على عاتقه الاهتمام بكل صغيرة وكبيرة في عزاء والدها وترتيب كل الامور المتعلقة ...

تطلعت للظرف الكبير والذي بدا خفيفا في يدها ، ليس لديها ادنى تصور لمحتواه !

في الايام الماضية شعرت باستنزاف لكل انواع المشاعر الى درجة كانت تنام بشبه انهيار واخر ما تذكره وجه سمارا المبتسم بحنان وهي تغطيها لتدخل بعدها في سبات عميق يتخلله احساس بامان مبعثه تلك الرائحة المألوفة لديها ... رائحة هيثم ..

يبدو ان عقلها الباطن يبحث عن اي شيء من ماضيها لتتشبث به حتى تعيد توازنها ..

انها الآن وحيدة تماما .. وحيدة فعليا ..

نظريا وواقعيا ...

لا اب ولا ام ولا اهل ولا اقارب مهتمين ... ليس هناك الا اصدقاءها الاوفياء باخوتهم المعروضة عليها بسخاء و..... هناك ... هو ... هيثم .. ايضا موجود ... موجود وغير موجود ... قريب جدا ومبتعد جدا جدا ...

دخلت شقتها هي الاخرى واغلقت بابها كما فعل هيثم للتو ، تطلعت في انحاء الشقة الباردة بخوائها ... لماذا اصبحت تراها تفتقد الدفء .. تفتقد الروح ... ؟!!

نظرت لثياب الحداد التي ترتديها فشعرت بضيق النفس وكآبة مرهقة ...

لديها احساس وكأنها كبرت عشرين سنة
وكأنها تعيش خريف العمر ... وكأنها زهدت
فيما لم تحصل عليه حقا !

مجيء نورا اشعرها بصلابة غريبة ! لاول مرة
لاتشعر بالضآلة امام قوة شخصية ابنة عمها ،
بالعكس شعرت انها اقوى منها .. اقوى بكثير
... ووجدت نفسها تسترجع في لحظة ذلك
المشهد المؤلم الذي جمع نورا بهيثم في
مكتبه ... ولعجبها وجدت المشهد اقل ايلاما
لكن اكثر قرفا !

ومع ذلك وبحدس داخلي ادركت ان شعورها
بالألم لن يمحى مدى الحياة مهما تضاءل ومهما
خدعها باضمحلاله الا انه سيبقى موجودا ...

تحركت .. تقودها خطواتها نحو غرفتها ..
انقبض قلبها من شعور الوحدة المرتسمة
كملامح منفرة لكل شيء حولها ...

بتمرد غير مفهوم خلعت ملابس الحداد ورمتها
ارضا ! ثم اقتربت من خزانتها لتلتقط منامة
قطنية مريحة الوانها مبهجة ....

جلست اخيرا على حافة سريرها وتنهدت قبل
ان تقرر فتح الظرف ...

لم يكن في الظرف الا ورقة بدت قديمة
وباهتة وقرص مدمج !

جذبتها الورقة اكثر وهي تفتحها بعناية خوفا من تمزقها ..ارتعشت وهي تقرأ فحواها الذي لم يكن الا ابياتا شعرية مكتوبة بخط انثوي جميل ..

تحركت عيناها سريعا حتى نهاية الورقة لتقرأ الاسم المعنونة به الابيات ...

سارة .... انها .... والدتها ... !

ابيات بمنتهى الرقة وكأنها لوحة زيتية رسمت بريشة فنان مرهف الحس ينقل جمالا من نوع خاص ويضيف جمالا له من روحه ...

لم تكن ابيات رومانسية بل مجرد تعابير روحية لانسانة شديدة الرقة لم تعرفها يوما !

تغرغرت عيناها بدموع لم تنزل ومررت اناملها تلامس كلمات امها الفريدة فتشعر باحساس لايضاهى وكأن دفئا خاصا تسرب من تلك الكلمات اليها ...

لاتعرف لم تذكرت القرص المدمج فجأة لتشعر بفضول اكبر لما يحويه ..

نهضت لتحضر حاسوبها المحمول ثم عادت وجلست على سريرها وهي تضع الحاسوب فوق حجرها وادخلت القرص المدمج في مكان التشغيل ..

ما ان اشتغل حتى طالعتها صورة والدها ...

جالسا على كرسي انيق مرتديا ملابس راقية كعادته معتنيا بتصفيفة شعره الاشيب الناعم ، مبتسما ابتسامة صغيرة ساخرة لاروح فيها بينما عيناه تفيضان ذكاء و ... برودا ...

للحظة لم تستوعب انه تسجيل مرئي وليس مجرد صورة فلم تلتقط الكلمات التي كان يقولها والدها بينما غرقت الرؤيا بالدموع ...

فجأة تسللت الى وعيها كلماته (هذا لايعني اني لم احببك او لم احب والدتك ... لا .. ولكنني احببتكما على طريقتي وانتما من لم تفهماني!)

عندها اوقفت التسجيل واتسعت عيناها وهي تنظر لوجه والدها الثابت بملامحها القاسية ..

مسحت وجهها واستعادت رباطة جأشها ثم اعادت التسجيل من اوله ....

كان يسند مرفقيه على ذراعي الكرسي بخيلاء طالما كرهتها فيه واخفت هذا الكره بعيدا لتطلق عليه تعبيرا متلاعبا ...

(عدم الحب) ...

لكن هناك فرق بين الكره وعدم الحب ... فقد لاتحب شيئا ولكن ليس بالضرورة تكرهه وهي .. كانت تكره طباع والدها الفجّة !

نظر اليها عبر التسجيل وكأنه ينظر اليها الآن مباشرة ليقول بنبرة صوته المتعالية المعتادة

" ابنتي شهرزاد .. اولا اتمنى ان تعجبك هديتي الصغيرة ... وحتى تعلمي ايضا اني احيانا استطيع ان اكون انسانيا واحتفظ بشيء بال كورقة مصفرة لمجرد ان الكلمات تذكرني بشخص له اهميته عندي ، وربما تؤثر بك كما اتوقع فتغيري القليل مما تعتقدينه فيّ من قساوة نحوك ونحو والدتك ... "

ثم رفع حاجبا وهو يقول باسلوبه الساخر " بعد هذه المقدمة احب ان اقول قد اعجبتني فكرة التسجيل المرئي كوصية اخيرة او مكاشفة ما بعد الموت ! خصوصا بعدما حصل بيننا على الهاتف فكرت ان اوضح نفسي وانا ميت .. لااحب ان اكون حيا وادخل في حوارات عاطفية لااستسيغها .. وحقيقة لاافهمها كما تفهمينها انت ، فانا اراها مجرد مضيعة للوقت..."

شابك اصابع كفيه امامه وهو يكمل بملامحه التي لاتعبر عن اي مشاعر

" انا اعلم اني لم اكن ابا مثاليا ولا زوجا مثاليا ولا حتى رجلا مثاليا ! انا مجرد رجل يعشق النزوات ويقدر المغامرات حق قدرها خاصة التي تبهجه وتثير حماسته وحبه للحياة ..

رجل يسعى اولا لارضاء نفسه اكثر من اي شيء ولا اجد بذلك ما يعيب بل ان لم افعل ساتهم نفسي بالغباء المطبق !.. شحيح بمشاعري انا اعلم ولكني لااحب ان اعطي بسهولة .. افضل الاخذ اكثر ! هذا ... انا ! "

وهزّ كتفيه باناقة مستفزة ! بينما شهرزاد تحدق فيه غير قادرة على التعامل مع حقيقة والدها التي لاتستوعبها .... بينما التسجيل مستمر ليقول بابتسامة صغيرة تنضح سخرية

" هذا لايعني اني لم احببك او لم احب والدتك .. لا ... لكني احببتكما على طريقتي وانتما من لم تفهماني ! لغتنا كانت مختلفة ! هكذا ببساطة تفسر الامور .. لو كنتِ ورثت طباعي بدلا من طباع امك لكنّا تفاهمنا بشكل رائع .. انا واثق ... "

اسبلت اهدابها وتقبضت يداها في شعور متجدد بالرفض تتسلمه من كلماته نحوها .. ها هو يلاحقها برفضه لشخصها حتى بعد مماته ..

" انت غاضبة مني .. وربما محقة في غضبك .. لذلك اردت ان اعطيك نصيحة ... فبعد الموت العطاء لن يأخذ شيئا مني ! "

رفعت نظرتها للشاشة امامها فتحدق في عيني والدها مباشرة وهو يقول بقوة مؤثرة " كوني قوية وواجهي الحياة بشجاعة ،

ابحثي عن جيناتي القاسية فيك فمؤكد قد تسرب اليك بضعة منها عندما تشاركت في صنعك مع والدتك، امزجيها بطريقتك وانتجي شهرزاد اخرى .. صدقيني ستدهشين وسيعجبك الانتاج حتما .."

تجمدت ! تجمدت تماما .... بينما والدها يعاود سخريته قائلا " لااعرف لماذا فكرت في هذا التسجيل الآن ؟!! ابدو وكأني اودع هذه الدنيا المبهجة !! وكم اعشق بهجتها ... لكن انت تعرفيني رجل مزاجي واحببت ان اجرب شيئا جديدا كمواجهة موت وشيك قد يكون يطرق بابي الآن ...! "

ثم كسا غموض مألوف نظراته وهو يقول بابتسامة واسعة " ساخبرك بسر ... انا تفاءلت خيرا بك عندما غضبت مني في اخر مكالمة بيننا واغلقت الهاتف في وجهي ..."

قهقه عاليا ثم قال فجأة بعينين لامعتين بحدة منفرة " اريدك دوما قاسية هكذا ستعيشين سعيدة ومسيطرة ... وانا ... سافخر بك ! "

وانتهى التسجيل ليقف عند حركة جسد والدها وهو يتقدم ليوقفه كما يبدو ..

هكذا انهاه ...! دون وداع ..! دون كلمة حب مباشرة ... دون اي حنان ... دون ادنى ندم !

دون ان ... ان ...

دفعت حاسوبها بعيدا وكأنه يلسعها لتتحرك على غير هدى في انحاء شقتها بينما ينهشها احساس جوع لايرحم ...

اخذت الكلمات تتسرب من فمها بحرقة " هل هذا كل شيء ؟! انتهى كل شيء ابي ! تلعب معي لعبة اخيرة ... تريدني قاسية ... تريدني ان أقتل جينات امي ... ان اقتل شهرزاد ؟؟!!! "

لم تشعر الا وهي تضرب على الحائط بقبضتها وهي تهدر بلهاث حارق " انت كاذب ابي .. كاذب ... انك ضعيف .. حتى اكثر مني ! انت تخشى ضعفك ... انت جبان .. جبان ... مدّعي ! تحتفظ بورقة مهترئة من امي وتدعي السيطرة والبرود بينما في داخلك كنت تفتقدها طوال الوقت .. تفتقدها ولم تستطع تجاوز خسارتها ... "

رن جرس الشقة فجأة وهي شبه منهارة بجانب الحائط .... لم تفكر وهي تفتح الباب مباشرة .. لتراه ... يقف امامها بملامح قلقة تفيض عاطفة ...

لاتعرف لم استعر الغضب داخلها اكثر واكثر .. وقبل ان يقول شيئا فاجأته بلهيب كلماتها

" ماذا تريد ؟!! لماذا اتيت ؟؟!! الا يكفي ان تحضر رسائل الاموات ؟! الايكفي انك تشارك ايضا بنفس اللعبة القاسية بتحطيم كل ما هو اضعف منك ؟!! "

في البداية كان مصدوما وهي تنفث غضبها في وجهه ثم تدارك نفسه ليدفعها برفق حتى تدخل شقتها وهو يقول " اهدأي شهرزاد ... افهميني ماذا حصل بالضبط ؟؟ "

اخذت تدفعه في صدره تقاوم دفعه اياها للداخل وهي مازالت ترزح تحت نفس الغضب لتقول بعنف وشراسة

" اخرج ... ابتعد عني ... ابتعد ... "

لكنه كان قد اغلق الباب خلفه وامسك ساعديها بقوة لا قِبَل لها بالتغلب عليها ليهزها قليلا وهو يقول بتماسك

" لن اخرج قبل ان افهم ! "

ثم تمتم وكأنه يحدث نفسه " كنت اعلم ان ذلك الظرف اللعين لن ياتي بخير ! "

صرخت شهرزاد بقساوة وهي تحرك راسها وجسدها بقوة " انت مثله ... مثله .. فلا تتبجح وتظهر نفسك وكأنك افضل منه ! مجرد رجال بلا قلب .. بلا رحمة ... بلا اية عاطفة ... تبخلون بكل شيء لمن يحتاجون منكم لكل شيء !! لماذا ؟؟ لماذا ابتليت بأب احتقر شخصي وزوج حطم قلبي ؟!! "

كان هيثم يضعف شيئا فشيئا ولم يعد قادرا على احتمال ما ترميه في وجهه .. قال لها بانفاس لاهثة وهو يقرب راسه من راسه حتى تلامست جباههما

" اقسم ساعيد هذا القلب سليما معافى ...
اقسم ساجعلك امرأة غارقة بالحب حتى
الثمالة ... اقسم ... ان احبك شهرزاد لاخر
يوم في حياتي ... "

كانت حركاتها قد خفت عنفها لكنها ما
زالت تحاول التملص ...

شعرها المتناثر حجب ملامحها عنه فلم يعرف
ما تأثير ما اعترف به للتو ؟! لايصدق انه افلت
كل شيء هكذا لكنه لم يحتمل الانتظار ..
لم يحتمل ان تظل على اعتقادها بأنه لايحبها
... انه .. لم يحبها اصلا !!

همس بصوت مبحوح وهو يقرب شفتيه من اذنها
" انا اعشقك شهرزادي .. اعشقك .. اقسم
باللّه اني افعل ... اقسم انك اهم انسان لدي
... سأحقق لك كل ما تريدين فقط اغفري
... اغفري ... تلك الزلة الرعناء التي فعلتها
... اغفريها شهرزاد ... لااحتمل كرهك لي
وانا اكن لك هذا الحب ..."

كانت قد توقفت تماما عن محاولات التملص
ليبدأ جسدها بالارتعاش ثم ادرك انها
تبكي!

همس اسمها بنعومة " شهرزادي ..."

ارتفع نحيبها ومالت براسها حتى استندت بجبينها على صدره ...

كانت تبكي وهو يلف ذراعيه حولها ملتزما الصمت القلق ...

مرت لحظات قبل ان تبتعد قليلا منكسة الرأس مختفية خلف خصلات شعرها لتهمس بتقطع " انا ... مرهقة ... مرهقة جدا ..."

ابتلع ريقه بصعوبة يكاد يمسك قلبه المتوجع بقبضته عسى ان يخف ألمه ...

انها لم تعد تهتم ان كان يحبها ام لا !! يا الهي لم تعد تهتم !!

تحشرج صوته وهو يقول " حسنا حبيبتي .. اذهبي للنوم .. ستشعرين بتحسن في الصباح.."

كان يوشك على الابتعاد ليلملم شتاته الذي تبعثر بالرفض عندما جمده همسها وهي تقول " ابقَ ... معي ..."

انتفض قلبه في صدره وللحظة شك بما سمعته اذناه ليسأل كاحمق لم يتعرف عليه الا اليوم " ماذا ؟! "

رفعت وجهها فبان جزء منه لتقول وهي تكاد تترنح امامه " انا مرهقة ... مرهقة من الوحدة ... والليلة اكثر من اي ليلة مضت .. ابقَ معي .. فقط الليلة ...

لن استطيع النوم باطمئنان اذا بقيت بمفردي
.... انا ... اكره ... الوحدة ... اكرهها و..
اخافها .....!"

هل يمكن لامرأة ساحرة الجمال وبكامل
نضجها ان تبدو طفلة مرتعبة هكذا ؟!!

بقميص نومها القطني الذي يصل لركبتيها
وشعرها الذي يحتاج لتمليس بسيط فيعود
حريريا دون ادني شائبة ووجهها المحمر وقد
انتفخ في عدة اماكن من شدة بكائها ...

تبدو انها حتى لم تسمع اعترافاته النارية
بالحب وقسمه بالعشق مدى الحياة !

اسبل اهدابه يتحصن بقشرته السخيفة من
السيطرة على النفس وهدوء التعبير ليقول
ببساطة " سأبقى ..."

تنهيدتها العميقة شوّشته ... لتتحرك امامه
متجاهلة وقفته الحائرة ..

لم يجد بدّا من اللحاق بها لغرفتها وهو لايعرف
هل يبقى معها في نفس الغرفة ام عليه البقاء
بعيدا في غرفة الجلوس مثلا ؟!!

رآها تغلق حاسوبها المرمي على السرير قبل ان تضعه جانبا لكن عينيه التقطتا صورة والدها من الشاشة ! ذهل ... لكنه صمت ولم يسأل ...

وبصمت مماثل تسللت لسريرها تحت غطائها ثم اضطجعت على ظهرها مغلقة عينيها دون ان تقول كلمة واحدة ... !

الفصل السابع عشر والاخير

" كيف تكلم هديل في موضوع الزواج قبلي؟! "

كان يلتهم المثلجات امام احدى المحلات التي تبيعها بينما يستمع لصراخ سمارا عبر الهاتف ليرد عليها بمزاح مشاكس كعادته " اسمعي ايتها الصهباء انا لااكلم نساء متزوجات بعد منتصف الليل ! "

قالت بغيظ " انها العاشرة والنصف مساء .. متى ستركز بمرور الوقت حولك ؟! "

سأل مدّعيا الجدية وهو يلتهم ما تبقى من المثلجات " واين اياد عنك في هذه الساعة؟؟"

ردت دون تركيز " في الحمام ..."

كتم ضحكته بشق الانفس وهو يسألها بلهجة فضولية مصطنعة

" ماذا يفعل بالحمام ؟!! "

هتفت به " شاهين ! "

انفجر ضاحكا باستمتاع بينما بعض المارة يرمقونه باستغراب ليقول بعدها بلهجة محببة " ما بك ؟!! لماذا انت منزعجة هكذا ؟!! "

قالت بحنق " منزعجة ؟!!! الانزعاج لايصف حالتي الآن على الاطلاق .... انا لااصدق ! لااصدق انك فعلتها دون ان تخبرني انا اولا ! كنت اظن ان والدي يحلم احد احلام اليقظة التي يفضلها لكن تلك الصغيرة كلمتني ايضا واكدت الموضوع .."

تنهد قبل ان يقول بصوت أجش " تلك الصغيرة خلبت لبي يا سمارا .. "

للحظة صمتت قبل ان تقول بتركيز مخفية هواجسها " منذ متى شاهين ؟!! لقد .. كانت امامك طوال الوقت ! لماذا الآن ؟ "

لكن شاهين يعرفها اكثر مما تظن ليقول لها بحنان " انت قلقة ؟! "

ردت بتنهيدة طويلة " وكيف لااكون وقد كنت قبل اقل من شهرين تعتقد انك غارق في عشق شهرزاد "

رد بابتسامة صغيرة متفهمة " لكنك تدركين الآن ان تلك المشاعر لم تكن حقيقية ، اقصد مشاعري نحو شهرزاد .. انت من ساعدني لادرك هذا "

شهقت باعتراض لتقول " هل تخبرني الان اني دفعتك نحو اختي الصغرى ؟؟!! "

ضحك شاهين بخفة وهو يقول " لا .. لم تفعلي ... انت فقط دفعتني لالبس نظارة تعالج قصر بصر المشاعر .."

سألته بتردد " شاهين ... هل انت واثق ؟! "

رد بصوت رجولي يفيض عذوبة " لم اعرف معنى الثقة الا بمشاعري نحوها ! انها اعجوبتي الصغيرة .. قطعة مني .. تنتمي الي ولااعرف كيف غفلت عن انتمائي اليها ؟!! "

ردت سمارا وهي تغالب عبرتها

" انت تحبها حقا ! "

ضحك ولم يرد ... لتفاجئه بصوتها الغاضب المعنف " ومع ذلك لن اسامحك على افعالك المتهورة ! كان يفترض ان تقول لي انا اولا ... حقا انت رجل غريب الاطوار وتحتاج لاعادة تأهيل كأي مراهق غير مسؤول ..."

كان شاهين يرفع حاجبيه في عجب ويقول

" ماذا فعلت لكل هذا ؟!! "

فزمّت سمارا شفتيها وهي ترد عليه " عد لشقتك وفكر مرة اخرى بتصرفاتك ! تصبح على خير ..."

اغلقت سمارا الخط بينما شاهين يتطلع للهاتف في يده وهو يهمس بتعبير حانق طفولي " ماذا فعلت لتغضب مني هذه المجنونة الصهباء ؟!! "

ما ان اغلقت سمارا الخط حتى رمت هاتفها على السرير وهي تكلم نفسها بحنق " شاب طفولي لايطاق ! ليس لديه تفكير احيانا ويتصرف على هواه دون اي اعتبار !! "

التفت ذراعين حول خصرها بينما تشهق بشعور اقتراب اياد منها من الخلف ليميل نحو اذنها هامسا " اطفالك يكثرون يا حمراء ويزدادون طفولية بوجودك ..."

احمرت وهي تحاول جاهدة السيطرة على وجيب قلبها وارتعاش جسدها بتلك الحميمية التي تعيشها مع هذا الرجل العاطفي الذي لايشبع ....

قالت بهمس وقبلاته الناعمة على رقبتها تدغدغها " هل تراني افسدهم ؟!! "

ضحك بنعومة قبل ان يدير جسدها بين ذراعيه ليقول لها بعينين لامعتين بشغف " لقد اجدت احتواء حماسة والدك والذي اجزم لولاك لكان سحب هديل من يدها منذ الصباح الباكر حتى اقرب مأذون ليزوجها لشاهين وطمأنتِ مخاوف وقلق اختك التي عقلها لايكف عن التفكير في كل شيء وبكل الاحتمالات وعنفتِ شاهين كطفلك المشاكس والذي يحتاج دوما لصفعة على مؤخرته ليركز اكثر في مغبة اعماله المتهورة ..."

كانت ترفع حاجبيها باستمتاع لفكاهة الصورة التي رسمها بينما لمعان عينيه يزداد وهو يمد انامله بين طيات شعرها المتوهجة ليهمس بصوت مبحوح " والان ... ماذا عن ابنك الرابع الولهان ؟؟ "

همست برقة " ماذا عنه ؟؟"

رد بتقطع وهو يميل اليها " انه الابن البار .. الذي يستحق قطعة شيكولاته كبيرة ... كبيرة جدا ..."

استيقظ مرة اخرى من احدى غفواته القصيرة وهو يتقلب على الاريكة بانزعاج ، شتم في سره وهو يقول " ولماذا لاتذهب وتنام في احدى الغرف بدلا من تعذيب جسدك بالنوم على اريكة لاتصلح الا لاضطجاع طفل في السابعة ! "

تنهد وهو يفتح عينيه باستسلام ويدير رأسه جانبا نحوها ...

سرير كبير ... كبير جدا يتسع له ولها .. دون ان يمسها حتى ...

ابتسم بشجن وهو يفكر " هل تبحث عن اعذار لتنام بجانبها يا هيثم ؟!! انت تعاني الامرين على هذه الاريكة اللعينة فقط حتى تبقى قربها ... وها انت اصبحت تطمع بالمزيد !! "

تنهد مرة اخرى وانزل ساقيه ارضا ، مسح على وجهه بكفيه ثم باستسلام من نوع اخر رفع عينيه اليها ليراقب نومها الهادئ وهي تستلقي على ظهرها في منتصف السرير الضخم ...

وقف على قدميه وبتهور تحرك نحوها ، جلس الى جانبها بحذر وامال جذعه قليلا ليرتكز على مرفقه ويقترب براسه من رأسها حتى ينظر لملامحها عن قرب ...

ابتسم بشغف وعيناه تستقران على شفتيها ودون ارادة منه مد يده يلامس برقة خصرها النحيل ...

همس بصوت أجش " كوني لي مرة اخرى وانا سأكون لك وحدك لآخر العمر ..."

ولعجبه ودهشته ... ضحكت !

ضحكت في منامها ... !! للحظة ارتبك انها قد تكون صاحية وسمعته .. لكنه تأكد .. انها غارقة بالنوم .. تحلم .. و ... تضحك !!

على حصان ابيض تجلس امامه يلف ذراعه بتملك حول خصرها بينما يده الاخرى تمسك اللجام ...

تضاحك اشعة الشمس وتناغشها حيرة .. ترى من هذا الذي يحملها على حصانه ؟!!

التفتت قليلا في فضول بريء تحاول التطلع لوجهه الذي ارتفع عن وجهها كثيرا ولكنها للاسف لم تتبين ملامحه !

لاتفهم كيف ؟! وكأن ضباب خفي حاوط وجه فارسها ...

شعرت بالضيق فمدت يدها نحو ذلك الوجه الغامض فارتعشت بملامسته وشعرت بارتعاشته هو بالمقابل بينما تهمس له " من انت ؟! "

تنهيدة منه مست قلبها وهمسه المبحوح داعب سمعها وهو يرد " انا من يعشقك ! "

الفة محببة تسللت اليها فابتسمت له وهي تشعر بالخجل دون سبب واضح فهمس لها هذه المرة بضحكة خافتة " انت تحمرين ! اشتاقت عيناي لحمرة خديك ..."

وفجأة عقدت حاجبيها بتركيز وقد تلمست بعض الوضوح في ملامحه !

همست ببراءة الاطفال وقد انكشفت لها اولا ... عيناه .... " عيناك ... زرقاوان ! "

همسته هذه المرة اكثر وضوحا وقد انكشفت شفتاه " تتعذبان بالنظر لشفتيك شهرزادي .."

ما ان قال (شهرزادي) حتى تفجر في داخلها الفرح !

شعور لايوصف وهي تتآلف مع زرقة تلك العينين ولسبب ما كانت تتوقع في نظراتهما السخرية لكنها لم تجد الا الدفء !

ضحكت بخفة لتشعر بانفاسه فوق شفتيها قائلا بهمس عاطفي مغتاظ " لم اعد احتمل استفزازك البريء هذا ! "

لم تشعر بعدها الا وهي تغوص في قبلة لم تتذوق مثلها من قبل .... وكأن روحها تجسدت في تلك القبلة حتى استنفدت كل قواها لتنهار على صدره ... منهكة من مشاعرها ومشاعره .. مهزومة بالعشق الذي تسرب من همهماته .. مبهورة بشعور السعادة المتفردة التي منحها لها بقبلة لاتوصف !

ابتسمت برضا لم تشعره طوال حياتها واغرقت وجهها في صدره لتغرق في سبات لذيذ ...

قلبه يشتعل ويشعل روحه وجسده في آن واحد .... يكاد يصرخ من فرط السعادة و... ألم الحرمان !!

ضمها هيثم لصدره اكثر يلامس شعرها الناعم وهو يهمس " نامي يا معشوقتي .. ما دمت راضية وهانئة هكذا بين ذراعي فلا يهمني ألم الحرمان منك مهما طال... المهم ان تكوني سعيدة شهرزادي ... "

ابى الاستسلام للنوم وهو يتطلع لوجهه الجميل المبتسم ويتمنى من قلبه ان تكون مدركة ... ولو قليلا .... انه هو هيثم من تشارك معها تلك القبلة ....

تمطت شهرزاد في سريرها وهي تشعر انها خفيفة كريشة ....

احمرت وتفاصيل الحلم تتسرب اليها ! عضت شفتها وهي تهمس " يا الهي ! لاصدق اني احلم كما عندما كنت مراهقة !! "

ثم فجأة تذكرت الواقع .. اتسعت عيناها وهي تتلفت بحثا عن اثر لوجوده ..

تنفست الصعداء لانها لم تره مع شعور خبيث بخيبة الامل !

اخذت نفسا عميقا وهي تتطلع لاشعة الشمس التي تتشرب بحياء من خلف الستائر الناعمة ..

همست بشجن حزين " ها هو صباح جديد يا شهرزاد .. صباح حيث انت وحدك .. ما فائدة الحب ان لم يمنحنا شعور الطمأنينة .. الاستكانة لشخص دون التوجس منه .. دون التشكك بمشاعره .. دون التهرب من كلماته المغوية خوفا من ان توجعنا حقيقته المغايرة لتلك الكلمات ..."

رغم ذلك هي ممتنة من هيثم لبقائه بالامس معها ، رسالة ابيها .. كلمات امها ... تصريحات هيثم نفسه بالعشق جعلها كل هذا تشعر بالتخبط .. وخوف لايوصف من هذا التخبط ...

هل والدها احبها حقا ولو على طريقته ؟ هل امها كانت بهذه الرقة التي اورثتها لها ؟ وهل ... يعشقها هيثم حقا ؟ والاكثر ... ماذا يعني له العشق كرجل ؟! هل يعني انه يعطي ضمانة الوفاء ؟!!

نفضت رأسها وقررت ان تغادر سريرها مبتعدة عن كل هذه الافكار المحيرة ..

تحتاج لحمام صباحي طويل ومنعش حتى تبدأ يومها كما فعل هيثم ... تحركت مبتعدة عن السرير وعيناها تطرفان ناحية الاريكة واثار نوم احدهم عليها واضحة ..

توردت وهي تهمس " يبدو ان من شغلها كان يعاني صعوبة النوم ولذلك غادر باكرا ..."

شجعت نفسها وهي تدخل للحمام وفي داخلها عزم على اعادة تنظيم حياتها بشكل صحيح ومتصالح مع النفس ...

دخل هيثم بهدوء بعد ان فتح باب شقتها بالمفتاح الذي يحتفظ به ، كان يسير على اطراف اصابعه حتى لايقلق نومها ، ما زالت لم تتعدَ السابعة ومؤكد ما زالت نائمة بعد ارهاق الامس ..

اما هو فقد ارتأى مغادرتها منذ الفجر فيكفيه تعذيبا للنفس وهو يضمها لصدره لتنعم هي بنومها ... فطاقته على التحمل نفدت بالكامل ...

ابتسم وهو ينظر لكوب الشيكولاته الحارة التي يحملها بيده وقد اعده بنفسه لها ، يعلم كم تحبه ..

تنصت من خلف باب غرفتها الذي اغلقه بنفسه عندما غادر قبل اكثر من ساعة .. وها هو قد عاد بعد ان اخذ حمامه وما زال الباب مغلق على حاله ، اخذ نفسا وقرر ان يدخل بهدوء حتى لايفزعها ليوقظها على مهل ، يجب ان يتكلما بجدية واليوم سيتفرغ تماما لهذا ..

مع فتحه الباب انفتحت باب اخرى مقابلة لتطل شهرزاد بقامتها النحيلة من ناحية الحمام وهي تلف نفسها بمنشفة وردية كبيرة !

الاثنان حدّقا ببعض للحظات ببعض الصدمة !

احمرت بينما هو يتنحنح ويسبل اهدابه قائلا باعتذار هامس " آسف .. ظننتك نائمة .. أ .. احضرت لك .. كوب شيكولاته ساخنه كما تحبيها .. "

ثم تنحنح مرة اخرى وهو يتجنب النظر نحوها ليتقدم ويضع الكوب على منضدة الزينة القريبة فيتراجع بعدها معتذرا " آسف .. مرة اخرى .. سـ ... انتظرك ... في الخارج .. لنتكلم .."

ثم غادر مسرعا متعثرا ليغلق الباب خلفه وقلبه يهدر في صدره ...

شتم في سره وهو يتقدم ناحية مطبخها ليعد لنفسه قهوة اخرى حتى يستعيد بعض تركيزه الذي تشتت برؤيتها خارجة من الحمام شبه عارية ...

اطالت بقاءها في الغرفة حتى اصابه القلق !

همس وهو ينظر لساعة يده " هل يعقل ان تتأخري كل هذا شهرزاد ؟! ام انك ترفضين الكلام معي ؟!! "

كتم انفاسه وصوت انفتاح الباب يخرسه ..

اطلت عليه بهيئة اكثر اغراء من هيئتها المبللة المتسترة على استحياء بمنشفة مستفزة لرجولته ..

واضح ان جففت شعرها لينساب بنعومة شديدة على كتفيها وقد ارتدت جلبابا مغربيا ملونا ، يبدو محتشما جدا لكنها بدت مذهلة فيه تفيض انوثة ...

اقتربت دون ان تنظر اليه بينما هو يقف على باب المطبخ يحدق فيها كالابله !

كانت تحمل كوبها في يدها وتقول بخجل

" شكرا على الشيكولاته .."

رد بحشرجة " عفوا .. هل .. اعجبتك ..؟ "

قالت بتورد " انها لذيذة لكن .. بردت قليلا واحتاج لتدفئتها ..."

ابتلع ريقه بصعوبة ومشاعره تضغط عليه ليهمس " وجنتاك محمرتان ..."

رفعت عينيها اليه ليزداد توهج وجهها وهي تقول بتعثر " انه .. بفعل الحمام الساخن .."

بديا كثنائي يتقربان من بعضهما لاول مرة .. يخضعان لمشاعر تطغى على اي واقع ..

هي لم تتوقع وجوده .. لم تتوقع ان ...

فجأة قالت وهي تتطلع لملابسه

" لقد غيرت ملابسك ؟! "

رد بابتسامة صغيرة وعيناه الزرقاوان تلتمعان

" اخذت حماما انا الآخر وعدت اليك .."

عبست قليلا وهي تتساءل " وكيف دخلت ؟! "

رد وهو يسبل اهدابه " احتفظت بمفتاح شقتك لاعاود الدخول دون ازعاج نومك .."

صمتت ... فصمت ...

تنحنحت هي عندما طال الصمت وقد استشعرت غرابة موقفهما الصباحي هذا ، وذكرى حلمها تثقل عليها وهي تتذكر انها رأت عينيه الزرقاوين فيه ..

انه هو .. هو .... فارسها !!

تضرجت بالحمرة القانية بينما قال لها بصوت أجش " هل تعلمين انك تحمرين في منامك ايضا ؟!! اتساءل بماذا كنت تحلمين ليلة الامس ؟"

كتمت شهقتها ورمشت بعينيها خجلا وارتباكا وبحركة غير مدروسة تحركت وهي تقول بارتعاش متهربة منه " يجب ان .. اعيد تدفئة الشيكولاته لاشربها .."

كان هو قد تحرك في نفس الوقت عارضا عليها " دعيني احميها لك .."

ارتباكها جعلها تتحرك بسرعة غير محسوبة فارتج الكوب في يدها وقبل ان تتدارك الموقف سقطت اغلب محتوياته على قميصه ...

وضعت الكوب على اقرب منضدة وسارعت للاقتراب منه وبعفوية اخذت تلامس قميصه وتسأل بقلق " هل كان حارا ؟! هل احرق جلدك .."

رد بقلب نابض " لا ... لقد كان بارد .. لاتخافي "

وضعت يدها على فمها وهي تتطلع لقميصه فشعرت كأنها طفلة سخيفة تصرفت بحمق ! نظرت اليه باعتذار يسلب القلب هامسة

" انا اسفة ... لقد اتلفت قميصك "

ضج صدره وهو ينظر لوجهها المتورد وشعور جامح سيطر عليه وهو يفكر .. شهرزاده

الرقيقة ما زالت موجودة ، بطفوليتها المحببة كما تبدو الآن بالضبط ... قد تصقلها الاوجاع وتجعلها قاسية قليلا لكن في داخلها تلك النعومة ستظل موجودة ... سابقا كان يشعر بالغرابة لتلك الطفولية التي تفيض منها .. الان يشعر بطول عطشه ليرتوي من هذه الطفولية التي تشكل جزءا من شخصها الذي عشقه وظن انه فقده ....

همس وهو يميل نحوها ونظراته تشتعل بلهب ازرق مفتون

" فداك القميص وصاحب القميص ..."

تقلصت بين ذراعيه بينما اقشعرت بشرتها تأثرا وهو يطبع قبلة صغيرة على جانب فمها

همست بارتعاش " هيثم ..."

همستها كانت القشة التي حطمت هذا الحاجز الواهي من السيطرة ليأخذها بين ذراعيه وقد مزقته الحاجة ليقبلها كما فعل ليلة الامس وهي هائمة في احلامها مرتاحة ولا تشعر بنيرانه ....

فجأة ابتعدت عنه وهي تكاد تختنق وعيناها متسعتان .. كان مشوشا بمشاعره ليستوعب ابتعادها غير المتوقع وقد كانت تذوب بين ذراعيه ...

همس بتحشرج " ماذا ؟!!! "

ابتعدت اكثر وهي تبعد كفيها عن صدره لتقول باضطراب " قميصك .. رطب ...! "

للحظة تطلع اليها بعدم فهم وهو يرفع حاجبيه عاليا ثم احنى رأسه ينظر لقميصه الملطخ بالشيكولاته !

فجأة عاد ورفع رأسه فاحتبست انفاسها من تلك اللمعة في عينيه ...

ابتسم بجذل ثم رفع يده لازرار قميصه يفكها على مهل بينما عيناه لاتفارقان عينيها المذهولتين ...

همست بغير استيعاب " ماذا تفعل ؟! "

ارتعشت شفتاه وهو يخلع قميصه ويقول بصوت مبحوح " اخلعه حتى لايزعجك وانت تلمسيني ! "

تراجعت للخلف شاهقة وهي تقول باعتراض واهن " انا ... لااريد لمسك .."

تقدم نحوها بعزم وهو يرمي قميصه ارضا ثم قال " انا .. اريد .."

كانت تتراجع وهي تهز رأسها هامسة بعجز " لاتفعل هيثم ..."

لكنه لم يستطع التوقف واحساسه الذي لايخطأ يخبره انها تتهرب من مشاعرها وليس منه هو ...

قال وهو يواصل تقدمه بينما هي تتراجع نحو غرفتها " تغويني بهاتين العينين وتسحريني بدعوة مشتعلة لاتدركينها منهما ثم تقولين بلسانك ما يناقض تلك الدعوة .."

اخذت تهز راسها بعجز وهو عجز ايضا التماسك ... مضى زمن طويل ... طويل جدا ...

سالت دمعتها بينما تشهق بالشوق هي الاخرى وهو يحملها بين ذراعيه متجها نحو ذلك السرير الضخم يهمس لها بحرارة " سأموت شوقا اليك ... سأموت شهرزادي ... ارحميني ... احبيني ... كما كنت تفعلين دوما .. يا الهي ... الحرمان منك اقسى ما مر علي في حياتي ..."

تدير ظهرها اليه تبكي بصمت وهو يقبل كتفها باضطراب ويهمس " لماذا البكاء ؟! حبيبتي .. لماذا ؟! انا احبك ... احبك شهرزاد ... وانت تحبينني ايضا .. اليس كذلك ؟؟ لم تقوليها بلسانك كما عودتني لكني اعرفك ... جسدك هذا ينطق بلغة لايفهمها غيري ..."

مسحت دموعها وهي ما زالت تأبى النظر اليه " لم يكن يفترض حدوث هذا ... هذا خطأ .. خطأ .."

ابتلع ريقه ليديرها رغما عنها نحو ه وقد اشرف عليها براسه وهي مستلقية على ظهرها تنظر اليه بألم فقال بألم مماثل " انت زوجتي .. وحبيبتي ... مستعد للموت من اجلك دون لحظة تردد ... فارجوك لا تقولي ان ما حصل الآن بيننا... خطأ ... ! "

سالت دموعا اخرى فمسحها بعزم وقال بتركيز " ما حصل الآن كان خارج مخططاتي ... اقسم لك ... كنت اريد الحديث معك فعلا قبل ان نصل لاي مصالحة حقيقية بيننا ، انا قضيت الليل بجانبك وحتى قبّلتك وانت قبلتني وقد كنت تحلمين ومع ذلك لم اتهور ... لكني ... بشر ... بشر يا شهرزاد .. لم استطع .. وقد .. شعرت .. انك تريديني ايضا .. انك تريدين هذا التواصل معي بعد طول فراق ... على الاقل اعترفي بهذا شهرزاد ..

لاتلقي الذنب علي .. قد لاتعترفين انك ما
زلت تحبينني لكن انا اعرف.. اعرف انك
تفعلين .. انك تحبينني كما احبك .... "

ارتعشت شفتاها وبدت عيناها مذهلتين بشعور
يطفح منهما .. شعور قطع انفاسه بينما تهمس "
تريد اعترافا اني ما زلت احبك هيثم ؟!!
حسنا .. انا اعترف ... اعترف ان ذلك الحب
الذي ترعرع ونما مع نمو خلايا جسدي ما زال
موجودا ... قويا ... نابضا بشكل موجع ..."

كتم انفاسه للحظة وهو يحدق بانشداه فيها
ثم اطلق نفسا عميقا وهو يميل لشفتيها
يقبلهما بوله هامسا " وانا اتوجع بحبك
شهرزاد .. اتوجع بسعادة مستبدة ..."

قالت بضعف " الحب ليس كل شيء هيثم ..
لقد تعلمت هذا الدرس باصعب الطرق ! "

رفع رأسها ينظر في عينيها بينما اكملت هي
بشجن " هناك شيء .. انكسر .."

سارع ليقاطعها بالقول " وسنعيد اصلاحه معا ..
ما دمنا نحب بعضنا شهرزاد ... ما دمنا نريد
ذلك حقا ... فما بيننا تاريخ طويل .. طويل
جدا حبيبتي ... تاريخ ابتدأ قبل زواجنا
بسنوات .... انه يستحق ان نقاتل ليمتد حتى
اخر عمرنا ... "

اسبلت اهدابها قائلة بحزن " سأظل دوما ...
اخشى المستقبل ... معك ..."

ابتلع ريقه لكنه قال بثبات " ان كنت تقصدين ما اقترفته من اخطاء معك فلسنا اول زوجين يعانيان من مشاكل كهذه ، مشاكل تجعل الزواج اكثر حكمة ومرونة ، اكثر صلابة شهرزاد ما دمنا ما نزال نرغب باكمال حياتنا معا ، ما دمنا ما نزال نحتفظ بشعلة الحب .. "

ما زال عدم الاقتناع على وجهها يقلقه فاضاف بحذر " يمكننا المحاولة على الاقل شهرزادي ، نستطيع ان نجرب من اجل هذه الشعلة المتقدة بيننا ... امنحيني فرصة لاعوضك عمّا فات .. اعلم اني اخطأت بحقك كثيرا .. لكني لااستطيع الاستغناء عنك .. لااستطيع .. سأفعل اي شيء يرضيك ... فقط حددي شروطك ... وانا سانفذ ...."

اخذت تنظر اليه وشعرت بالعجب من شعورها بكل هذه القوة بين ذراعيه ... ! كانت دوما تشعر بالضعف امامه .. تشعر بالنقص انها لاترضيه .. لكنها تمنحه في النهاية اغلى ما تملك بأن تقول له (احبك) .... ها هي تجد نفسها قوية متمنعة في منحه ما يريد وحدس انثوي يهمس لها ... العطش يعلم نعمة الارتواء ... ثم صوت والدها وهو يقول (امزجيها وسيعجبك الانتاج !)

قالت اخيرا وهي تراقب ملامحه المتلهفة "سأفكر ...."

نفس الصباح ... في شقة والد سمارا ...

جلست سمارا بجانب اختها على السرير لتسألها بذهن متوقد" هل يمكنني ان افهم لماذا تريدين تأخير الامور ؟ لماذا لاتريدين عقد الخطبة الآن ؟؟ "

التفتت هديل نحو اختها لتقول بملامح مرهقة حائرة بعض الشيء " افهميني سمارا .. شاهين مندفع جدا نحوي وهذا .."

قاطعتها سمارا قائلة " يفترض ان يسعدك ! " لكن هديل تنهدت لتقول " و .. يربكني ! "

عقدت سمارا حاجبيها قليلا وهي تتساءل " الايفترض الارتباك كنوع من الخجل الطبيعي لأي فتاة ؟!! "

وقفت هديل على قدميها واخذت تدور في غرفتها قائلة " ليس هذا الارتباك ... انا .." لتتوقف وتواجه اختها بعينين فاض منهما الخجل والقلق " انا .... لم اعتد ان ينظر ... الي هكذا .."

تبسمت سمارا بحنان لها فحادت هجيل بنظراتها بعيدا عن اختها وهي تهمس " انا .. احببته دوما .. تمنيت ان ينظر الي هكذا ولكن عندما حصل ... استغربته ..!! "

اطرقت برأسها للاسفل وهي تقول بتردد " انا احاول التعامل معه لكن ايضا احتاج للوقت وهو .. هو .." اكملت لها سمارا بتعاطف " هو كالطفل الذي وجد ضالته ومندفع كالثور الصغير نحوها ! "

ضحكت هديل رغما عنها بينما وجنتاها تتوهجان لتردف سمارا قائلة وهي تهز كتفيها " هذا هو شاهين ..."

تحشرج صوت هديل وهي تقول " هناك امر آخر .. انها ...... شهرزاد .."

تماسكت سمارا وهي تسأل مدعية الدهشة

" ما بها ؟! "

قالت هديل بعينين محتدتين " لست غبية سمارا فلا تظهري ملامح العجب هذه لو سمحتِ ... لي عينان وعقل يفسر وقد كنت ارى بوضوح نظراتها اليها "

ابتسمت سمارا وهي تقف على قدميها لتقترب من اختها ، مدت يدها تلاعب خصلات شعرها وهي تقول بجدية حانية " اسمعيني يا جميلة الملامح .. شاهين رجل عاطفي جدا حنون لابعد حد ولديه طاقة لاتنضب لفرض حمايته على الاخرين ودعمهم دون حتى ان يطلبوها "

قاطعتها هديل قائلة بتشكك واضح " هل تريدين القول انه كان يحمل عواطف (اخوية) لشهرزاد كاللتي يحملها نحوك مثلا ؟!!! "

حركت سمارا سبابتها امام وجه اختها لتقول مؤنبة اياها بابتسامة رقيقة " انا لم اكمل بعد يا جميلة الملامح فاصبري ولاتجعلي طبعك الثائر يغلبك..."

ثم اكملت بهدوء " شاهين فوضوي ايضا لايعقّد حياته بالتفاصيل ! لايحب ان يقيد نفسه اطلاقا لذلك هو يعبر عن نفسه بفوضوية ودون تخطيط حتى امام نفسه ! لكنه ذكي وعند نقطة معينة يستغرق في تفكير جدي ليرتب تلك الفوضى ويضع كل شيء في مكانه الصحيح "

سألت هديل بملامح مفكرة " ماذا تريدين ان تقولي بالضبط سمارا ؟"

قالت سمارا بثقة نابعة من اعماقها " اريد ان اقول انه لايتخذ خطوة فعلية الا اذا كان واثقا فعلا " لكن هديل همست " انا لااصدق انه .. يحبني ..." فردت سمارا بابتسامة مشرقة " وانا لااستطيع تصديق غير هذا ! "

غامت عينا هديل وهي تضيف بتحشرج وتألم " دوما عاملني كأخ كبير ! "

ازدادت ابتسامة سمارا اشراقا وغمرها احساس بهيج وهي تقول لاختها " استمتعي اذن بالحبيب والزوج والاخ ... وكما يقول والدي انها نعمة باجتماعهم في نفس الشخص الذي ستكملين معه حياتك ! "

رمشت هديل ثم عضت شفتها السفلى بخجل بينما سمارا تلاطفها قائلة " هل تعلمين متى شككت لاول مرة بمشاعره نحوك ؟! "

ابتسمت هديل ووجنتاها تتوهجان اكثر لتكمل سمارا قائلة " يوم حفل تخرجك .. وربما قبلها بقليل لكن في تلك الليلة تشوشت من ذبذبات الغيرة التي كانت تملأ الاجواء بينكما "

تلعثمت هديل هامسة بغير تصديق

" غيرة ؟!! يغار علي ؟!! "

ثم تذكرت لتضيف باستدراك " تقصدين زيد ؟! كنت اتصوره يبالغ في حمايتي كأخت صغرى له .. وهذا حطّمني ..."

قالت سمارا غامزة

" زيد هذا جعل شاهين يعيش فوضى من نوع مختلف او ربما صراع ! "

رددت هديل بتساؤل " صراع ؟!! "

هزّت سمارا رأسها ايجابا وقالت " اجل صراع عنيف في مشاعره بين الاخت الصغرى (المفترضة) وبين غيرة لاتحتمل اعترف بها امامي لكنه يظل يسبغ عليها صفات الاخوة او حتى الابوة ..."

فقالت هديل وقد عاودها الشك " وقد يكون صحيحا .." لكن سمارا ردت عليها بحزم " انت ذكية بما يكفي حتى لاتستسلمي لشكوك ... انا اعرف شاهين اكثر منك وعندي ثقة كاملة ان مشاعره نحوك لاتقبل ذرة تشكك ، وتذكري لو اراد شهرزاد حقا فلماذا لم يبادر نحوها وقد اصبحت حرة ..؟! لماذا توجه اليك انت بدلا من ذلك ؟؟ "

ارتعشت شفتا هديل بينما سمارا تكمل بحنو

" انت كنت قابعة في مكان ما في اعماقه ، قاوم الاعتراف انك تثيرين مشاعره كرجل لانه شعر انه يفترض ان يعاملك كأخت فقط ! "

ثم ضحكت سمارا بخفة وهي تقول " حتى اياد لاحظ هذا بل وجعلني ادركه بوضوح لاني تشوشت ! "

ابتسمت هديل بتردد ثم همست

" حسنا .. انا .. موافقة ...."

بعد شهر ....

معلقة على الدرج تصبغ سقف الغرفة بتركيز ، تمتمت في سرها " ما زال هناك الكثير من العمل لتكون شقة شاهين جاهزة ..."

اجفلت لصوت باب الغرفة يفتح لكنها تبسمت وهي ترى شاهين يدخل لتقول بعتب " لقد اجفلتني ! اين ذهبت وتركتني بمفردي اعمل ؟؟"

نظرات شاهين انسابت على طول قامتها الرشيقة في بنطالها الجينز وقميصها الازرق الملطخ بالدهان بينما تلف شعرها بوشاح مرقط محبب ... بدت حلوة كقطعة من سكاكر العيد الملونة ...

قال شاهين في سره " حسنا يا صغيرة ... لعبت كثيرا خلال الاسبوعين الماضيين بتهربك مني مرارا وبكل ذكاء ..."

عقدت هديل حاجبيها بتساؤل وهي تقول

" ما بك لاترد علي شاهين ؟!! "

بكل هدوء التفت بجسده قليلا ليغلق باب الغرفة و.... بالمفتاح ....

ابتلعت هديل ريقها وهي تحدق فيه وكأنه مجنون لتعبر عن احساسها قائلة بصوت مبحوح " لماذا اغلقت الباب بالمفتاح ؟!! "

تقدم نحوها لينظر عاليا اليها ثم قال بصوت حيادي " انزلي وساخبرك ..."

ابتلعت هديل ريقها ولكنها أبت الاعتراف انها خائفة منه ! ثم طمأنت نفسها انه لن يستطيع فعل شيء وجمهرة من العمال في الخارج ! ومع ذلك لم تتنازل يدها عن الفرشاة الضخمة التي تستخدمها للصبغ ..

وبينما هي تنزل اخر درجة كان حدس يتردد في داخلها ... هل تبدو الشقة هادئة جدا ؟!!

وقفت امامه تدعي السيطرة لتتكتف وتقول

" ماذا هناك ؟!! ها قد نزلت ..."

شهقت بنعومة وهو يسحب الوشاح عن شعرها ليهمس " اجل نزلت ... واصبحت امامي اخيرا .. بمفردك تماما ... لا والدك الذي تصرين على مشاركته لنا في كل جلسة ولا اختك المجنونة الصهباء التي تؤازرك ضدي وتمنع اي خلوة بيننا ولا حتى زوج اختك الذي يتصورني لاادرك محاولاته الفاشلة للتغطية على افعال زوجته ! "

اتسعت عيناها بخوف مثير .. ارتعشت وهي تقول مدعية عدم الفهم " ما بك شاهين ؟! "

عندها رأت في عينيه ما لم تره في حياتها منهما ... قلبها يقرع كالطبول وهو يتطلع اليها بهذه الطريقة الرجولية ...

قالت بصوت مبحوح وهو يمد يده بجرأة ليلامس خدها " ماذا بي ؟!!! ساخبرك ماذا بي يا صغيرة ... مر اسبوعان على عقد قراننا ولم احظَ الا بقبلة باهتة على خدك ! وانت كمتهربة بارعة تتزحلقين من يدي كلما لمستك ! "

لم تملك القدرة على ابعاد يده لتهمس له بارتجاف " شاهين .. ارجوك ... العمال .."

ابتسم بضراوة هامسا لها " العمال اعطيتهم المال ليخرجوا ويتناولوا غداءهم بانفسهم ، ولذلك لن يعودوا قبل ساعتين يا .. صغيرة .."

ابتلعت ريقها وحاولت التشبث بالغضب بينما خفقات قلبها ترتفع اكثر قائلة بحاجبين معقودين " انا ايضا سأخرج لتناول الغداء ... ما دمت تتقاعس عن احضاره ..."

كانت ستتحرك مبتعدة بثقة لاتملكها حقا لكنه لم يمنحها الفرصة وهو يمسك ساعديها ثم جرها اليه يلصقها به غير عابئ بمقاومتها الواهنة ، ارتعش لتلك الملامسة التي اشتاق اليها كالمجنون ثم همس مبتسما بمشاكسة وهو يغمرها بحرارة نظراته " اليوم ساعلمك لعبة جديدة يا صغيرة .. انها لعبة تخص الكبار لكني سادخلك اليها رغما عنك ..."

"شاهـ..."

نطقها المتوسل باسمه انقطع وهو يقترب بشفتيه من شفتيها ودون ان يلامسهما قال بانفاس لاهثة " لديك شفتان مكتنزتان شهيتان ، لم ارَ شيئا في حياتي اكثر اغراء منهما ..."

" شا....."

هذه المرة ضاعت فيه هو وكأنها طوال حياتها انتظرت هذه اللحظة التي تخشاها ....

عندما ارغم نفسه على الابتعاد كان يجاهد لالتقاط انفاسه وقد انهكه اكثر ان يبتعد هكذا ...

قال بصوت شرس " لن نطيل العرس اكثر من اسبوع ... حتى لو لم تكتمل شقتنا .. هل فهمت ؟!! "

شهق هو مصدوما بينما يشعر بفرشاة ضخمة تلطخ وجهه بينما صوت هديل اللاهث جاء ثائرا وهي تقول " وانت اياك ان تقبلني هكذا مرة اخرى قبل الزفاف والا اقسم سادهن جدرانك بابشع لون فاقع رأته عيناك! "

قهقه شاهين عاليا بينما هديل تتميز غيظا ...

عرس شاهين وهديل

" اعترف ان ذوق شاهين رائع في النساء .."

رمقته شهرزاد بطارف عينها لتتساءل بلامبلاة ظاهرية " هل تعجبك هديل ؟!! "

ابتسم هيثم بغموض وهو يسبل اهدابه قائلا برقة " انها مبهرة ... انظري لتقاطيع وجهها .. حقا مبهرة ... شاهين يوشك على التهامها امامنا الآن ... ولا الومه حقيقة ... "

كتمت شهرزاد غيرتها الحارقة لترفع يدها نحو شعرها المصفف بعناية ، كانت تحاول الهاء نفسها بشيء وهي تعدل خصلة وهمية

قالت بينما تقول بصوت أجش " انها مبهرة فعلا ..."

يعترف انه يريد اغاظتها .. بل الانتقام منها .. انها تعذبه عذابا لايطاق منذ ذلك الصباح الذي وعده فيه بالتفكير ...

لقد دللها بكل طريقة .. يعد لها الافطار صباحا ويشاركها دوما طعام الغداء .. وفي المساء يتلظى بنار الشوق وهي تصرفه من شقتها متثائبة ...!!

لقد توسل اليها ان يفتحا بابا داخليا بين الشقتين لكنها رفضت بحزم !

تثير جنونه بتغنجها بملابس البيت التي
ترتديها امامه ... ملابس لم يعتدها منها سابقا
وكلها على شاكلة ذلك الجلباب المغربي ..

عندما سألها من اين اشترت هذه الملابس
ابتسمت له ببراءة وقالت " انها سمارا من
ارشدها لتلك النوعية ..."

تقبضت يداه وهو ينظر اليها الآن وقد اختارت
ان تعاقبه بالتجاهل بينما تضاحك والد سمارا
لترفع من معنوياته وتدعمه وتمنعه من البكاء
تاثرا لزواج ابنته ...

الا يحتاج هو لدعمها ايضا ؟!! هو الذي مل
الصبر منه و يتحرق اليها كمراهق !!...

لم يقربها منذ ذلك الصباح بناء على رغبتها
وقد أكدت له انها تريده ان يقرب روحها اولا
.. ان يتواصل مع شخصها ... ان يكلمها عن
عمله ... صفقاته .. احلامه ... حتى انها
طالبته بأن يتكلم عن سفرياته .. مغامراته ...

وفي المقابل كانت تختبره ! اجل ... تختبره
بمعنى الكلمة ... تعطيه بداية الخيط حول
ما يخصها من عملها عند شاهين .. ذلك العمل
الذي كان احد شروطها الاساسية الذي عليه
ان يرضى بها ...

لم يكن لديه اي مانع لكن ان تختبره بتلك
الطريقة اوجعه ! ترمي له بلمحة عن عمل
قامت به ثم تصمت !

في البداية شعر بالضغط لاسلوبها الملتوي هذا لكنه فيما بعد ادرك انها تعاني اكثر منه ... تعاني وهي تنتظر منه الاهتمام دون ان تطلبه ...

اوجعه هذا ثم شيئا فشيئا اصبح فضوله لمعرفة كل صغيرة وكبيرة عنها امرا يستمتع به ويتشوق اليه ...

تذوق طعما مختلفا للمشاركة .. انها ليست معرفة التفاصيل ما يهم وانما روح المشاركة المحببة وهما يتبادلان تلك التفاصيل ...

" هيثم ... انا اشعر ببعض التوعك .. هلا عدنا؟؟"

نظر اليها مبتسما برقة فرد هامسا " عليك الامر وعلينا الطاعة ..."

" توقف هيثم ...! ماذا تفعل ؟؟ يا الهي نحن في المصعد ..."

كان قد فقد رباطة جأشه التي استعان بها طوال الفترة الماضية ليلتزم الحدود معها ولكن كيف يستطيع ان يتمالك نفسه وهي تختار المصعد لتخبره بتلك الابتسامة التي يضعف امامها بانها قد تكون .. حاملا ...!

سحبها خارج المصعد بعنف حالما فتحت الباب وهي تضحك بينما شعرها ينحل من تسريحته بطريقة عشوائية وحافة فستانها من الاعلى هطلت جانبا كاشفة عن كتفها المغري ...

تأوه وهو يميل لذلك الكتف يقبله بحرارة وهي تتمنع عليه وتهمس " توقف ... الايكفي ما فعلته بالمصعد ؟! "

لم يرد عليها وهو يسحبها نحو شقته بينما يخرج مفتاحه من جيبه ويده ترتعش ...

نادته بهمس رقيق " هيثم ... انت لاترد علي ! "

التفت اليها بحدة وعيناه الزرقاوان تشعان بقوة حتى ساحت ركبتاها ...

ارتعشت ابتسامتها على شفتيها بينما تدرك في قرارة نفسها ان أوان التفكير قد انتهى ...

ادخلها شقته واغلق الباب ليلصقها بالحائط وهو يهمس لاهثا " عندما أرد على ما قلتيه يجب ان نكون هنا اولا ... ان تكوني تحت رحمتي تماما .. وان تقولي ما انتظرته بصبر يهد الجبال .... "

داعبته باستسلام " قبل ان اقولها لدي شرط اخير .."

امسك خصرها بعنف بين كفيه فيسالها بهمس شرس " ماذا الآن ؟!! لم اعد اتحمل .."

ردت بعينين متوهجتين انوثة ونبرة فيها من التهديد والرقة ما يجعله يخر على قدميه امامها قائلة " اياك .. ثم اياك .. ان تتغنى بجمال امرأة امامي ... "

ضحك عاليا ثم قال بعاطفة ثائرة " اعترف اني كنت انتقم منك لكل ما اعانيه وانا انتظر كلمة رضا منك ..."

فاجأته بأن بادرت هي لتقبليه بعنف ثم ابتعدت فجأة وهي تهمس " ساعطيك فرصة اخيرة ... " ثم ابتسمت بعاطفة قائلة بثقة

" انا موافقة على العودة اليك ..."

" صغيرتي الآن هي صغيرتك شاهين .."

داعبت ابتسامة حانية شفتيّ شاهين وهو ينظر لوالد سمارا بينما يشدد من ذراعه حول خصر هديل ليقول له بوعد " سامنحها كل ما تريد .. كل ما يسعدها ..."

مسح الاب دمعته ليقترب من هديل محتضنا اياها للمرة الثالثة بينما سمارا تناديه من نهاية الممر مرة اخرى " ابي ... لقد سالت زينة العروس بالكامل وانت تجبرها على البكاء في كل مرة تحتضنها فيها !! "

عبس الاب وهو يلتفت نحو ابنته الكبرى
قائلا بحنق " لاتستعجليني يا فتاة ! انا رجل
عجوز وليس لي القوة التي تملكينها !! "

صمتت سمارا على مضض ثم لوحت للعريسين
وارسلت قبلة هوائية اخيرة لاختها وهي تدخل
المصعد قائلة وهي تدعي الغيرة " لم ارك
منهارا ليلة زفافي هكذا !! بل بدوت وكأنك
لاتطيق صبرا لمغادرتي مع اياد !! "

ضحكت هديل من بين دموعها بينما الاب
يسارع في خطواته وهو ينادي سمارا قائلا
" انتظريني يا حمراء !! لاافهم ما معنى هذه
الغيرة؟!! "

همس شاهين قرب اذن عروسه حالما هدأ الممر
" المسكينة سمارا التصق بها لقب الـ(حمراء)
الى الابد ..."

رفعت هديل عينيها لشاهين وحالما اصطدمت
بنظراته المشاكسة حتى ابتسمت له تغالب
ارتعاشها ثم همست ببراءة " ماذا سنفعل الآن؟!"

ضحك شاهين عاليا بينما احمرت هديل بشدة
وقد ادركت حماقة سؤالها العفوي ثم شهقت
وشاهين يحملها بين ذراعيه ليدخل جناحهما
وهو يهمس لها " الآن .. يا منبع شاهين .. حان
الوقت لادلل الصغيرة على طريقتي ! "

بعد ايام ...

تغمض عينيها بشدة وتتمسك بخصره بكل ما اوتيت من قوة بينما رذاذ الماء يتطاير ليبلل وجهها وشعرها ...

التفت اليها شاهين بوجهه وقد بدأ يشعر ببعض القلق " ما بك حبيبتي ؟! الم تطلبي بنفسك ان نركب هذه الآلة المجنونة المسماة (جتسكي) ..."

ردت هديل بابتسامة وهي تقاوم احساسها بالخوف " اجل .. بالتأكيد ... كنت دوما احب تجربتها ... لكن ..."

غامت عيناه بالحنان وهو يقول " هل تخشين الوقوع بالماء ؟!! اعلم انك لاتجيدين السباحة ولكن لاتقلقي .. حتى لو سقطت فانت تلبسين سترة النجاة التي تجعلك تطوفين للاعلى بشكل آلي ..."

نظرت اليه بابتسامة مرتبكة تحاول جهدها طمأنته لكنها عاجزة عن طمأنة نفسها اولا ..

قال لها برقة وهو يخفف سرعته " هل تريدين ان نعود ؟!! "

هزّت رأسها بقوة وهي تقول باصرار " لا .. اريد ان اعتاد على عدم الخوف ..."

ابتسم لها ابتسامة واسعة وعاود الانطلاق ..

احد المراهقين اليافعين قاطع حركة شاهين بتهور فاجبره على الانحراف بزاوية حادة ولم يشعر شاهين الا وقد خف حمله !

اوقف الآلة مرعوبا وهو يتلفت ليرى هديل واقعة بالماء وتحرك ذراعيها بهستيرية واضحة ..

قفز مباشرة نحوها وهو يشتم ذلك الغبي وما ان وصل اليها حتى حاوطها بذراعيه يضمها اليه مطمئنا اياها " امسكتك صغيرتي .. لاتخافي .. تذكري فقط ما قلته لك .. سترة النجاة لن تجعلك تغرقين ابدا ... "

هدأت حركات هديل بينما تتشبث بكتفيه ، وجهها كان شاحبا بالرعب وهي تسعل بعض الشيء ، اخذ يهمس قرب اذنها " حتى لو لم تكوني ترتدين سترة النجاة .. ما دام في صدري النفس يعلو ويهبط لن ادع شيئا يمسك بسوء ..."

كانت تغمض عينيها وتسند جبينها لخدها بارهاق بينما شاهين يقودها للجرف ..

همست بنعومة " انا احبك ..."

فرد مداعبا وقلبه يخفق بجنون " منذ ليالي وانا اتوسل اليك ان تقوليها ! الآن تختارين اوقاتا غريبة لتنطقيها ...."

ضحكت ببشاشة بينما شاهين يمسد على شعرها المبلل قبل ان يخرج بها من الماء ، رفع ذقنها اليه ليقول لها وهو يداعب بشرتها بابهامه " اول شيء سنفعله غدا صباحا .. اخذ دروس في السباحة .. لااريد ان اراك مرتعبة هكذا مرة اخرى ..."

التمعت عيناها بالفرح بينما يضيف بجذل

" اما الليلة فلديك درس اهم ... يا جميلة الملامح "

الخاتمة

اجفل شاهين على صوت سمارا وهي تهتف به بحنق " الم تنتهي بعد ؟!! العميل سيصل خلال اقل من ساعة ؟!! "

متربعا على الارض خلف طاولة مكتبه مشمّرا عن ساعديه وقد فتح كل الادراج وبضعة اغراض واوراق متناثرة حوله ، شعره منكوش ويعقد حاجبيه في ضيق !

رفع رأسه عاليا لينظر لسمارا التي اشرفت عليه من الجهة الاخرى لمكتبه قائلا بحنق مماثل

" ماذا افعل ؟!! اليست هذه اوامرك بفرز واعادة تنظيم محتويات مكتبي ؟!! "

تخصّرت سمارا وقد بانت بطنها المستديرة اكثر لتقول بنظرات صارمة مؤنبة " انا طلبت هذا منذ اسبوع والكل التزم الا انت ! يبدو ان علي حث هديل على معاقبتك لكل هذا الكسل ! "

تبسم في وجهها بصبيانية وهو يحرك حاجبيه باغاظة قائلا " هديل تجيد المعاقبة وانا اجيد المصالحة ! "

كزّت سمارا على اسنانها بينما تستدير وهي تقول بحنق مكبوت " عشر دقائق شاهين واجد مكتبك على اروع ما يكون وجاهز لاستقبال الضيف "

تأفف شاهين وهو يلوح بيده ويقول " حسنا حسنا ... لااعلم كيف يطيق اياد تحكماتك ؟! "

ردت بضحكة دلال وهي تغادر الغرفة " انه يعشق تحكماتي ويستمتع بها "

ضحك شاهين وهو يهز رأسه باستسلام ثم عاود تركيزه في تنسيق الاغراض ..

كان قد وضع كيسا للازبال الورقية وصندوق كارتوني للاغراض المعطوبة التي لارجاء منها ...

تنهد بضيق وهو يمرر انامله في شعره والتفت ليفتح اخر درج حتى يخرج محتوياته ..

جمع الاوراق المتكدسة هناك بعشوائية واخرجها دفعة واحدة وبينما هو يفعل سقط من بين الاوراق شيء صلب ليستقر في حجره ..

تطلع شاهين للتميمة الملتمعة بعجب فابتسم وهو يقول " هل ما زالت هذه القلادة موجودة هنا ؟!! "

تذكر ذلك اليوم الذي سقطت فيه من شهرزاد ، ضحك مستغربا من احساسه ببعد ذلك اليوم ! بل وكأنه كان مجرد حلم ..

تلك التميمة قد لاتحمل السحر الحقيقي لكن احيانا اعتقادنا هو من يُحَمِل اشياء سخيفة كهذه قوة السحر !

السحر نحن من نخلقه عندما نشاء ، نحب احيانا تجسيده بالاشياء ليصبح ملموسا اكثر .. لكن .. الاشياء تبقى اشياء .. ونحن البشر من نصنعها ... نحن اساس السحر بارواحنا وبما نملكه من عزيمة لنصل لما نريد ...

ضحك شاهين وهو يهمس ببشاشة " لقد اصبحت فيلسوفا يا شاهين ! وتلك الصغيرة الثائرة ستفخر حتما بك ..."

عاوده الضحك بينما يرمي القلادة في صندوق الاغراض المعطوبة ليتفرغ لاتمام عمله قبل مجيء العميل ويرى صاحب المكتب غارقا في الفوضى !

ومضت ايام ...

" اعطني اياها انا وجدتها قبلك ..."

كانت الطفلة ذات الثانية عشرة تحاول اخذ القلادة من اختها الاكبر سنا والاطول بكثير ...

اخذت الاخت الكبرى تضحك مغيظة اختها وهي ترفع ذراعها عاليا لتبعد القلادة عن مرامها ..

سقط وشاح الرأس الذي كان يغطي رأس الصغرى في محاولاتها المستميتة لاستعادة القلادة التي وجدتها في مكب النفايات اثناء بحثها هي واختها عمّا يمكن ان ينفع للبيع في سوق الخردوات ....

ظلت تصرخ الصغرى بقهر " اعطيني اياها .. هذه القلادة لي ... ساخبر امي ... "

لكن الكبرى لم تهتم فاخذت تركض وهي تقول بمشاكسة " انت طفلة وهذه القلادة تناسب الشابات امثالي ، اما امي فهي تعاني ما يكفي لتستمع لشكواك السخيفة .. يكيفها زوجها السكير ..."

اخذت الصغرى تلاحق الكبرى ... تجريان على الرصيف حافيتين حتى وصلتا الجسر الذي يعبر النهر ..

وهناك وقفت الكبرى لتمد ذراعها جانبا وابتسامة خبيثة تلتمع على وجهها ..

قالت الصغرى وهي تقترب بتأن وعيناها على ذراع اختها الممتد خارج حافة سور الجسر ونيتها برمي القلادة في النهر واضحة ...

قالت الصغرى بتوسل وقد دمعت عيناها

" اعطني اياها .. ارجوك لاترميها ..."

اتسعت ابتسامة الكبرى وبكل برود فتحت يدها الممسكة بالقلادة وتركتها لتسقط من اعلى الجسر وحتى غطست بالماء وفي لحظة اخذت الكبرى تجري مرة اخرى ضاحكة بشماتة بينما الصغرى تزمجر وتتوعد بقهر !

بعد اشهر ...

احد الصيادين يرمي الشباك والآخر يلم شباكه ...

وكلٌ يبحث عن صيد وفير لرزقه ورزق اطفاله واهل بيته ...

اكتفى احدهم فلوح للباقين مغادرا ليعود بقاربه الخشبي المتهالك الى حيث يرسو يوميا ..

قفز في الماء قبل ان يصل الجرف وسحب قاربه ليربطه في مكانه ..

انزل حمله من الصيد ثم اخذ يقلب فيه ليرمي ما جاء مع السمك من اغراض وازبال ملئت النهر فاصبحت تثقل شبكة الصيد وتأخذ من رزقها ...

تنهد الرجل بضيق وقال " ما فائدة هذا الصفيح الصدأ ؟!! "

لم يهتم اكثر وهو يرمي جانبا تلك القلادة التي اخفى معالمها طول البقاء في مياه النهر ..

شابان يتسابقان سباحة في النهر ليصل احدهما قبل الآخر وهو يضحك بانتصار وانفاسه تهدر اجهادا " لقد سبقتك مرة اخرى ... لن تجاريني بالسباحة ابدا .."

استلقى الشاب الاول على ظهره العاري بينما تهالك الشاب الثاني بجانب صديقه على حافة النهر وانفاسه تهدر ايضا ، يضحك باستسلام هو الآخر ويقول " اعترف انك سبّاح ماهر يا ياسر .."

اغمض ياسر عينيه للحظات ليسترخي ، حرك ظهره قليلا منزعجا من شيء ما تحته ..

ولكن ذلك (الشيء) برز اكثر ليؤذي ظهرها فاستقام بجذعه ليلتفت وينظر ما هذا الذي ضايقه ..

رفع ياسر حاجبا وهو يلتقط تلك القلادة ، اخذ يتمعن فيها باعجاب !

بدت غريبة لكنها جذابة رغم قذراتها ! قرر انه سيأخذها فقد اعجبته جدا وسيطلب من صديقه الصائغ ان ينظفها له حتى لو كانت لاتساوي شيئا ..

ضحك رافد وهو يتطلع لصديقه ويقول " ماذا ستفعل بهذه القلادة الصدئة ؟! لماذا وضعتها في جيبك ؟!! "

ابتسم ياسر ولم يعقب بشيء ...

....

خرج ياسر من محل صديقه الصائغ وهو يتطلع بعينين ملتمعتين فضولا لتلك القلادة التي تتوهج في يده ...

همس " هل يعقل انها تميمة سحرية كما قال صديقي ؟! "

امال رأسه جانبا واشعة الشمس تنعكس على التميمة لتجعلها تبدو اكثر اشراقا ...

ابتسم ياسر ببعض السخرية وتألقت عيناه بنظرة معينة قبل ان يقول بتفكه " حسنا ... بما ان صديقي صائغ ماهر واستطاع اعادة الحياة لهذه القلادة المميزة فلامانع من ان اجاريه واستمتع بفكرة السحر .."

تحرك ياسر متجها لسيارته وابتسامته تشق
شفتيه بينما مكر محبب كسا ملامحه ..

بعد يومين ...

جالسا في سيارته على الجانب الآخر من الشارع
راقب ياسر خروجها من المبنى الذي تسكنه
مع عائلتها ، ستركب سيارتها الوردية نفسها ..
تبسم وهو يقول " الشيء الوحيد الذي لم
يتغير بك يا سهر ... حبك للاشياء
الانثوية!؟"

رآها كيف تسير بانوثة ناضجة وجمال يصقل
يوما بعد يوم ، اجمل ما فيها عيناها
الخضراوان .. تفيض دلالا وحياة ... لايعلم
كيف ذلك الغبي اسامة الهاشمي اضاعها من
يده ليتزوج امرأة مطلقة !! وها قد مر اكثر
من سبعة اعوام وهي لم ترتبط بعده !

كسا بعض الشجن ملامح ياسر وهو ينظر اليها
كيف تلتقط الظرف الذي وضعه بنفسه قبل
نصف ساعة على نافذة سيارتها الامامية ..

تابع حركة يديها وهما تفتحان الظرف بينما
عيناها الجميلتان تتلفتان في حيرة هنا
وهناك وكأنها تنتظر ظهور احد ما ليخبرها
بسر هذه الفكاهة الصباحية ...

اخرجت يدها القلادة من من الظرف ، كانت

تعبس بتوجس في البداية ثم احتل الفضول

محياها الجميل لتبتسم بحيرة وهي تعاود

التلفت عسى ان يظهر المرسل من مكان ما ...

همس ياسر بتلهف

" هيا سهر .. هيا اخرجي الورقة الصغيرة .. "

لم يتم جملته الا وقد اخرجت سهر الورقة

المعنية من الظرف فتنفس ياسر الصعداء

وابتسم وعيناه تنظران اليها بنهم ليهمس

بالكلمات التي كان قد كتبها بنفسه على

تلك الورقة بينما سهر تقرؤها الآن

تميمتي تميمتي .. اوصليني اليها

هل السحر فيك ام في مقلتيّها ؟!!

*** تمت ***